من تراث الكوثرى

السَّيْفُ الصَّقِيلُ

فى الرد على ابن زفيل

للإمام الحجة أبى الحسن تقى الدين على بن عبد الكافى
السبكى الكبير
المولود سنة ٦٨٣هـ ١٢٨٤م
المتوفى سنة ٧٥٦هـ - ١٣٥٥م

يرد به على نونية ابن القيم
ومعه تكملة الرد على نونية ابن القيم

بقلم
محمد زاهد بن الحسن الكوثرى
عفى عنهما

الناشر
المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر
☎ ٥١٢٠٨٤٧

٣٠- من تراث الكوثرى

السَّيْفُ الصَّقِيلُ

فى الرد على ابن زفيل

للإمام الحجة أبى الحسن تقى الدين على بن عبد الكافى
السبكى الكبير
المولود سنة ٦٨٣هـ ١٢٨٤م
ألمتوفى سنة ٧٥٦هـ - ١٣٥٥م

يرد به على نونية ابن القيم
ومعه تكملة الرد على نونية ابن القيم

بقلم
محمد زاهد بن الحسن الكوثرى
عفى عنهما

المكتبة الأزهرية للتراث
٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر الشريف
ت: ٥١٢٠٨٤٧

بسم الله الرحمن الرحيم

ترجمة السبكى

هو: على بن عبد الكافى بن على بن تمام السبكى الأنصارى الخزرجى أبو الحسن تقى الدين شيخ الإسلام فى عصره، وأحد الحفاظ المفسرين المناظرين، وهو والد التاج السبكى صاحب الطبقات.

مولده ورحلاته العلمية: ولد فى «سبك من أعمال المنوفية» سنة ٦٨٣هـ =١٢٨٤م.

انتقل من سبك إلى القاهرة، ثم إلى الشام وولى قضاء الشام سنة ٧٣٩ هـ واعتل فعاد إلى القاهرة فتوفى فيها. .

من تصانيفه:

«الدر النظيم فى التفسير - لم يكمله»، «مختصر طبقات الفقهاء»، «إحياء النفوس فى صنعة إلقاء الدروس»، «الاغريض فى الحقيقة والمجاز والكنية والتعريض»، «التمهيد فيما يجب فيه التحديد - ط. فى المبايعات والمقاسمات والتمليكات وغيرها»، «السيف الصقيل - ط، رأيته بخطه فى ٢٥ ورقة فى المكتبة الخالدية بالقدس فى الرد على قصيدة نونية تسمى الكافية فى الاعتقاد منسوبة إلى ابن القيم»، «المسائل الحلبية وأجوبتها - خ. فى فقه الشافعية»، «السيف المسلول على من سب الرسول - خ»، «مجموعة فتاوى - ط»، «شفاء السقام فى زيارة خير الأنام - ط»، «والابتهاج فى شرح المنهاج - فقه». ورأيت مجموعة - خ - بخطه فى مجلد ضخم تشتمل على رسائل كثيرة له، منها: الأدلة فى إثبات الأهلة. والاعتبار ببقاء الجنة والنار. وفتاوى وغير ذلك. ورأيت مجموعة أخرى كلها بخطه «فى الرباط ٦ ,٣ أوقاف» تشتمل على تسع رسائل منها: المجاورة والنشاط فى المجاورة والرباط. . إلخ وقد استوفى ابنه تاج الدين أسماء كتبه، وأورد ما قاله العلماء فى وصف أخلاقه، وسعة علمه.

وفـاته:

توفى بالقاهرة سنة ٧٥٦ هـ = ١٣٥٥م(*)

ترجمة محمد زاهد الكوثرى

محمد زاهد بن الحسن بن على الكوثرى.

فقيه حنفى جركسى الأصل. له اشتغال بالأدب والسير.

مولده: ولد سنة ١٢٩٦ هـ.

نشأته وتفقهه وجهاده: تفقه فى جامع الفاتح بالآستانة، ودرس فيه، وتولى رياسة مجلس التدريس واضطهده الاتحاديون فى خلال الحرب العالمية الأولى لمعارضته خطتهم فى إحلال العلوم الحديثة محل العلوم الدينية فى أكثر حصص الدراسة. ولما تولى الكماليون وجاهروا بالإلحاد أريد اعتقاله فركب إحدى البواخر إلى الإسكندرية سنة ١٣٤١ هـ = ١٩٢٢م، وتنقل زمنًا بين مصر والشام، ثم استقر فى القاهرة موظفًا فى دار المحفوظات - لترجمة ما فيها من الوثائق التركية إلى العربية. وكان يجيد العربية والتركية والفارسية والجركسية، وفى نطقه بالعربية لكنة. وتوفى بالقاهرة.

من مؤلفاته

له تعليقات كثيرة على بعض المطبوعات فى أيامه، فى الفقه والحديث والرجال، وله تآليف منها: «تأنيب الخطيب على ما ساقه فى ترجمة أبى حنيفة من الأكاذيب - ط» ويعنى بالخطيب، صاحب تاريخ بغداد. «والنكت الطريفة فى التحدث عن ردود ابن أبى شيبة على أبى حنيفة»، و«الاستبصار فى التحدث عن الجبر والاختيار»، ورسائل فى تراجم الإمام زفر وأبى يوسف القاضى، ومحمد بن الحسن الشيبانى، والبدر العينى، والإمامين الحسن بن زياد، ومحمد بن الشجاع.

(*) انظر: الأعلام للزركلى ٤/ ٢, ٣ طبعة: دار العلم للملايين - بيروت، الخطط التوفيقية على مبارك ١٢/ ٧ طبعة: الأميرية ببولاق سنة ١٣٠٥هـ غاية النهاية فى طبقات القراء لابن الجزرى ١/ ٥٥١ طبعة السعادة بمصر سنة ١٩٣٣، الدرر الكامنة ٣/ ٤٠٦٣ الطبعة الأولى - الهند سنة ١٣٤٩هـ طبقات الشافعية الكبرى للسبكى ٦/ ٤٢ - ٤٤ طبعة عيسى الحلبى الأولى سنة ١٣٨٦هـ = سنة ١٩٦٧م، ٥/ ٣٦٦ - ٣٦٨ نفس الطبعة.

والطحاوى وكلهـا مطبوعة. وله نحو مائة مـقال جمعهـا السيد أحمـد خيرى فى كتاب: مقالات الكوثرى(*)

التعريف بكتاب «السيف الصقيل»

فى أثناء القرن الـسابع الهجـرى رحل من حران إلى الشام بـيت علم وفضل، خوفًا على أنفسهم من التتر واستـوطنوا دمشق. وكان منهم طفل صغير من مواليد حران حمله أبوه معه فيما حمل من أهله، فألحقه بمدرسة من مدارس دمشق. ذلك الصغـير، هو أحمـد بن عبد الحليم بن عـبد السلام المعروف بابنـه تيمية. وعـبد السلام كان من خيـرة العلماء، له فى مذهب أحمد تصانيف، ولـه منتقى الأخبار الذى شرحـه الشوكـانى وأسمـاه: نيل الأوطار. فأقبـل ذلك الصغيـر على العلم وظهرت عليه مخـايل الذكاء، وتفقه فى مذهب أحمد كـأسرته الحنابلة، وقرأ فى كثير من الفنون والعلوم، وظهرت عليه مخايل الذكاء، واشتهر بجودة الحفظ وقوة الذاكرة، وتصدر للفـتيا وإلقاء الدروس فى سن مبكرة، وظـهرت عليه آثار النسك والعبادة، فأحبـته العامة وأثنت عليه الخاصة، وبالغ فى الدعـاء إلى السنة ومجانبة البدعة. وقد أنس من نفسه قوة ذهن وشدة عارضة فلم يحفل بالرجوع إلى شيوخ الوقت وأكابره، ورفعت إليه الأسئلة والاستفـتاءات، فأجاب وأفتى، وهو مرموق فى كل ذلك بعين التجلة من الجميع... حتى إذا قارب سن الأربعين سن الكمال عادة، بدأ النقص يظهر فـيه، فبدأ يسير على طريق الكرامـية والحشوية(1) «ويحيى بدعة القول بالجهة والمكان والأجزاء لله».

(*) الأعـلام للزركلى ٦/ ٣٦٣ - ٣٦٤، مقـالات الكوثرى، تحـفة الإخـوان ص ١١٧، والصحف المصـرية ٢٠/ ١١/ ١٣٧١هـ.

(1) وهاك صورة مجملة عن الكرامية والحشوية، حتى تستبطن حقيقتهما، وتختبر عودهما، وتنظر فى أصلهما فيحكى لنا الإيجى أنهـما فرعان لشجرة حنظل واحدة، هى شـجرة التشبيه، تشـبيه الخالق بالمخلوق، وإن اختلفوا فى طريقته فمنهم مشبهة غلاة الشيعة. ومنهم مـشبهة الحشوية كمضر وكهمس والهجيمى ومنهم مشبهة الكراميـة أصحاب أبى عبد الله محمد بن كرام. ويؤكد الرازى على أن اليهود أكـثرهم مشبهة وأن ظهور التشـبيه فى الإسلام قـد بدأ من الروافض مثل بيان بن سمـعان الذى كان يثبت لله تعـالى الأعضاء والجوارح، وهشـام بن الحكم وهشام بن سـالم الجواليقى، ويونس بن عـبد الرحـمن القمى، وأبو جعـفر الأحوال الذى كان يدعى شيطان الطاق. وهؤلاء رؤسـاء علماء الروافض، ثم تهافت فى ذلك المحدثون وممن لم يكن لهم نصيب من علم المعقولات.

ويصور لنا الشهرستانى بعض معتقداتهم، وبعد أن يورد أصـولهم فيقول: إن جماعة من الشيعة الغالية، وجماعـة من أصحاب الحديث الحـشوية صرحوا بالتـشبيه مـثل : الهشاميـين من الشيعة. ومـثل مضر،=

وقيام الحوادث من الصوت وغيره بذاته تعالى وأخذ يشيع أن القول بذلك هو الإسلام والإيمان والدين والتوحيد، وأن ذلك هو مذهب أحمد بن حنبل[1] وأن من خالف ذلك هو معطل ملحد عدو للدين منابذ للإسلام والمسلمين، فأحيا بذلك بدعة الحشو بعدما ماتت أو كادت، حتى لقد رآه ابن بطوطة - فى بعض

= وكهس، وأحمد الهجمى وغيرهم من الحشوية. قالوا: معبودهم على صورة ذات أعضاء وأبعاض ويجوز عليه الانتقال والنزول والصعود والاستقرار والتمكن . وأما مشبهة الحشوية، فحكى الأشعرى عن محمد بن عيسى أنه حكى عن مضر، وكهس، وأحمد الهجيمى: أنهم أجازوا على ربهم الملامسة والمصافحة، وأن المسلمين المخلصين يعانقونه فى الدنيا والآخرة. وحكى عن داود الجواربى أنه قال: اعفونى عن الفرج واللحية وأسألونى عما وراء ذلك . وقد أورد كثيراً من هذه المعتقدات الفاسدة الأشعرى فى مقالاته، وكذا البغدادى فى فرقه... ثم إن الإمام الرازى رتب فرقهم الخمسة هكذا: ١- الحكمية : وهم أصحاب هشام بن الحكام. ٢- الجواليقية: أتباع هشام بن سالم الجواليقى الرافضى. ٣- اليونسية: أتباع يونس بن عبد الرحمن القمى. ٤- الشيطانية: أتباع شيطان الطاق. ٥- الحوارية أصحاب داود الحوارى. وكذا أورد طوائف الكرامية وقال: وأقربهم الهيصمية وفى الجملة، فهم كلهم يعتقدون أن الله تعالى جسم وجوهر ومحل للحوادث، ويثبتون له جهة ومكانًا. ونقول: والحشوية - كما سبق - من أهل الحديث الذين تمسكوا بظواهر الأحاديث التى تشعر بالتشبيه، وسبب تسميتهم بهذا الاسم كما يقول الكوثرى - فى مقدمته على تبيين كذب المفترى -: أن الحسن البصرى كان يلازم مجلسه نبلاء أهل العلم، وقد حضر مجلسه يومًا أناس من رعاع الرواة. ولما تكلموا بالسقط عنده قال: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة أى جانبها، فسموا الحشوية. ومنهم أصناف المجسمة والمشبهة. والحشوية بفتح الشين ويصح إسكانها، لقولهم بالتجسيم، لأن الجسم محشو.

انظر: مقالات الإسلاميين لأبى الحسن الأشعرى، الملل والنحل للشهرستانى ج١/ ١٠٥، الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٦٥، والموافق للإيجى ص ٤٢٩، اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازى ص ٩٧ - ١٠١، تبيين كذب المفترى لابن عساكر الدمشقى ص ١١.

(١) يقول الرازى: اعلم أن جماعة من المعتزلة ينسبون التشبيه إلى الإمام أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه ويحيى بن معين. وهذا خطأ، فأنهم منزهون فى اعتقادهم عن التشبيه والتعطيل، ولكنهم كانوا إلا يتكلمون فى المتشابهات مع جزمهم بأن الله تعالى لا شبيه له وليس كمثله شيء. وأقول بعد ذلك: فلا يخدعنك عن دينك قول من يقول: إن كل حنبلى مجسم، فتظن أن الإمام أحمد كان هو أو فقهاء أتباعه كذلك - فالمجسمة إن كانوا حنابلة ففى الفروع لا فى الأصول - وقد روى الإمام أبو الفضل التميمى شيخ الحنابلة، والحافظ ابن الجوزى وغيرهما من أعيان المذهب عن الإمام أحمد ما عليه الجماعة من تنزه الحق عن الجسمية ولوازمها. روى البيهقى فى مناقب الإمام أحمد بسنده عن أبى الفضل أنه قال: «أنكر أحمد على من قال بالجسم وقال: إن الأسماء مأخوذه من الشريعة واللغة وأهل اللغة وضعوا هذا الاسم على ذى طول وعرض وسمك وتركيب وصورة وتأليف. والله تعالى خارج عن ذلك كله فلم يجز أن يسمى جسمًا لخروجه عن معنى الجسمية. ولم يجئ فى الشريعة ذلك فبطل».

رحلاته - يخطب على المنبر، وتلا حديث النزول ثم قال: ينزل كنزولى هذه ونزل درجة، فأنكر عليه بعض الحاضرين، فهاج العامة على المنكر وضربوه ضربًا شديدًا. بل لقد تعصب له بعض الحنابلة أولا، حتى إذا استطار فى الناس ضرره جعلوا يوجهون إليه النصائح بالمشافهة والمكاتبة. وحسبك نصيحة الحافظ الذهبى له - وهى مثبتة فى ذيل تكملة السيف الصقيل الذى بين يديك - وهو شيخ الحنابلة والحديث - وكان قبل ذلك يكثر الثناء عليه بل يطريه - فيقول: «كان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شقيقين فواخيتهما» ثم قال: إن سلم لك إيمانك بالشهادتين فأنت سعيد... إلخ وستأتيك بتمامها». ونقول: لقد برع فى الاحتيال لنشر آرائه المخالفة للمعقول والمنقول، وبرز فى نصر بدع الكرامية، وإحياء ما اندرس من شبههم وشبه غيرهم، وترى ذلك فى منهاجه الذى يرد به على الروافض وفى الحقيقة لقد خالف فيه منهاج السنة، فأثبت بأنه لا أول للحوادث وأنه لا ابتداء لها، وأن ذلك هو مذهب الصحابة والتابعين، وتراه مع ذلك.. فى تناقض واضح - ينقل خلاف الصحابة والتابعين فى أول مخلوق، هل هو العرش أو القلم أو الماء؟!! وفى صفحة واحدة دون خالجة من الخجل

وله فى ثلب الكرام طريق غريبة ماكرة، تجد ذلك فى كيديه للانتصار للأئمة الأربعة وإن حفل نصفه الأول بالثناء عليهم فقد انسرب مكره بهم فى النصف الثانى تمهيدًا لجرأة العامة عليهم وكذلك كان صنيعه مع إمامى أهل السنة أبى الحسن الأشعرى وأبى منصور الماتريدى. ولا عليك فإن جاءك خلاف بين الأشاعرة والحنابلة فلا تشك أنه هو وأتباعه فقط. ولم يسلم من لسانه إمام من أئمة أهل السنة فارجع إلى موافقة معقوله تجده قد وقع فى إمام الحرمين وحجة الإسلام الغزالى ووصفهما بأنهما أشد كفرًا من اليهود والنصارى!!.. ولكن هل تركه علماء عصره على هذه الضلالات؟ ونبادر إلى القول بأن علماء عصره على اختلاف مذاهبهم قد تصدوا له، فهذا هو علامة عصره تقى الدين الحصنى فى كتابه «دفع شبه من شبه وتمرد ونسب ذلك إلى الإمام أحمد» يقول أخبرنا أبو الحسن على الدمشقى عن أبيه قال: «كنا جلوسًا فى مجلس ابن تيمية، فذكر ووعظ وتعرض لآيات الاستواء ثم قال: واستوى الله على عرشه كاستوائى هذا:

قال: فوثب الناس عليه وثبة واحدة وأنزلوه من الكرسى، وبادروا إليه ضربًا باللكم والنعال.. حتى أوصلوه إلى بعض الحكام واجتمع فى ذلك المجلس العلماء فشرع يناظرهم فقالوا: ما الدليل على ما صدر منك؟ فذكر آية الاستواء فضحكوا منه، وعرفوا أنه جاهل...» وكان الإمام العلامة شيخ الإسلام فى زمانه أبو الحسن على بن إسماعيل القونوى يصرح بأنه من الجهلة بحيث لا يعقل ما يقول. ونقل عن صلاح الدين الكتبى ويعرف بالتريكى فى الجزء العشرين من تاريخه ما قام به العلماء فى جهاد هذا الرجل. وذكر قبل ذلك صورة المرسوم الذى أصدره السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وذكره أيضًا العلامة الكوثرى بنصه. ناقلاً له بماراه بنفسه من خط ابن طولون فى تكملته للسيف الصقيل. ومع هذا فقد ترك بعد موته أئمة ابتداع عبوا من حياضه الآسنة وعلى رأسهم الإمام ابن زفيل الشهير بابن القيم - وكان أبوه قيم المدرسة الجوزية ولذلك يقولون أحيانًا: ابن قيم الجوزية، يعنون بها تلك المدرسة - كان أتبع لشيخه ابن تيمية من ظله، وقد أفنى عمره فى خدمة بدع أستاذه بفنون من التلبيس، فيؤلف فى السيرة النبوية، وفى الفوائد الصوفية وفى المواعظ، ويدس فى خلال ذلك من حشو شيخه وأضاليله ما استطاع ثم يعود إلى ما يعرفه العلماء، وكثيرا ما يحكى المسألة المجمع عليها بين العلماء إجماعًا ظاهريّاً فيذكر فيها خلافًا فيقول: قالت طائفة بذلك ويحتج لها ويطيل الاحتجاج. وقالت طائفة أخرى ويطول الاحتجاج بما يظنه حجة من أوهام شيخه. كما وقع الطلاق الثلاث المجموع ثلاثًا وغيرهما كثير وقلما يسلم له كتاب من تشعيب ودس وتهويش، وقد جمع شواذ شيخه فى قصيدة سخيفة نونية بلغها ستة آلاف بيت تقريبًا[1]. وكان إخوانه وتلاميذه يخفونها خوفًا من أهل العلم وأهله، حتى وقعت فى يد شيخ الإسلام تقى الدين أبو الحسن على السبكى، فكتب عليها كتابة سماها: السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل - وقد وضع العلامة الكوثرى تكملة لهذا السيف وأجاد كل الإجادة - وهو الكتاب الذى بين يديك أيها القارئ الكريم - ومن قرأ هذه المنظومة النونية وقرأ كتب ابن تيمية - وهو من أهل العلم - لا يرتاب فى أنه نسخة منه، فإنه يرمى من تقدمه من محققى أهل

---

(١) وعدد أبياتها على التحقيق ستة آلاف بيت إلا واحدًا وخمسين بيتًا.

العلم وأكابر العلمـاء بأنهم أعداء الإسلام، وذلك لأنهم لم يقـولوا بما قال به ابن تيمية من التجسيم والتشبيه، وإن كـان ابن الجوزى قد أثخن أهل التجسيم والتشبيه بالجراح فى كـتابه القيـم: دفع شبه التـشبيـه بأكف التنزيه فى الرد على المجسـمة والمشبهة بتحقيق: محمـد زاهد الكوثرى وتصدير العلامة محمد أبى زهرة وتقديم الدكتور: جمـعة الخولى بما يشفى الصدر ويثلج النفس. وكـذلك فإن العلامة ابن زاهد الكوثرى قـد أنصف أهل السنة من هذا وشـيخـه ومن تبعـهمـا فى كتـابه: التكملة وهو ضمـيمة للسيف الصقـيل بما يبهج الخاطر ويرد الظلامـة ويسفر بنور الإصبـاح. ولا يغرنك كـتاب ابن القـيم: «غزو الجـيوش الإسلامـية، للمـعطلة والجهمية» فـإنه جمع فيه ما تشابه من الآيات والأحاديث، لا فرق بين صـحيحها وسقيمها وموضوعها ليثـبت بذلك - فى زعمه - الجهة لله تعالى عما يقول. وقد عنى بالمعطلـة والجهـمـيـة كل من نزه الله تعـالى عن الجـهة وغـيـرها من لوازم الأجسام!!

ولا يقع فى وهمك أن ابن القـيم قد رجع عن هذه الأباطيل، كمـا تأكد لديك ثبات شيخه عليها إلى وفاته فإن ابن رجب - فى طبقات الحنابلة - سمعها أى هذه المنظومة من لـفظ ابن القيم عام وفـاته أى أنه استمـر على هذا العقـد الباطل إلى أواخر عمره.

والله ولى التوفيق.

بسم الله الرحمن الرحيم

التقديم للكتاب

الحمدلله القدوس المتعال، المنزه عن النظير والمثال، جلت ذاته وعلت صفاته على أن يحوم حول اكتناهها وهم أو خيال، والعقول عن إدراك تلك المطالب فى عقال، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث لتتميم مكارم الخلال، منقذاً لهذه الأمة من مخالب الوثنية وصنوف الضلال، وهاديًا إلى مراضى مولاه ذى الجلال والجمال وعلى آله خير الآل وأصحابه أصحاب كرائم الخصال.

انقشاع ظلمات الجاهلية بمبعثه ﷺ

وبعد، فلا يخفى على من درس تاريخ الدين الإسلامى أن الله سبحانه بعث خاتم رسله فى بيئة عريقة فى الوثنية، وقد أحدقت بتلك البيئة أمم يدينون بالإشراك والتشبيه وأنواع من التخريف والتمويه، فبمبعثه ﷺ انقشعت تلك الظلمات الجاهلية، واستنارت بصائر الذين آمنوا به بأنوار التعاليم الإسلامية، حتى داسوا تحت أرجلهم تقاليد الوثنية ونبذوا تلك الأساطير الهمجية وخمدت عزائم أعداء الدين، وفترت مواصلتهم العداء إلى حين.

تحين الأعداء الفرص للكيد بالمسلمين

لكنهم كانوا يتحينون الفرص لتفريق كلمة المسلمين، وتشويه تعاليم هذا الدين فى الأخلاق والعمل والاعتقاد، حتى تذرعوا بعد وفاته ﷺ بشتى الوسائل إلى بذر بذور الفساد كلما ظنوا أن الفرصة سانحة، يلبسون فى كل عصر ما يرونه أنجع فى مخادعة الجمهور، وأغشى على بصائر الخاصة والدهاء وأشد فتكا بهم فى صميم دينهم. إلى أن تمكنوا من إضلال طوائف فى الأطراف ورغم هذا بقيت بيضة الإسلام - بحمد الله جل شأنه - مصونة الجانب تحت كلاءة الله سبحانه ورعياته، حيث لم يمكنهم من إبادة خضراء الملة، ولا من إحداث أحداث جوهرية فى صميم الدين الإسلامى تشتت شمل الجماعة، بل بقى الإسلام فى جوهره

- بفضل الله جل جلاله - وضاء المنار واضح المنهاج، نير الطريقة، بادى المعالم لمن ألقى إلى تعاليمه السمع وهو شهيد.

وغاية ما تخيل الأعداء أن يتمكنوا منه أو يوقفوا نموه العظيم الذى كان ظهر فى الصدر الأول، ويعرقلوا رقى معتنقيه السريع بعد أن بهر أبصار أولى الأبصار فى أوائل انتشاره، لكن أبى الله إلا أن يتم نوره.

وكان أخطر هؤلاء الأعداء على الدهماء وأبعدهم غورًا فى الإغواء أناسًا ظهروا بأزياء الصالحين بعيون دامعة كحيلة، ولحى مسرحة طويلة؛ وعمائم كالأبراج، وأكمام كالأخراج، يحملون سبحات كبيرة الحبات، ويتظاهرون بمظهر الدعوة إلى سنة سيد السادات مع انطوائهم على مخاز ورثوها عن الأديان الباطلة، والنحل الآفلة، وكان من مكرهم الماكر أن خلطوا الكذب المباشر بالتزيد فى تفسير مأثور أو فى حديث صح أصله عند الجمهور، باعتبارهم ذلك أنجع فى إفساد دلالة كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على أفهام أناس قرب عهدهم من الجاهلية ولم تتكامل بعد عقولهم ولا نضجت أفكارهم.

وكم أضل رواة من هذا القبيل طوائف من سذج المسلمين منذ عهد التابعين حيث اندسوا بين الصالحين من رواة الأعراب ومواليهم لإدخال ما اختلقوه من الأخبار بين مرويات هؤلاء الأخيار، حتى يتم إفساد دين المسلمين عليهم، ولكن أبى الله إلا أن يرد كيدهم فى نحرهم حيث أقام جهابذة يسعون فى إبعاد مختلقاتهم عن مرتبة الاعتداد فى جميع الطبقات، على أن فى عقول الذين أسلموا إسلامًا صحيحًا من النور ما يشق لهم الطريق إلى تعرف دخائل المرويات من نفس تلك الروايات، وإن لم تخل طبقة من طبقات الرواة من أغرار انخدعوا بها وتعصبوا لها، لأن الفاتنين كانوا راعوا فى رواياتهم عقول هؤلاء ومداركهم فى جاهليتهم تيسيرًا لزلل أقدامهم وتدهورهم فى هاوية إغوائهم.

انخداع سذج الرواة

فالرواة السذج إذا انخدعوا بمثل هذا التمويه يكون عندهم بعض عذر، ومن الذى لا ينخلع قلبه؟ إذا سمع السنة والدعوة إلى السنة من متقشف متظاهر بالورع

الكاذب على تقدير جهل السامع بما وراء الأكمة؟ فيجب أخذ هؤلاء بالرفق لتدريجهم إلى الحق من باطل تورطوا فيه باسم السنة.

ومن محققى أهل السنة من يشير إلى إن العامى إذا بدر منه ما يوهم ظاهره التشبيه يرجى من فضل الله أن يسامحه حيث يعلو التنزيه من الجهة ونحوها عن مداركه. وأما من جمع بين الرواية والدراية على زعمه وألف فى ذات الله وصفاته، وصدر منه مثل هذا فلا يوجد بين علماء أهل السنة من يعذر مثله بل أطبقت كلماتهم على إلزامه مقتضى كلامه، وليس لعالم عذر فى الميل إلى شىء من التشبيه والقرمطة لظهور سقوطهما لكل ناظر. قال القاضى أبو بكر بن العربى فى القواصم والعواصم: «ما لقيت طائفة إلا وكانت لى معهم وقفة عصمنى الله منها بالنظر - بتوفيقه - إلا الباطنية والمشبهة فإنهما زعنفة تحققت أنه ليس وراءهما معرفة فقذفت نفسى كلامهما من أول مرة» اهـ. بل لا يتصور أن يميل إلى أحدهما عاقل إلا إذا كان له غاية إلحادية، وأنَّى يستعجم على عالم باللسان العربى المبين ما فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ من الدلالة على تنزيه الله جل شأنه من الجسمية والجسمانيات والمادة والماديات، بخلاف العامى الذى هو قريب العهد من الجاهلية.

فضل علماء أصول الدين فى حراسة الدين

جزى الله علماء أصول الدين عن الإسلام خيرًا، فإن لهم فضلاً جسيمًا فى صيانة عقائد المسلمين بأدلة ناهضة مدى القرون أمام كل فرقة زائغة، وإنما يكون التعويل فى كل علم على أئمته دون من سواهم، لأن من يكون إمامًا فى علم كثيرًا ما يكون بمنزلة العامى فى علم آخر. فإذا لا يعول فى العقائد إلا على أئمة أصول الدين لا على الرواة البعيدين عن النظر، وكم بينهم من يرثى لمداركه حيث يقل عقله عن عقول الأطفال وإن بلغ فى السن مبلغ الرجال. ومن طالع ما ألفه بعض الرواة على طول القرون من كتب فى التوحيد والصفات والسنة والردود على أهل النظر يشكر الله سبحانه على النور الذى أفاضه على عقله حتى نبذ مثل تلك الطامات بأول نظرة.

محاولة ابن تيمية بعث الحشوية من مرقدها

وقد استمرت فتن المخدوعين من الرواة على طول القرون مجلبة لسخط الله تعالى ولاستسخاف العقلاء من غير أن يخطر ببال عاقل أن يناضل عن سخافات هؤلاء، إلى أن نبغ فى أواخر القرن السابع بدمشق حرانى تجرد للدعوة إلى مذهب هؤلاء الحشوية السخفاء متظاهراً بالجمع بين العقل والنقل على حسب فهمه من الكتب بدون أستاذ يرشده فى مواطن الزلل، وحاشا العقل الناهض والنقل الصحيح أن يتضافرا فى الدفاع عن تخريف السخفاء إلا إذا كان العقل عقل صابئ والنقل نقل صبى، وكم انخدع بخزعبلاته أناس ليسوا من التأهل للجمع بين الرواية والدراية فى شىء وله مع خلطائه هؤلاء موقف فى يوم القيامة لا يغبط عليه. ومن درس حياته يجدها كلها فتنًا لا يثيرها حاظ بعقله غير مصاب فى دينه، وأنَّى يوجد نص صريح منقول أو برهان صحيح معقول يثبت الجهة والحركة والثقل والمكان ونحوها لله سبحانه؟ وسيمر بك سرد بعض مخازيه مع نقضها إن شاء الله تعالى.

وكل ما فى الرجل أنه كان له لسان طلق، وقلم سيال، وحافظة جيدة، قلب - بنفسه بدون أستاذ رشيد - صفحات كتب كثيرة جداً من كتب النِّحَل التى كانت دمشق امتلأت بها بواسطة الجوافل من استيلاء المغول على بلاد الشرق، فاغتر بما فهمه من تلك الكتب من الوساوس والهواجس، حتى طمحت نفسه إلى أن تكون قدوة فى المعتقد والأحكام العملية ففاه فى القبيلين بما لم يفه به أحد من العالمين مما هو وصمة عار وأمارة مروق فى نظر الناظرين فانفض من حوله أناس كانوا تعجلوا فى إطرائه بادئ بدء قبل تجريبه وتخلوا عنه واحداً إثر واحد على تعاقب فتنه المدونة فى كتب التاريخ ولم يبق[1] معه إلا أهل مذهبه فى الحشو من جهلة المقلدة، ومن ظن أن علماء عصره صاروا كلهم إلبًا واحداً ضده حسداً من عند أنفسهم فليتهم عقله وإدراكه قبل اتهام الآخرين، بعد

(١) وثناء بعض المتأخرين عليه لم يكن إلا عن جهل بمضلات الفتن فى كلامه ووجوه الزيغ فى مؤلفاته ومنهم من ظن أنه دام على توبته بعدما استتيب فدام على الثناء ولا حجة فى مثل تلك الأثنية، وأقواله الماثلة أمامنا فى كتبه لا يؤيدها إلا غار غوى، نسأل الله السلامة.

أن درس مبلغ بشاعة شواذه فى الاعتقاد والعمل وهو لم يزل يستتاب استتابة إثر استتابة، وينقل من سجن إلى سجن إلى أن أفضى إلى ما عمل وهو مسجون فقبر هو وأهواؤه فى البابين بموته وبردود العلماء عليها وما هى ببعيدة عن متناول رواد الحقائق.

مسايرة ابن القيم لابن تيمية فى فتنته

وكان ابن زفيل الزرعى المعروف بابن القيم يسايره فى شواذه كلها حيّاً وميتًا، ويقلده فيها تقليدًا أعمى فى الحق والباطل، وإن كان يتظاهر بمظهر الاستدلال لكن لم يكن استدلاله المصطنع سوى ترديد منه لتشغيب قدوته دائبًا على إذاعة شواذ شيخه، متوخيًا فى غالب مؤلفاته تلطيف لهجة أستاذه فى تلك الشواذ، لتنطلى وتنفق على الضعفاء، وعمله كله التلبيس والمخادعة والنضال عن تلك الأهواء المخزية حتى أفنى عمره بالدندنة حول مفردات الشيخ الحرانى. تراه يثرثر فى كل واد، ويخطب بكل ناد بكلام لا محصل له عند أهل التحصيل، ولم يكن له حظ من المعقول، وإن كان كثير السرد لآراء أهل النظر. ويظهر مبلغ تهافته واضطرابه لمن طالع (شفاء العليل) له بتبصر، ونونيته وعزوه من الدلائل على أنه لم يكن ممن له علم بالرجال ولا ينقد الحديث حيث أثنى فيهما على أناس هلكى، واستدل فيهما بأخبار غير صحيحة على صفات الله سبحانه. وقد ذكره الذهبى فى المعجم المختص بما فيه عبرة، ولم يترجم له الحسينى ولا ابن فهد ولا السيوطى فى عداد الحفاظ على ذيولهم على طبقات الحفاظ، وما يقع من القارئ بموقع الإعجاب من أبحاثه الحديثية فى زاد المعاد وغيره فمختزل مأخوذ مما عنده من كتب قيمة لأهل العلم بالحديث، «كالمورد الهنى شرح سير عبد الغنى للقطب الحلبى» ونحوه ولولا محلى ابن حزم وإحكامه ومصنف ابن أبى شيبة وتمهيد ابن عبد البر لما تمكن من مغالطاته وتهويلاته فى أعلام الموقعين. وكم استتيب وعزر مع شيخه وبعده على مخاز فى الاعتقاد والعمل تستبين منها ما ينطوى عليه من المضى على صنوف الزيغ تقليدًا لشيخه الزائغ وسيلقى جزاء عمله هذا فى الآخرة - إن لم يكن ختم له بالتوبة والإنابة - كما لقى بعض ذلك فى الدنيا.

نماذج من أقوال أصحاب
ابن القيم وأضداده والمتحايدين

قال الذهبى فى المعجم المختص عن ابن القيم هذا: عنى بالحديث بمتونه وبعض رجاله وكان يشتغل فى الفقه ويجيد تقريره، وفى النحو ويدريه، وفى الأصلين. وقد حبس مدة لإنكاره على شد الرحيل لزيارة قبر الخليل (إبراهيم عليه السلام) ثم تصدر للاشتغال ونشر العلم لكنه معجب برأيه جرئ على الأمور ا هـ.

قال ابن حجر فى الدرر الكامنة: غلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له فى جميع ذلك، وهو الذى هذب كتبه ونشر علمه.. واعتقل مع ابن تيمية بالقلعة بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروبًا بالدرة، فلما مات أفرج عنه وامتحن مرة أخرى بسبب فتاوى ابن تيمية وكان ينال من علماء عصره وينالون منه ا هـ.

قال ابن كثير كان يقصد للإفتاء بمسألة الطلاق حتى جرت له بسببها أمور يطول بسطها مع ابن السبكى وغيره.. وكان جماعًا للكتب فحصل منها ما لا يحصر حتى كان أولاده يبيعون منها بعد موته دهرًا طويلاً سوى ما اصطفوه منها لأنفسهم.. وهو طويل النفس فى مصنفاته يتعانى الإيضاح جهده، فيسهب[1] جدًا، ومعظمها من كلام شيخه يتصرف فى ذلك، وله فى ذلك ملكة قوية، ولا يزال يدندن حول مفرداته وينصرها ويحتج لها.. وجرت له محن مع القضاة منها فى ربيع الأول طلبه السبكى بسبب فتواه بجواز المسابقة بغير محلل فأنكر عليه وآل الأمر إلى أنه رجع عما كان يفتى به من ذلك ا هـ وقال: التقى الحصنى: كان ابن تيمية ممن يعتقد ويفتى بأن شد الرحال إلى قبور الأنبياء حرام لا تقصر فيه الصلاة، ويصرح بقبر الخليل وقبر النبى صلى الله عليهما وسلم. وكان على هذا الاعتقاد تلميذه ابن قيم الجوزية الزرعى وإسماعيل بن كثير الشركوينى، فاتفق أن ابن قيم الجوزية سافر إلى القدس الشريف ورقى على منبر فى الحرم. ووعظ وقال فى أثناء وعظه بعد أن ذكر المسألة: وها أنا راجع ولا أزور الخليل. ثم جاء إلى نابلس

(١) الإسهاب = الإطناب، وهو عكس الإيجاز.

وعمل له مجلس وعظ وذكر المسألة بعينها حتى قال فلا يزور قبر النبى ﷺ، فقام إليه الناس وأرادوا قتله فحماه منهم والى نابلس، وكتب أهل القدس وأهل نابلس إلى دمشق يعرفون صورة ما وقع منه فطلبه القاضى المالكى فتردد وصعد إلى الصالحية إلى القاضى شمس الدين بن مسلم الحنبلى وأسلم على يديه فقبل توبته وحكم بإسلامه وحقن دمه ولم يعزره لأجل ابن تيمية. . ثم أحضر ابن قيم الجوزية وادعى عليه بما قاله فى القدس الشريف وفى نابلس فأنكر، فقامت عليه البينة بما قاله فأدب وحمل على جمل ثم أعيد فى السجن ثم أحضر إلى مجلس شمس الدين المالكى وأرادوا ضرب عنقه فما كان جوابه الأ أن قال إن القاضى الحنبلى حكم بحقن دمى وبإسلامى وقبول توبتى، فأعيد إلى الحبس إلى أن أحضر الحنبلى فأخبر بما قاله فأحضر وعزر وضرب بالدرة وأركب حمارًا وطيف به فى البلد والصالحية وردوه إلى الحبس - وجرسوا ابن القيم وابن كثير وطيف بهما فى البلد وعلى باب الجوزية لفتواهم فى مسألة الطلاق ا هـ.

قال ابن رجب : قد امتحن وأوذى مرات وحبس مع الشيخ تقى الدين فى المدة الأخيرة بالقلعة منفردًا ولم يفرج عنه إلا بعد موت الشيخ ا هـ.

وقد سقت هنا نماذج من كلمات أصحابه وأضداده والمتحايدين فى حقه فى هذا الكتاب، وأرجو أن الحق لا يتعدى ما دللت عليه فى حقه فيما كتبناه.

أحق الناس بالرثاء

وأحق الناس بالرثاء وأجدرهم بالترحم من أفنى عمره فى سبيل العلم منصاعًا لمبتدع يرديه من غير أن يتخير أستاذًا رشيدًا يهديه، ومثله إذا دون أسفارا لا يزداد بها إلا بعدًا عن الله وأوزارًا، وهو الذى يصبح متفانيًا فى شيخه الزائغ بحيث لا يسمع إلا بسمعه ولا يبصر إلا ببصره فى جميع شئونه، ويبقى فى أحط دركات الجهل من التقليد الأعمى، ولو فكر قليلا لكان أدرك أن من السخف بمكان وضعه لشيخه فى إحدى كفتى الميزان ليوازن به جميع العلماء والفقهاء من هذه الأمة فى كفته الأخرى فيزنهم ويغالبهم به فيغلبهم فى علومهم! وهذا ما لا يصدر من حاظ

بعقله، ولا سيما بعد التفكير فى تلك المخازى من شواذه. نعم يمكن أن يكون عنده أو عند شيخه بعض تفوق فى بعض العلوم على بعض مشايخ حارته أو أهل خطه أو قريته أو مضرب خيام عشيرته، لكن لا يوجب هذا أن يصدق فى ظنه فى حق نفسه أن جو هذه الأرض يضيق عن واسع فهومه، وعرض هذه البحار لا يتسع لزاخر علومه.

أخطر ما يطغى من صنوف الاستغناء

ومن الآفات المردية التى تعترى الإنسان وتقذف به إلى هاوية الخسران طغيانه حينما يرى نفسه على شىء من الاستغناء بمال أو جاه أو علم، لكن المال عرض زائل، والجاه الدنيوى قلما يدوم على حال، وعلم الإنسان مهما اتسع فما أوتى من العلم إلا قليلا، وتلك الخلال لو روعيت حدودها لكانت أكبر عون للمرء على إحراز مرضاة الله سبحانه، وأما إذا اتخذها أداة طغيان فإن ذاك تنقلب تلك النعم مجلبة لسخط الله عز وجل ومقت الخلق، فيصبح ذلك الطاغى من الأخسرين أعمالاً فى الدارين، وليعلم أن ضرر العلم - إذا زاغ صاحبه - دونه كل ضرر، فإن الطاغى بالمال يزول ضرره بزوال ماله، كصاحب الجاه الذى لم يدم جاهه، وأما صاحب العلم الذى لعب به الشيطان وخلد كتبا فيما طغى به فهمه وطاش قلمه، فيدوم ضرره ويتضاعف وزره ما دامت آثاره دارجة يضل بها أناس، فإذا هى أخطر تلك الآفات، ولا يخفف عن مؤلفها العذاب إلا بإعراض الناس عن كتبه المغوية بتنبيه أهل العلم المهتدين على ما حوته من صنوف الزيغ والضلال، فيكون فى الكشف عن مواطن الغواية من أمثال تلك الكتب تخفيف لعذاب مؤلفيها، وصون للأمة عن الوقوع فى مهاويها. وقد عنى الموفقون من علماء هذه الأمة بنقض أمثال تلك الكتب لتلك الغاية النبيلة قديمًا وحديثًا ومن هلك بعد ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

ردود السبكى على ابن تيمية
والكلام فى رده على نونية ابن القيم

وللحافظ التقى السبكى فضل مشكور وعمل مبرور فى الرد على ابن زفيل

وشيخه فى شواذهما المردية، ومن جملة مؤلفاته فى هذا الصدد «رده على نونية ابن القيم» وقد نقل السيد محمد المرتضى الزبيدى فى شرح الإحياء عند الكلام على إمامى أهل السنة عن هذا الرد المسمى «السيف الصقيل فى الرد على ابن زفيل» جملة نافعة من مقدمته. والتقى السبكى أوجز فى رده مكتفيا بلفت النظر إلى كلمات الناظم الخطرة فى الغالب بدون أن يناقشه فيها كثيراً، باعتبار أن الاطلاع عليها يكفى بمجرده فى نبذها وتضليل قائلها، ولو كان السبكى يرى ابن القيم يستأهل المناقشة لأوسع فى الرد عليه، لأنه كان أنظر أهل عصره - كما قال الأسنوى وغيره من المحققين - لكنه كان يعده فى غاية من الغباوة فاكتفى فى غالب الأبحاث بلفت نظر عامة العلماء إلى أهوائه البشعة، والتقى السبكى من ألطف أهل العلم لهجة وأنزههم لسانًا مع من يرد عليهم. لكن حيث إن الناظم أسرف فى ضلاله وإضلاله اضطر التقى فى رده عليه إلى بعض إغلاظ فى حقه صونًا لمن سعى أن ينخدع بتلبيساته، وقرعًا للعبد بالعصا، وهو معذور فى ذلك بل إغلاظه ليس بشىء فى جنب ما تقول به ابن القيم فى حق جمهور أهل الحق.

ودونك نونيته التى رد عليها السبكى وهى أصدق شاهد لما قلنا.

ونونية ابن القيم هذه من أبشع كتبه وأبعدها غوراً فى الضلال وأشنعها إغراء للحشوية ضد أهل السنة، وأوقحها فى الكذب على العلماء كما ترى إيضاح ذلك فى مقدمة «السيف الصقيل» فلا نزاحم السبكى فى شرح بشاعة طريقته فيها إلا أنا نشير هنا إلى أن ابن القيم كلما تراه يزداد تهويلاً وصراخًا باسم السنة فى كتابه هذا يجب أن تعلم أنه فى تلك الحالة متلبس بجريمة خداع خبيث وأنه فى تلك الحالة نفسها فى صدد تلبيس ودس شنيعين، وإنما تلك التهويلات منه لتخدير العقول عن الانتباه لما يريد أن يدسه فى غضون كلامه من بدعه المخزية كما يظهر من مطالعة النونية بتبصر ويقظة.

وإنما اختار طريق النظم فى ذلك ليسهل عليه أن يهيم فى كل واد، ولولا أنها طبعت مراراً وتكراراً ممن لا بغية له من طبعها غير عدد من القرش يملأ به الكرش. قام بذلك الدين أم قعد، بدون أن يقوم أحد من العلماء المعاصرين بالرد

عليها، لكان إهمال الرد عليها أنسب لكن لم يبق بعد تكرر طبعها مع تقاعس أهل العلم عن ردها مساغ للإهمـال، فوجب تقويض دعائمها بنشـر كتاب السبكى مع تعليق كلمات عليه فى مواضع رأيناها فى حاجة إلى التعليق، وقد سميت ما علقته «تكملة الرد على نونية ابن القيم».

والله سبحانه ولى النفع وعليه توكلت وإليه أنيب،،،

محمد زاهد بن الحسن الكوثرى

عفى عنهما

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب للمؤلف

(قال الإمام الحجة أبو الحسن على بن عبد الكافى السبكى رضى الله عنه):

يا عالمًا بكل شىء، قادرًا على كل شىء، ارحم عبدًا جاهلاً بكل شىء، عاجزًا عن كل شىء، خلق ضعيفًا تتنوشه الآفات من جميع الجهات ويستغرقه احتياجه على ممر الأنفاس واللحظات، مدته فى الدنيا قصيرة لو صرفها كلها فى طاعة ربه، وعلم نافع به سلامة قلبه كان موفقًا يقتصر على خويصة نفسه وهذا يحتاج إلى مدد إلاهى فى دنياه فى صحة جسمه وكفايته وكفاية من يتعلق به فى القوت وما يتعلق به ودفع الأذى عنه، وفى دينه بسلامة قلبه من العقائد الفاسدة، وإقباله على الله تعالى وسلامة جوارحه من المعاصى وقيامها بما افترض الله عليها، وسلامته فى قلبه وجسمه من شياطين الإنس والجن ونفسه وهواه وفى علمه فلا يشتغل من العلوم إلا بما ينفع وهو القرآن والسنة والفقه وأصول الفقه والنحو ويأخذها عن شيخ سالم العقيدة ويتجنب علم الكلام والحكمة اليونانية، والاجتماع بمن هو فاسد العقيدة أو النظر فى كلامه.

وليس على العقائد أضر من شيئين: علم الكلام والحكمة اليونانية، وهما فى الحقيقة علم واحد، وهو العلم الإلهى لكن اليونان طلبوه بمجرد عقولهم، والمتكلمون طلبوه بالعقل والنقل معًا وافترقوا ثلاث فرق إحداها غلب عليها جانب العقل وهم المعتزلة[1] والثانية غلب عليها جانب النقل وهم

قول أبى الحسين الطرائفى فى المعتزلة:

(١) وعنهم يقول أبو الحسين محمد بن أحمد الطرائفى الشافعى المتوفى سنة ٣٧٧ هـ فى كتاب الرد على أهل الأهواء والبدع: «وهم أرباب أنواع الكلام وأصحاب الجدل والتميز والنظر والاستنباط والحجج على من خالفهم، والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل والمتصفون فى مناظرة الخصوم، وهم عشرون فرقة يجتمعون على أصل واحد لا يفارقونه وعليه يتولون وبه يتعادون وإنما اختلفوا فى الفروع وهم سموا أنفسهم معتزلة، وذلك عندما بايع الحسن بن على عليه السلام معاوية وسلم إليه الأمر اعتزلوا الحسن ومعاوية وجميع الناس - وذلك أنهم كانوا من أصحاب على - ولزموا منازلهم ومساجدهم، وقالوا نشتغل بالعلم والعبادة فسموا بذلك معتزلة» اهـ ثم ذكر أئمتهم من البصريين والبغداديين وسرد =

الحشوية[1] والثالثة ما غلب عليها أحدهما بل بقى الأمران مرعيين عندها على حد سواء وهم الأشعرية وجميع الفرق الثلاث فى كلامها مخاطرة إما خطأ فى بعضه وإما سقوط هيبة، والسالم من ذلك كله ما كان عليه الصحابة والتابعون وعموم الناس الباقون على الفطرة السليمة، ولهذا كان الشافعى رضى الله عنه ينهى عن الاشتغال بعلم الكلام ويأمر بالاشتغال بالفقه فهو طريق السلامة، ولو بقى الناس

= بعض آرائهم فى عدة أوراق. وهو من محفوظات الظاهرية بدمشق تحت رقم ٥٩ فى التوحيد ولمتقدميهم فضل الدفاع عن الدين الإسلامى والرد على الزنادقة والنصارى واليهود، لكن تحكيمهم للعقل وكثرة احتكاكهم يبرق الزيغ أديا بكثير منهم ولا سيما المتأخرين إلى صنوف من البدع الرديئة كما أشرت إلى ذلك فى مقدمة ما كتبته على «تبيين كذب المفترى».

(١) ومنهم أصناف المشبهة والمجسمة، وسبب تسميتهم حشوية أن طائفة منهم حضروا مجلس الحسن البصرى بالبصرة وتكلموا بالسقط عنده فقال: ردوا هؤلاء إلى حشا الحلقة - أى جانبها - فتسامع الناس ذلك وسموهم الحشوية بفتح الشين، ويصح إسكانها - لقولهم بالتجسيم لأن الجسم محشو - راجع شفاء الغليل للشهاب الخفاجى، وذيل لب اللباب فى تحرير الأنساب للشيخ المحدث أبى العباس أحمد العجمى، ومقدمة ما كتبنا، على تبيين كذب المفترى. والحشوية هم الذين حادوا عن التنزيه وتقولوا فى الله بأفهامهم المعوجة وأوهامهم الممجوجة، وهم مهما تظاهروا باتباع السلف إنما يتابعون السلف الطالح دون السلف الصالح ولا سبيل إلى استنكار ما كان عليه السلف الصالح من إجراء ما ورد فى الكتاب والسنة المشهورة فى صفات الله سبحانه على اللسان، مع القول بتنزيه الله سبحانه تنزيها عامًا بموجب قوله تعالى ﴿ليس كمثله شيء﴾ بدون خوض فى المعنى ولا زيادة على الوارد ولا إبدال ما ورد بما لم يرد. وفى ذلك تأويل إجمالى بصرف الوارد فى ذات الله سبحانه عن سمات الحدوث من غير تعيين المراد وهم لم يخالفوا فى أصل التنزيه الخلف الذين يعينون معنى موافقًا للتنزيه بما يرشدهم إليه استعمالات العرب وأدلة المقام وقرائن الحال على أن الخلف يفوضون علم ما لم يظهر لهم وجهه كوضح الصبح إلى الله سبحانه.

فالخلاف بين الفريقين هين يسير وكلاهما منزه، وإنما السبيل على الذين يحملون تلك الألفاظ على المعانى المتعارفة بينهم عند إطلاقها على الخلق ويستبدلون بها ألفاظًا يظنونها مرادفة لها ويستدلون بالمفاريد والمناكير والشواذ والموضوعات من الروايات. ويزيدون فى الكتاب والسنة أشياء من عند أنفسهم ويجعلون الفعل الوارد. صفة إلى نحو ذلك فهؤلاء يلزمون مقتضى كلامهم وهم الحشوية. فمن قال إنه استقر بذاته على العرش وينزل بذاته من العرش، ويقعد الرسول ﷺ على العرش معه فى جنبه وإن كلامه القائم بذاته صوت وإن نزوله بالحركة والنقلة وبالذات وإن له ثقلاً يثقل على حملة العرش، وأنه متمكن بالسماء أو العرش، وأن له جهة وحداً وغاية ومكانًا، وأن الحوادث تقوم به وأنه يماس العرش أو أحدًا من خلقه ونحو ذلك من المخازى فلا نشك فى زيغه وخروجه وبعده عما يجوز فى الله سبحانه . وهذا مكشوف جدا فلا يمكن ستر مثل تلك المخازى بدعوى السلفية، والذين يدينون بها هم الذين نستنكر عقائدهم ونستسخف أحلامهم، ونذكرهم بأنهم نوابت حشوية.

على ما كانوا عليه فى زمن الصحابة كان الأولى للعلماء تجنب النظر فى علم الكلام جملة، لكن حدثت بدع أوجبت للعلماء النظر فيه لمقاومة المبتدعين ودفع شبههم حذراً من أن تزيغ بها قلوب المهتدين.

الأشعرية أعدل الفرق

والفرقة الأشعرية هم المتوسطون فى ذلك وهم الغالبون من الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة وسائر الناس.

وأما المعتزلة فكانت لهم دولة فى أوائل المائة الثالثة ساعدهم بعض الخلفاء ثم انخذلوا وكفى الله شرهم.

وهاتان الطائفتان الأشعرية والمعتزلة هما المتقاومتان وهما فحولة المتكلمين من أهل الإسلام، والأشعرية أعدلهما لأنها بنت أصولها على الكتاب والسنة والعقل الصحيح.

وأما الحكمة اليونانية فالناس مكفيون شرها، لأن أهل الإسلام كلهم يعرفون فسادها ومجانبتها للإسلام.

وأما الحشوية فهى طائفة رذيلة جهال[(١)] ينتسبون إلى أحمد وأحمد مبرأ منهم. وسبب نسبتهم إليه أنه قام فى دفع المعتزلة وثبت فى المحنة رضى الله عنه، نقلت عنه كليمات ما فهمها هؤلاء الجهال فاعتقدوا هذا الاعتقاد السيئ وصار المتأخر منهم يتبع المتقدم، إلا من عصمه الله ومازالوا من حين نبغوا مستذلين ليس لهم رأس ولا من يناظر وإنما كانت لهم فى كل وقت ثورات ويتعلقون ببعض أتباع الدول ويكفى الله شرهم، وما تعلقوا بأحد إلا كانت عاقبته إلى سوء وأفسدوا اعتقاد جماعة شذوذ من الشافعية[(٢)] وغيرهم ولا سيما بعض المحدثين الذين

---

(١) وهم طوائف كالكرامية والبربهارية والسالمية ولابن الجوزى كتاب (منهاج الوصول إلى علم الأصول) وكتاب (دفع شبه التشبيه بكف التنزيه) أجاد الرد عليهم فيهما، وسبق أن نشر الثانى، ومن جملة ما يقوله ابن الجوزى فيه:

فقد فضحوا ذلك الإمام بجهلهم ومذهبه التنزيه لكن هم اختلوا

وهو بديع فى بابه حجة على من سايرهم من الحنابلة.

(٢) على طول القرون لكن كفى شرهم نظار أهل الحق من الشافعية ولسنا فى صدد سرد أسمائهم هنا ونشير عرضاً إلى بعضهم فيما نعلق على هذا الكتاب.

نقصت عقولهم أو غلب عليها من أضلهم فاعتقدوا أنهم يقولون بالحديث. ولقد كان أفضل المحدثين فى زمانه بدمشق ابن عساكر[1] يمتنع من تحديثهم ولا يمكنهم أن يحضروا مجلسه وكان ذلك أيام نور الدين الشهيد وكانوا مستذلين غاية الذلة.

ثم جاء فى أواخر المائة السابعة رجل له فضل ذكاء واطلاع ولم يجد شيخًا يهديه وهو على مذهبهم وهو جسور متجرد لتقرير مذهبه ويجد أمورًا بعيدة فبجسارته يلتزمها فقال بقيام الحوادث بذات الرب سبحانه وتعالى[2] وأن الله سبحانه ما زال فاعلاً وأن التسلسل ليس بمحال فيما مضى كما هو فيما سيأتى وشق العصا، وشوش عقائد المسلمين وأغرى بينهم ولم يقتصر ضرره على العقائد فى علم الكلام حتى تعدى وقال إن السفر لزيارة النبى ﷺ معصية[3] وقال إن

(١) وقد سبق أن نشر «تبيين كذب المفترى فى الذب عن الأشعرى» له مع مقدمة لنا عليه فى بيان الحالة العامة عند البعثة النبوية ولمعة فى نشأة الفرق وتعليقات على مواضع من الكتاب كنت كتبتها ففيها وفى الكتاب كثير مما يتعلق بالحشوية، ولابن عساكر أيضًا مجلس فى إثبات التنزيه وآخر فى نفى التشبيه، وكتاب فى (بيان وجوه التخليط فى حديث الأطيط) وكتاب فى (سرد الأسانيد فى حديث يوم المزيد) يبين فيها وجوه الضعف فى أحاديث الأطيط وروايات يوم المزيد.

(٢) اتفقت فرق المسلمين سوى الكرامية وصنوف المجسمة على أن الله سبحانه منزه من أن تقوم به الحوادث وأن تحل به الحوادث وأن يحل فى شىء من الحوادث بل ذلك مما علم من الدين بالضرورة، ودعوى أن الله لم يزل فاعلا متابعة منه للفلاسفة القائلين بسلب الاختيار على الله سبحانه، وبصدور العالم منه بالإيجاب، ونسبة ذلك إلى أحمد والبخارى وغيرهما من السلف كذب صريح وتقول قبيح، ودعوى أن تسلسل الحوادث فى جانب الماضى غير محال لا تصدر ممن يعى ما يقول فمن تصور حوادث لا أول لها تصور أنه ما من حادث محقق، وأن ما دخل بالفعل تحت العد والإحصاء غير متناه، وأما من قال بحوادث لا آخر لها فهو قائل بأن حوادث المستقبل لا تنتهى إلى حادث محقق إلا وبعده حادث مقدر، فأين دعوى عدم تناهى ما دخل تحت الوجود فى جانب الماضى من دعوى عدم تناهى ما لم يدخل تحت الوجود فى المستقبل؟ على أن القول بالقدم النوعى فى العالم من لازمه البين عدم تناهى عدد الأرواح المكلفة فأنى يمكن حشر غير المتناهى من الأرواح وأشباحها فى سطح متناه محدود على هذا التقدير؟ فيكون القائل بعدم تناهى عدد المكلفين قائلاً بنفى الحشر الجسمانى بل بنفى الحشر الروحانى أيضًا حيث إن هذا القائل لا يعترف بتجرد الروح فيكون أسوأ حالاً من غلاة الفلاسفة النافين للحشر الجسمانى وفى شواذ ذلك الزائغ كتب خاصة ترد عليه فى بدعه الأصلية والفرعية، ولاستقصاء ذلك موضع آخر.

(٣) وضبطت فتواه بخطه بهذا المعنى وثبت ذلك ثبوتًا شرعيًا وشهد بذلك الإمام جلال الدين القزوينى صاحب التلخيص والإيضاح وألف قاضى قضاة المالكية تقى الدين أبو عبد الله محمد الإخنائى فى الرد عليه (المقالة المرضية فى الرد على من ينكر الزيارة المحمدية) كما ألف فى الرد عليه مؤلف شفاء السقام فى تلك المسألة بل جمع الحافظ الصلاح العلائى طرق حديث الزيارة فى الرد عليه أيضًا بطلب=

الطلاق الثلاث لا يقع وإن من حلف بطلاق امرأته وحنث لا يقع عليه طلاق. واتفق العلماء على حبسه الحبس الطويل فحبسه السلطان[١] ومنعه من الكتابة فى الحبس وأن يدخل إليه أحد بدواة ومات فى الحبس. ثم حدث من أصحابه من يشيع عقائده ويعلم مسائله ويلقى ذلك إلى الناس سرا ويكتمه[٢] جهرًا فعم الضرر بذلك حتى وقفت فى هذا الزمان على قصيدة نحو ستة آلاف بيت يذكر ناظمها فيها عقائده وعقائد غيره ويزعم بجهله أن عقائده عقائد أهل الحديث[٣]. فوجدت هذه القصيدة تصنيفًا فى علم الكلام الذى نهى العلماء عن النظر فيه ولوكان حقّا، فكيف وهى تقرير للعقائد الباطلة وبوح بها وزيادة على ذلك وهى حمل العوام على تكفير كل من سواه وسوى طائفته فهذه ثلاثة أمور هى مجامع ما تضمنته هذه القصيدة.

فالأول من الثلاثة حرام لأن النهى عن علم الكلام إن كان نهى تنزيه فيما تدعو

= ابن الفركاح ولم يستمر على مشايعته بعد ذلك إلا مكسرو الحشوية تحت الخفاء، وكم استتيب وأخذ خطه بالتوبة ثم نقض مواثيقه. راجع (نجم المهتدى)و (دفع الشبه) و(الدرر الكامنة).

(١) الملك الناصر محمد بن قلاوون ولم يكن له عداء شخصى نحو ابن تيمية أصلا كما اعترف بذلك أشياع ابن تيمية لكن لما رأى توالى فتنه واتفق علماء المذاهب ضده ومعهم قاضى قضاة الحنابلة لم يسعه إلا أن يصدر مرسومًا لأهل دمشق ومرسومًا لسائر البلدان أسوة بما أصدره بمصر ضد هذا الزائغ. ونصوص تلك المراسيم مدونة فى (نجم المهتدى) و(عيون التواريخ) و(دفع الشبه) بألفاظ متقاربة فى المعنى وفى الاطلاع عليها عبرة بالغة. وقد تليت تلك المراسيم على المنابر نصحًا للأمة وإفهاما لها أن ذلك الرجل مجسم زائغ اعتقادًا وعملا فلا يجوز الاغترار به.

(٢) ويظهر من ذلك أن نونية ابن القيم لم تكن تذاع فى ذلك العهد إلا سرًا وكفى هذا سعيًا بالفساد ولايحسبن القارئ أن ابن القيم ربما يكون تاب وأناب عن هذه العقيدة الزائغة التى احتوتها تلك القصيدة فإنه يرى فى ترجمته من طبقات الحنابلة لأبن رجب أن ابن رجب سمعها من لفظ ابن القيم عام وفاته وهذا من الدليل على أنه استمر على هذا المعتقد الباطل إلى أواخر عمره وعدد أبياتها ستة الآف بيت إلا واحدًا وخمسين بيتًا.

(٣) وبين أهل الحديث من القدرية والخوارج وصنوف الشيعة والمجسمة من كرامية وبربهارية وسالمية رجال لا يحصيهم العد كما لا يخفى على من له إلمام بعلم الرجال فليس لهم عقيدة جامعة فيكون عزو عقيدة إلى جماعة الحديث مخادعة وتمويها على العقول، فإن كان يريد تخصيص هذا الاسم بصنوف المجسمة فهذه التسمية إنما تكون تسمية ما أنزل الله بها من سلطان، وإنما التعويل على أهل الحديث فى روايتهم الحديث فقط فيما لا يتهمون به، وأما علم أصول الدين فله أئمة معروفون وبراهين مدونة فى كتبهم، وأهل الحديث المبرءون من البدع يسيرون سيرهم.

الحاجة إلى الرد على المبتدعة فيه فهو نهى تحريم فيما لا تدعو الحاجة إليه فكيف فيما هو باطل.

والثانى من الثلاثة: العلماء مختلفون فى التكفير به إذا لم ينته إلى هذا الحد أما مع هذه المبالغة ففى بقاء الخلاف فيه نظر.

وأما الثالث فنحن نعلم بالقطع أن هؤلاء الطوائف الثلاثة الشافعية والمالكية والحنفية وموافقيهم من الحنابلة مسلمون ليسوا بكافرين، فالقول بأن جميعهم كفار وحمل الناس على ذلك كيف لا يكون كفرًا وقد قال ﷺ: «إذا قال المسلم لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما». فالضرورة أوجبت العلم بأن بعض من كفرهم مسلم والحديث اقتضى أن يبوء بها أحدهما فيكون القائل هو الذى باء بها.

مجامع الزيغ فى نونية ابن القيم

وها أنا أذكر مجامع ما تضمنته القصيدة ملخصًا من غير نظر وناظمها[1] أقل من أن أذكر كلامه لكنى تأسيت فى ذلك بإمام الحرمين فى كتابه المسمى بنقض كتاب السجزى، والسجزى هذا كان محدثًا له كتاب مترجم بمختصر البيان وجده إمام الحرمين حين جاور بمكة شرفها الله، اشتمل كتاب السجزى هذا على أمور منها أن القرآن حروف وأصوات. قال إمام الحرمين: وأبدى من غمرات جهله فصولاً وسوى على قصبة سخافة عقله نصولاً، ومخايل الحمق فى تضاعيفها مصقولة وبعثات الحقائق دونها معقولة. وقال إمام الحرمين أيضًا: وهذا الجاهل الغر المتمادى فى الجهل المصر، يتطلع إلى الرتب الرفيعة بالدأب فى المطاعن فى الأئمة والوقيعة. وقال إمام الحرمين أيضًا: صدر هذا الأحمق الباب بالمعهود من شتمه فأفٍّ له ولخرقه فقد والله سئمت البحث عن عواره وإبداء شناره. وقال

(١) وهو ابن زفيل الزرعى المعروف بابن قيم الجوزية كان بمتناول يده من كتب الفرق التى كانت دمشق امتلأت بها بعد نكبة بغداد ونكبة البلاد الشرقية باستيلاء المغول عليها ما يزداد به غواية إلى غوايته وقد حشر فى مؤلفاته ما لم يفهمه ولم يهضمه من أقوال أرباب النحل شأن من خاض فى المسائل النظرية الخطرة من غير أستاذ رشيد فحصل فى تفكيره ما يحصل فى معدة الشره المتخوم فأصبحت مؤلفاته محشر الأقوال المتناقضة ولم ينخدع بها إلا من ظن أن العلم هو حشد المصطلحات من غير نظام يربط بعضها ببعض وبدون تمحيص الحق من الباطل.

الإمام أيضًا: وقد كسا هذا التيس الأئمة صفاته. وقال الإمام أيضًا: أبدى هذا الأحمق كلامًا ينقض آخره أوله فى الصفات وما ينبغى لمثله أن يتكلم فى صفات الله تعالى على جهله وسخافة عقله. وقال الإمام أيضًا قد ذكر هذا اللعين الطريد المهين الشريد، فصولاً وزعم أن الأشعرية يكفرون بها فعلية لعائن الله تترى، واحدة بعد أخرى، وما رأيت جاهلاً أجسر على التكفير وأسرع إلى التحكم على الأئمة من هذا الأخرق، وتكلم السجزى فى النزول والانتقال والزوال والانفصال والذهاب والمجئ فقال الإمام ومن قال بذلك حل دمه وتبرم الإمام كثيرًا من كلامه معه[١].

تأسى السبكى بإمام الحرمين
فى الرد على بعض جهلة أهل الحديث

وها أنا أيضًا أقتدى بالإمام فى كلامى مع هذا الجاهل متبرمًا لكن خشية على عقائد العوام تكلمت.

والسجزى الذى رد عليه الإمام أعرف ترجمته محدث[٢] لايصل ناظم هذه

(١) وعن هذا السجزى يقول أبو جعفر اللبلى الأندلسى فى فهرسته: وكذلك اللعين المعروف بالسجزى فإنه تصدى أيضًا للوقوع فى أعيان الأئمة وسرج الأمة بتأليف تالف وهو على قلة مقداره وكثرة عواره ينسب أئمة الحقائق وأحبار الأمة وبحور العلوم إلى التلبيس والمراوغة والتدليس وهذا الرذل الخسيس أحقر من أن يكترث به ذما ولا يضر البحر الخضم ولغة كلب.

ما يضر البحر أمسى زاخرًا ... أن رمى فيه غلام بحجر

فمما ذكر هذا المنافق الحائد جهله عن الحقائق أن من مذهب الأشعرية أن النبوة عرض من الأعراض والعرض لا يبقى زمانين وإذا مات النبى زالت نبوته وانقطعت دعوته، وهذه من جملة حكاياته وتقولاته المستبعدة اهـ وسيأتى الرد على هذا الهذيان. وقد وفاه اللبلى الكيل صاعًا بصاع.

(٢) ومن الغريب أن السجزيين مهما علت منزلتهم فى الرواية يقل بينهم جدًا من يكون طاهر الذيل ناصع الجبين من فحش التشبيه ووصمة التجسيم كما لا يخفى على من بحث فى مؤلفاتهم بتبصر وأرى ذلك من عدوى مرض شيخ المجسمة أبى عبد الله محمد بن كرام السجزى الذى بتقشفه كان سحر ألباب أهل سجستان وتاريخه فى غاية من الشهرة. وهذا السجزى هو أبو نصر الوائلى. مؤلف الإبانة المتوفى سنة ٤٤٤ وصاحبه السعد الزنجانى بمكة مثلة فى التشبيه مع أنهما ينتحلان مذهب الشافعى. ومن هذا الطراز الآجرى صاحب كتاب الشريعة قبلهما ويرثى لحال من يميل إلى التشبيه مع جلالة مقداره فى الحديث ونحن لا نعول على الرجل إلا فى العلم الذى يتقنه دون سائر العلوم فكم بين أهل الحديث من هو أنزل منزلة من العامى فى علم أصول الدين والفقه وكذلك سائر العلماء فى غير علومهم.

القصيدة إلى عشره فى الحديث ولكن الإنسان يضطر إلى الكلام مع الجهال والمبتدعين صيانة لعقائد المسلمين وليت كلامى كان مع عالم أو مع زاهد أو متحفظ فى دينه صين فى عرضه قاصد للحق ولكنها بلوى نسأل الله حسن عاقبتها وبعد أن كنت قصدت الاقتصار على اختصار مجامعها عن لى هنا أن أستوعب كلماتها لأطفى جمراتها.

فصل

مناظرة خيالية بين المشبه والمنزه.. إلخ

قال: «جمع مجلس المذاكرة بين مثبت للصفات والعلو ومعطل» إلى أن قال: «من كلام المثبت أن كهيعص وحمعسق وق ون كلام الله حقيقة وأن الله تكلم بالقرآن العربى الذى سمعه الصحابة».

مراده بذلك أن كلام الله حرف وصوت وهذا الجاهل لا يفرق بين كلام الله واللفظ الدال عليه(١).

ثم قال: «ومن قال ليس لله فى الأرض كلام فقد جحد رسالة محمد ﷺ» هذا الكلام يحتمل وجهين(٢) لا نطول بهما، ثم قال؟: «إن الله فوق سمواته». يقول

(١) بل بين الكلام اللفظى والكلام النفسى وفى أوائل تفسير (روح المعانى) بسط لطيف فى الكلام النفسى بحيث لا يدع شكا لمرتاب. وبعد أن انتهى الآلوسى فيه من الكلام فى الكلام النفسى قال: ومن أحاط بذلك اندفع عنه كل إشكال فى هذا الباب ورأى أن تشنيع ابن تيمية وابن القيم وابن قدامة (الموفق) وابن قاضى الجبل والطوفى (سليمان بن عبد القوى) وأبى نصر (السجزى) وأمثالهم صرير باب أو طنين ذباب... وقد انحرفت أفكارهم واختلطت أنظارهم فوقعوا فى علماء الأمة وأكابر الأئمة وبالغوا فى التعنيف والتشنيع وتجاوزوا فى التسخيف والتفظيع ولولا الخروج عن الصدد لوفيتهم الكيل صاعًا بصاع ولتقدمت إليهم بما قدموا باعًا بباع ولعلمتهم كيف يكون الهجاء بحروف الهجاء ولعرفتهم إلام ينتهى المراء بلا مراء:

ولى فرس للحلم بالحلم ملجم ... ولى فرس للجهل بالجهل مسرج
فمن رام تقويمى فإنى مقوَّمٌ ... ومن رام تعويجى فإنى معوج

على أن العفو أقرب للتقوى والإغضاء مبنى الفتوة وعليه الفتوى والسادة الذين تكلم فيهم هؤلاء إذا مروا باللغو مروا كراما وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ا.هـ.

(٢) لعله يريد وجود الكلام النفسى ووجود الكلام اللفظى فنفى وجود الثانى فى الأرض نفى لوجود كتاب=

له: أين قال الله أو رسوله إنه فوق سمواته؟ وأنت قلت مخلوقاته شيء من ذاته ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، فقد نسبت إلى قول الله ما لم يقله. ومن هو المعطل الذى عنيته فإنا لا نعرف اليوم أحداًمعطلاً يتظاهر بين المسلمين بل ولامعتزليّا ولا فيلسوفًا يتظاهر بقول الفلاسفة[1] فلعلك عنيت الأشعرية فإنهم القائمون اليوم من أكثر المذاهب ثم قال:[2] «فلما سمع المعطل منه ذلك أمسك ثم أسرها فى نفسه وخلا بشياطينه وبنى جنسه وأوحى بعضهم إلى بعض أصناف المكر والاحتيال وراموا أمراً يستحمدون به إلى نظرائهم من أهل البدع والضلال وعقدوا مجلسًا بيتوا فيه مالا يرضاه الله من القول وراموا استدعاء المثبت ليجعلوا نزله ما لفقوه من الكذب وتمموه فلم يتجاسروا وخذلهم المطاع فمزق ما كتبوه من المحاضر، فسعى فى عقد مجلس عند السلطان فلم يذعنوا فطالبهم بإحدى ثلاث: مناظرة فأبوا، فدعاهم إلى مكاتبة فأبوا، فدعاهم إلى المباهلة[3] بين الركن والمقام فلم يجيبوا فحينئذ عقد المثبت لله مجلسًا بينه وبين خصمه وما كان أهل التعطيل أولياءه إن أولياؤه إلا المتقون».

هذا كله مقصوده به والله أعلم طوائف الأشعرية الشافعية والمالكيةو الحنفية

= الله وشرعه فى الأرض وهو كفر صراح ولا قائل بذلك من فرق المسلمين. وأما زعم وجود الكلام النفسى القائم بالله فى الأرض فقول بالحلول كقول النصارى فى الكلمة، وقد كفر غير واحد من أئمة السنة، السالمية على قولهم بأنه تعالى يقرأ على لسان كل قارئ، تعالى الله عما يأفكون. وقد ذكرنا مايتعلق بذلك بنوع من البسط فيما علقناه على التبيين وفى (لفت اللحظ إلى ما فى الاختلاف فى اللفظ).

(١) هذا بالنظر إلى عهد المؤلف، فإن العلماء كانوا قائمين بواجبهم إذ ذاك يوقفون المبتدعة الذين يحاولون الاعتداء على حريم قدس الدين عند حدهم وما ألف فى الرد على هذا الزائغ وشيخه من الكتب فى ذلك العصر يعد بالعشرات فضلا عن باقى أهل الضلالة. وأما اليوم فقلما تجد بين العلماء من يسهر على السنة النقية البيضاء والدين الحنيف فاتسع المجال لتمويه الضلال وأدعو الله سبحانه أن يوقظ أهل الشأن من سباتهم العميق ويرشدهم إلى حراسة الشرع من اعتداء المعتدين.

(٢) مما اختص به ناظم القصيدة من بين دعاة الحشوية تصوير مناظرات فى مسائل يدس فى غضون كلام الطرفين ما يشاء من وسائل استدراج الضعفاء إلى ضلاله وهذه طريقة الأقدمين من أعداء الدين بعثها من مرقدها هذا الناظم ليصل إلى إضلالهم بطريقة روائية خيالية فمن مشى على الاستسلام له فيما يراه من مناظراته الخيالية فى هذا الكتاب وفى شفاء العليل وأعلام الموقعين ونحوها فإنه معرض للانحلال وسنكشف الستار عن وجوه تضليله وتدجيله بحول الله وتوفيقه.

(٣) راجع الآية ٦١ من سورة آل عمران.

الذين كانوا مقاومين لابن تيمية فهم الذين يسميهم المعطلة، وكان مراده بالمثبت ابن تيمية والعاقد للمجلس فيما بينه وبين خصمه إما ابن تيمية وإما هذا النحس المتشبع بما لم يعط.

فصل

أمثال مضروبة للمعطل والمشبه والموحد

قال: «وهذه أمثال حسان مضروبة للمعطل والمشبه والموحد»

مقصوده بالمعطل الجماعة الأشعرية، وبالموحد نفسه وطائفته، والمشبه لا وجود له عنده. ومقصود غرمائه بالمشبه هو وطائفته وبالموحد أنفسهم، والمعطل لاوجود له الآن عندهم، لأن المعطل هو المنكر للصانع، والمشبه هو الذى شبهه بخلقه وهذا على ظاهره لا يوجد من يقول به لكن بما يلزم عنه، ولاشك أن لزوم التشبيه له أظهر من لزوم التعطيل لغرمائه، وإذا امتحن الإنسان نفسه قطع بأن الأشعرى ليس بمعطل وأن هذا النحس مشبه ولا ينجيه إنكاره باللسان وقد اعترف على نفسه بأن من شبه الله بخلقه فقد كفر. واندفع فى ضرب الأمثلةبما لا نطول به.

فصل

من قصيدته النونية

قال فى قصيدته التى أهدت الجرى إليه وفرقت سهام النبال عليه:

«إن كنت كاذبة الذى حدثتنى ... فعليك إثم الكاذب الفتان

جهم بن[1] صفوان وشيعته الألى ... جحدوا صفات الخالق الديان

بل عطلوا منه السماوات العلى ... والعرش أخلوه من الرحمن»

---

(١) جهم بن صفوان زائغ باتفاق بين أهل السنة والمعتزلة، يقول بنفى الخلود فى الجنة وفى النار، وتابعه ناظم القصيدة فى شطر هذا المعتقد حيث يقول لا خلود للكفار فى النار تبعًا لشيخه وهو كفر عند جمهور أهل الحق. وكان جهم منبوذًا لم يبق بعد قتله من تابعه أصلا ومن يقال فيه من المتكلمين إنه جهمى من قبيل النبز بالألقاب، وقد توسعت فى بيان ذلك بعض توسع فيما علقته على الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة وليس بين المعتزلة فضلا عن الأشاعرة من ينفى أن الله سبحانه عالم قدير سميع بصير... إلى آخر تلك الصفات الواردة فى الكتاب والسنة المشهورة حتى يصح رميهم بجحد الصفات وجل الإله سبحانه من=

أما جهم فمضى من سنين كثيرة ولا يعرف اليوم أحد على مذهبه فعلم أن مراد هذا الناظم بالجهمية الأشعرية من الشافعية والمالكية والحنفية وفضلاء الحنابلة فليعلم اصطلاحه وكل ما ينسبه إلى الجهمية فمراده بها هؤلاء. والمعتزلة يشاركون الأشعرية فى ذلك لكن ما منهم أحد موجود فى هذه البلاد وإن كان موجوداً فلا ظهور له، فكلما قال هذا الناظم عن جهم فى هذه القصيدة فمراده، الذى مذهبه مذهب الأشعرى.

فصل

تخيل الناظم فى أفعال العباد.. إلخ

قال:

والعبد عندهم فليس بفاعل بل فعله كتحرج الرجفان

كذب هذا الجاهل فى قوله: إن العبد عندهم ليس بفاعل. ولكن مراده بذلك قولهم: إنه لا يخلق فعله. وليس بخالق والله سبحانه هو خالق أفعال العباد، فاعتقد هذا الجاهل[1] بسبب ذلك أنهم يقولون إنه ليس بفاعل. وكون العبد ليس بخالق حق، وكونه ليس بفاعل باطل، والفاعل من قام به الفعل والفعل قائم بذات العبد، والخالق من أوجد الفعل ولا يوجده إلا الله. وقوله: كتحرك الرجفان جهل منه فإنه لم يفرق بين الجبر ومذهب الأشعرى ثم قال:

والله يصليه على ماليس من أفعاله حر الحميم الآن

= أن يكون له مكان يحويه فلا يقال إن السماء ظرف له ولا إن العرش مستقر ذاته فأين فى كتاب الله مثل ذلك أو تفسير الاستواء بالاستقرار إنما هو قول مقاتل بن سليمان شيخ المجسمة وقول الكلبى الزائغ.

(١) أقل ما يقال فى هذا الناظم أنه جاهل، فإذا طالعت ما ذكره فى شفاء العليل عن كسب العبد تجده ينقل عن نظامية إمام الحرمين قوله فى أفعال العباد فيسايره إلى أبعد حد ثم يتراجع فيقع فى أحط دركات الجبر ثم يقع فى المعتزلة وقيعة لا مزيد عليها ثم تجده يسبقهم فى التجرؤ والحاصل أنه جماع لآراء الناس من غير أن يعقلها على وجوهها فيتخبط تخبط من به مس، وهو يصور مناظرات خيالية بين سنى وجبرى وأخرى بين سنى وقدرى، فى شفاء العليل يدس فى خلالها أموراً ينقض بعضها بعضاً وذلك كله من سوء فهمه وضغطه لذهنه بشتى الأنظار التى هو غير مستأهل لتحقيقها وتمحيص الحق من بينها فتتشوه الحقائق فى ذهنه وتكتسى أسمج الصور كما هو شأن ما ينعكس فى المرايا المحدبة والمقعرة وشأن من اختلت بصيرته، نسأل الله العافية.

استمر هذا الجاهل على جهله وكذبه. وكذلك قوله: «لكن يعاقبه على أفعاله» ثم قال: «والظلم عندهم المحال لذاته» نعم إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. وكيف يتصور الظلم والكل ملكه ثم قال: «أنى ينزه عنه ويكون مدحًا ذلك التنزيه» قلنا يا جاهل اجترأت على الله وعلى عباده فلم تفرق بين الفعل والخلق وظننت بجهلك أنهما سواء وأنه لا يعاقب على فعله، وقلت: «ما هذا بمعقول لذى الأذهان» وأى ذهن لك حتى تعقل به وأنت عن تعقل أحكام الربوبية بمعزل؟ وهل مثلك ومثل من هو أكبر منك إلا كمثل الخفاش بالنسبة إلى ضوء النهار؟.

فصل

قال:

وكذاك قالوا ما له من حكمة[1]   هى غاية للأمر والإتقان

انظر هذه الجراءةوالكذب والبهت على العلماء وما قال إنهم نسبوه إلى الله ثم قال:

ما ثم غير مشيئة قد رجحت   مثلاً على مثل بلا رجحان

أبصر هذا الفدم البليد الفهم ساء سمعًا فساءإجابة كأنه سمع كلام الأشعرية فما فهمه وظن أنهم يقولون إن الأفعال كلها سواء بالنسبة إلى كل شىء وإن المشيئة رجحت بعضها على بعض مع تساويها وأنه ما ثَم غير المشيئة وجعل المشيئة هى المرجحة ولم يذكر القدرة والتبس عليه الرجحان الحاصل فى الفعل بالرجحان الذى

(١) ولا قائل بذلك مطلقًا بين فرق المسلمين، الذين علموا من الدين بالضرورة أن الله عزيز حكيم، وأما كون أفعال الله سبحانه غير معللة بالأغراض فليس من نفى الحكمة فى شىء بل من قبيل التهيب والاحتراز من القول بأن هناك غرضًا يحمل الله سبحانه على الفعل استحصالا لذلك الغرض الذى لا يحصل إلا بذلك الفعل. ولا يخفى أن هذا مما يجب الاحتراز منه لعدم ورود إطلاق مثل ذلك فى الكتاب والسنة ولما فى ذلك من الاستكمال بالغير. وأما قول محققى أهل الفقه بوجود حكم ومصالح فيها ترجع إلى العباد سواء عقلناها أو لم نعقلها فليس فيه ما يوجب التهيب بل هو محض الصواب هذا عند القائلين بأن الله فاعل بالاختيار كما هو الحق وأما الذين يعدونه فاعلا بالإيجاب كالفلاسفة فلا يتصورون هناك لاغرضًا ولا حكمة وليس المراد هنا بالوجوب الضرورة بشرط المحمول. ومن الغريب أن ابن القيم قائل بالإيجاب حتى تراه يدافع عن أن الحوادث لا أول لها ومع ذلك يرى أنها معللة بالأغراض وما هذا إلا تهاتر.

هو موجب للفعل أو باعث عليه، ومن لا يكون اشتغل بشيء من العلوم كيف يتكلم في هذه الحقائق؟ ثم قال:

هذا وما تلك المشيئة وصفه — بل ذاته أو فعله قولان

ليتني ما شرعت في الكلام مع هذا... ينبغي أن يطالب بالقولين على هذه الصورةوبالقول بأنه ما تلك المشيئة وصفه وإنما سمع كلامًا إما من كلامهم وإما من شيخه فمافهمه هو أو ما فهمه شيخه وعبر عنه بهذه العبارة الرديئة، وإن أراد بهذا البيت المعتزلة فقد خلط كلام المعتزلة بكلام الأشعرية.

ثم قال: وكلامه مذ كان غيرًا كان مخلوقًا له

هذا بالنسبة إلى المعتزلة ثم قال:

قالوا وإقرار العباد بأنه — خلاقهم هو منتهى الإيمان

لم يقولوا كذلك، أما أولاً فلأنه لابد من الشهادتين، وأما ثانيًا فمنتهى الإيمان يشعر بالإيمان الكامل ولم يقل بهذا أحد، وأما ثالثًا فقوله «فالناس في الإيمان شيء واحد» ليس ممايحسن[١] وأما رابعًا فكما ذكره عن أبي جهل وغيره[٢] أنه لم

---

(١) لأنه إن أراد أن الناس متساوون في الإيمان فهذا باطل لأن من الناس من هو مؤمن ومن هو كافر وإن أراد أن المؤمنين متساوون في الإيمان فلا يصح ذلك أيضًا فإن منهم من هو كامل الإيمان باستكمال العمل ومنهم من هو غير كامل الإيمان بإخلاله بالعمل وإن كانوا متساوين في المؤمن به وفي الجزم المنافي لتجويز النقيض، على أن طريق حصول هذا الجزم مختلف في المؤمنين فيتفاوت إيمانهم باعتبار عدم قبوله الزوال أصلا أوقبوله الزوال ببطء أو بسرعة، فالعامي الجازم معرض لزوال الإيمان بأدنى تشكيك والعالم الجازم بالبراهين يمكن زوال إيمانه بطروء شبهة، وإيمان الأنبياء لا يحتمل الزوال أصلا لأن طريق حصوله الوحي والمشاهدة.

(٢) من عبدة الأوثان واليهود والنصارى وفرعون وقارون وهامان ونحوهم. ولو تذكر ابن القيم قول يوسف عليه السلام [كما حكى القرآن الكريم] ﴿أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف:٣٩] وقول إبراهيم عليه السلام [كما حكى القرآن الكريم] ﴿أإفكا آلهة دون الله تريدون﴾ وقول الكفار حينما دعاهم الرسول ﷺ إلى كلمة التوحيد [كما حكى القرآن الكريم] ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص:٥] وقوله في التلبية (لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك) لاستحيا أن يفوه بذلك وبقوله:

هل كان فيهم منكر للخالق الـ — ـرب العظيم مكون الأكوان
فليبشروا ما فيهم من كافر — هم عند جهم كاملو الإيمان

=

يكن فيهم منكر للخالق، يكفى فى الرد عليه أن كل من سمعه يتخذه ضحكة.

فصل

قال: «وقضى - يعنى جهما - وشيعته الذين هم الأشعرية بزعمه بأن الله كان معطلاً، والفعل ممتنع بلا إمكان ثم استحال وصار مقدوراً له من غير أمر قام بالديان» مقصوده أن الله مازال يفعل وهذا يستوجب[1] القول بقدم العالم وهو كفر.

فصل

استنكار الناظم إعادة المعدوم... إلخ

قال: «وقضى الله بأن يجعل خلقه عدمًا ويقلبه وجودًا ويعيد ذا المعدوم.، هذا المعاد وذلك المبدأ لذى جهم وقد نسبوه للقرآن هذا الذى قال ابن سينا والألى قالوا مقالته إلى الكفران لم تقبل الأذهان ذا، وتوهموا أن الرسول ﷺ عناه بالإيمان، هذاكتاب الله أنى قاله أو عبده أو صحبه أو تابع، بل صرح الوحى بأنه مغير الأكوان وتحدث الأرض وتشهده أفيشهد العدم».

أجمع المسلمون على أن الله قادر على أن يعدم الخلق ثم يعيده وعلى أن إنكار ذلك كفر وجمهور المسلمين على أن الواقع ذلك لقوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن:٢٦] و ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨] وقيل إن الأجسام تتفرق ثم تعاد وقوله (أفيشهد العدم) أنحن قلنا تشهد وهى عدم إنما تشهد بعد الإعادة فانظر كلام هذا الجاهل وقوله(لم تقبل الأذهان ذا) إن كان ينكر إمكانه

= فأين توحيد الربوبية والألوهية من توحيد الخالقية والرازقية؟ على تقدير تسليم شمول آية توحيد الخالقية لهم بل الضمير فى (ولئن سألتهم) بعيد عن العموم. ومعتقد المؤمنين: أنه لا رب ولا إله ولا خالق ولا رازق سوى الله عز وجل. وهذا هو إيمان المؤمنين على رغم تقول الزائغين المائلين إلى الخوارج المستهجنين لمعتقد المؤمنين.

(١) وهذا الاستلزام بين وما يقال من أن لازم المذهب ليس بمذهب إنما هو فيما إذا كان اللزوم غير بين، فاللازم البين لمذهب العاقل له وأما من يقول بملزوم مع نفيه للازمه البين فلا يعد هذا اللازم مذهبًا له لكن يسقطه هذا النفى من مرتبة العقلاء إلى درك الأنعام وهذا هو التحقيق فى لازم المذهب فيدور أمر القائل بما يستلزم الكفر لزومًا بينًا بين أن يكون كافراً أو حماراً.

(وكونه مقدوراً لله) فهو كافر وإن لم ينكر إلا وقوعه فهو مذهب ضعيف. ثم قال «هذا الذى جاء الكتاب وسنة الهادى به، ما قال إن الله يعدم خلقه طرّا كقول الجاهد الحيران» أقول قد قال تعالى ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ولو كانت الإعادة جمع الأجزاء بعد تفريقها أو الإتيان بغيرها لم تنطبق على الآية فإن الآية تقتضى أن جميع ما بدأ به الخلق يعيده وإنما يكون كذلك إذ أعدمه ثم أعاده بعينه، والله قادر على ذلك وقال تعالى ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧] وإنما أهون بالنسبة إلى الشاهد لأن الإعادة فى الشاهد فعل على مثال وهو أهون من الابتداء لأنه فعل على غير مثال مع اشتراكهما فى الإخراج من العدم إلى الوجود. وعند هذا المتخلف ما أخرج المعاد من العدم إلى الوجود بل من صفة إلى صفة يتعالى الله عن قوله فهذا القول منه بما دل عليه من أن الإبراز من العدم إلى الوجود فى الإعادة غير مقدور، كفر إلا إذا تأول على الوقوع مع الموافقة على الإمكان وليس ظاهر الكلام ففى قبول قوله إذا ادعاه نظر لأن هذا يتكرر وتكرير هذه الأمور يشبه الزندقة.

فصل

زعم الناظم قيام الله بالحوادث

قال: «وقضى بأن الله ليس بفاعل فعلاً يقوم[1] به بلا برهان» مقصود الناظم أن

---

(١) قال الأستاذ أبو منصور عبد القاهر البغدادى فى كتاب (الأسماء والصفات): إن الأشعرى وأكثر المتكلمين قالوا بتكفير كل مبتدع كانت بدعته كفراً أو أدت إلى كفر، كمن زعم أن لمعبوده صورة أو أن له حدّاً ونهاية أو أنه يجوز عليه الحركة والسكون.. ولا إشكال لذى لب فى تكفير الكرامية مجسمة خراسان فى قولهم إنه تعالى جسم له حد ونهاية من تحته وأنه مماس لعرشه وأنه محل الحوادث وأنه يحدث فيه قوله وإرادته ا.هـ. (راجع الفتاوى الحلبيات فى أجوبة المؤلف عن ٦٤ مسألة سأله عنها الشهاب الأذرعى) وكثيراً ما ترى الناظم يلهج بقيام الأفعال الحادثة بالله تعالى وينطق بلوازم الجسمية والتشبيه بكل صراحة وفى مثله قال القائل:

كم تزرع التشبيه فى ... سنخ القلوب فما انزرع
فاهجر دمشق وأهلها ... واسكن بيصرى أو زرع
فهناك يمكن أن يصد ... ق ما تقول ويستمع

وحق أمصار المسلمين أن لا تروج فيها أمثال تلك الأباطيل، وإن ترج فإنما تروج فى مثل بصرى بلد ابن زكنون أو زرع بلد الناظم أو تلك القفار التى لا يشع فيها نور غير نور الشمس.

الله يفعل فعلا فى ذاته فيكون محلا للحوادث، تعالى الله عن قوله، فنسب إلى جهم خلاف قوله وأنه بلا برهان. وهذا الناظم لا يعرف حقيقة البرهان ثم قال: «والجبر مذهبه» إن أراد نفس جهم فهو ليس بموجود والكلام معه ضياع وإن أراد الأشعرى فقد كذب فى قوله (إن الجبر مذهبه) ثم قال: «لكنهم حملوا ذنوبهم على رب العباد» هذا كذب أيضًا عليهم فإن الجبرية يقولون إن الله تعالى يعذب من يشاء بذنب وبغير ذنب، له ذلك ﴿لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾ [الأنبياء: ٢٣]. وقوله:

وتبرأوا منها وقالوا إنها أفعاله ما حيلة الإنسان

ما يتبرأ منها على هذه الصورة إلا ملحد، والذى يعتقد ذلك يقول إنه تعالى يفعل ما يشاء وأطال الناظم فى هذا كثيراً بجهل وصبية أو تقليد لمن هو مثله ثم قال:

وكذلك أفعال المهيمن لم تقم أيضًا به خوفًا من الحدثان

فإذا جمعت مقالتيه أنتجا كذبًا (وزوراً واضح البهتان)

يعنى أن فعل العبد فعل الله وفعل الله ما هو فى ذاته إنتاجًا بجهله ما يقوله وهو قوله:

فهناك لا خلق ولا أمر ولا وحى ولا تكليف عبد فان

ما هذه إلا قحة وبلادة يأخذ ما يتوهمه لازما فيستنتج وينكر على الناس إلزامه التجسيم اللازم، ثم قال:

فانظر إلى تعطيله الأوصاف[1] وال أفعال والأسماء للرحمن

يا جاهل من قال بحدوث الأفعال كيف يلزمه التعطيل؟ ثم قال:

---

(١) والناظم المسكين قائل بحوادث لا أول لها انخداعًا منه بشبه أوردها الفلاسفة فى بحث الحدوث غير متصور اتصاف الله سبحانه بصفاته العليا قبل صدور الأفعال منه تعالى واستنكار شيخه (كان الله ولم يكن معه شىء) مما استبشعه ابن حجر فى فتح البارى جد الاستبشاع. وحدوث الأفعال فيما لا يزال لا يلزم منه تعطيل الصفات أصلا لا فى زمن حدوث الأفعال ولا فى غيره وهو تعالى سريع الحساب وشديد العقاب قبل خلق الكون وقبل النشور وهل يتصور عاقل أن يحاسب الله خلقه أو يعاقبه قبل أن يخلقهم؟. وهذا يهد مزاعم الناظم الذى يجرى الصفات على مجرى واحد، فالله القادر مختار يفعل ما يشاء متى شاء.

مـاذا الذى فى ضـمن ذا التـعطيل نفى ومـن جـحـد ومن كـفـران

إذا رجعنا إلى الخلاف بينك وبينه وجدناك كاذبًا عليه ليس فى القول بحدوث الأفعال لا نفى ولا جحود ولا كفران، ثم قال:

لـكنه أبـدى المقـالة هـكـذا فى قـالب التنزيه للرحـمن

وأتى إلى الكفـر العظيم فـصـاغـه عـجـلا ليـفـتن أمـة الثـيـران

الله عند لسان كل قائل . الرجل إنما قال ذلك فى قالب التنزيه ولم نعلم نحن باطنه فمن أين لك أنه قصد خلافه وصاغ الكفر عجلا ثم قال:

فـرآه ثـيـران الورى فـأصـابـهم كـمـصـاب إخوتهم قـديم زمـان

إن أراد طائفة لا وجـود لها فما فى ذكـرها من فائدة، وإن أراد خصـماءه من الأشعرية ونحوهم فيا لها من مصيبة جعلهم ثيرانًا إخوة اليهود ثم قال:

عـجلان قـد فـتنا العبـاد بصـوته إحـداهمـا وبحـرفـة ذا الثـانى

وذكر أبياتًا إلى آخرها، والله أعلم أنه يقصد بها ربط قلوب الناس على أنه لا مسلم إلا هو وطائفته وسائر الناس كفار كاليهود الذين عبدوا العجل فيا ترى من أحق بشبه من عبد العجل؟ المجسم أم غيره؟

فصل

ثم قال:

يا أيـهـا الرجـل المريـد نجـاته اسـمع مـقـالة ناصـح مـعـوان

واضـرب بسيف الوحى كل مـعطل ضـرب المجـاهـد فـوق كل بـنان

مَن ذا يبـارز فليـقـدم نفـسـه أو من يـسـابـق يبـد فى الميـدان

ويلك من أنت؟ أو أنت تعرف المبارزة أو حضرت قط مبارزة أو ميدانًا؟ ثم قال:

لا تخش من كـيـد العـدو ومكرهم فـقـتـالـهم بالكذب والبـهـتـان

فـجنود أتـبـاع الرسـول مـلائك وجنودهـم فـعـسـاكـر الشـيطان

انظر كيف يقول عن خصومه وهم هداة العالم إنهم عساكر الشيطان وإن قتالهم بالكذب والبهتان ثم قال: «فإذا رأيت عصابة الإسلام قد وافت» يعنى عصابة طائفته فانظر دلالته على كفر غيره «فإذا دعوك لغير حكمهما» يعنى الكتاب والسنة «فلا سمعا لداعى الكفر والعصيان» فانظر إلى إيهامه العوام أن خصومه يدعون إلى غير الكتاب والسنة. ثم قال:

واسمع نصيحة من له خبر بما ... عند الورى من كثرة الجولان

ما عندهم والله خير غير ما ... أخذوه عمن جاء بالقرآن

نعم ولكنهم فهموه وأنت ما فهمته ثم قال:

والكل بعد فبدعة أو فرية ... أو بحث تشكيك ورأى فلان

(كأنه يصف طائفته)

فصل

عقد مجلس خيالى.. كلامه فى وحدة الوجود

وهذا أول عقد مجلس التحكيم قال:

واحكم إذًا فى رفقة قد سافروا ... يبغون فاطر هذه الأكوان

فترافقوا في سيرهم وتفارقوا ... عند افتراق الطرق بالحيران

فأتى فريق ثم قال وجدته ... هذا الوجود بعينه وعيان

فهو السماء بعينها وهو الغمام بعينه وهو الهواء بعينه، هذه بسائطه ومنه تركبت هذه المظاهر[1] يلبسها ويخلعها وتكثر الموجود كالأعضاء فى المحسوس أو كالقوى

---

(١) فتكون المظاهر على ما صوره الناظم محلا له تعالى، تعالى الله عن ذلك، وأما كون الشىء مجلى لشىء فلا يفيد كونه محلا له، فإن الظاهر فى المرآة مثلا خارج عنها بذاته قطعًا بخلاف الحال فى محل، فإنه حاصل فيه فالظهور غير الحلول فإن الظهور يجامع التنزيه بخلاف الحلول عند أشياع الشيخ الأكبر، وأما كونه كلا والكون جزءًا له على ما ذكره الناظم فعلى خلاف ما اشتهر عنهم أن العالم أعراض مجتمعة فى عين واحد كالثلج مع الماء، تعالى الله عما يأفكون، والواجب تعالى عندهم هو الوجود المحض المجرد عن الماهية القائم بذاته المتعين بذاته المطلق حتى عن قيد الإطلاق بمعنى أنه واحد شخصى موجود بوجود هو نفسه فلا يكون المطلق عندهم بمعنى الكلى حتى يرد على ذلك ما أورده السعد فى شرح المقاصد من=

فى النفس. هذه مقالة. أو كتكثر الأنواع فى جنس فيكون كليًا وجزئياته هذا الوجود[١] فهذان قولان الأول نص الفصوص وما بعده قول ابن سبعين وما القولان عند العفيف التلمسانى الذى هو غاية فى الكفر إلا من الأغلاط فى حس وفى وهم وتلك طبيعة الإنسان والكل شىء واحد» وأطال فى أقوالهم.

فصل

قال:

وأتى فريق ثم قال وجدته ... بالذات موجودًا بكل[٢] مكان

هو كالهواء بعينه لا عينه ... ملأ الخلاء ولا يرى بعيان

= تسعة أوجه، وأول من نطق بوحدة الوجود فى الإسلام -فيما نعلم- هو جهم بن صفوان، ولذلك ذهب إلى الجبر، فكم فتح هذا الرأى من أبواب للإباحة والزندقة على شرار الخلق، وإما القول بأن الممكن الوجود كلا موجود بالنظر إلى واجب الوجود لاحتياجه إليه بدءًا ودوامًا فليس من الخطر فى شىء كالقول بأن ذلك حالة خيالية تطرأ للسالك المقبل إلى الله بكليته ثم تنجلى كما ذكره السعد فى شرح النسفية والناظم فى كثير من كتبه ومن الصوفية من يتصور مسألة الوجود بحيث لا يخل بالتكليف والتنزيه ويقول إنه طور وراء طور العقل ولا كلام لنا فيما هو وراء طور العقل.

(١) ولا وجود للكلى إلا فى ضمن جزئياته فيكون الواجب هو العالم وهو عين مذهب الطبيعيين على تصوير الناظم خذلهم الله. على أن هذا التصوير يخالف ما قرره ابن سبعين فى بدء العرف فليراجع وترى شيخ الناظم ينسب إلى الصدر القونوى القول بأنه الموجود المطلق لا بشرط شىء وإلى ابن سينا القول بأنه الوجود المطلق بشرط الإطلاق فيعده نافيًا للصانع باعتبار أن ما هو بشرط الإطلاق لا وجود له إلا فى الأذهان، لكن الفلاسفة، ومنهم ابن سينا -يرون أن الواجب هو الوجود المقيد بقيد التجرد، بمعنى اللاعروض، وهو مبدأ الكون كله، فعلم أن شيخ الناظم لم يحك كلام ابن سينا على الوجه، وتغابى عن فهمه كما سبق مثل ذلك. ورأى الصدر القونوى يظهر من مفتاحه. والحاصل أن بحث وحدة الوجود بحث خطر متشعب والموفق من وقاه الله شره، وممن توسع فى رد ذلك القاضى عضد الدين فى المواقف.

(٢) وهذا بظاهره قول بالتجسيم كقول من يقول إنه مستقر على العرش، وإن كان مراده أنه لا يوصف بمكان دون مكان، بل نسبته إلى الأمكنة على حد سواء لتعاليه عن الجهات، فهو قول متكلمى أهل السنة والمعتزلة، ولعل هذا اللفظ من حكى هذا المذهب تشنيعًا، وأما إن كان بيانًا لمذهب جهم على خلل فى اللفظ فهو داخل فى الفريق القائل بوحدة الوجود، فلا وجه لإفراده بكل حال. ونسبة كتاب (الرد على الجهمية) الذى فيه الرد على هؤلاء إلى أحمد نسبة كاذبة، وراويه الخضر بن المثنى مجهول، وقد أنصف الذهبى حيث قال: وفى النفس شىء من صحة هذه النسبة. ويقول الناظم فى عزوه: إن الخضر المذكور عرفه الخلال. لكن لو كان بمثل هذا القول تزول الجهالة لما وجد بين الرواة مجهول أصلا، على أن نظرنا إلى الخلال وغلامه ليس كنظر الناظم وشيخه إليهما فضلا عمن دونهما فى السند من مقلدة الحشوية بل فى متن (الرد على الجهمية) ما يجل مقدار أحمد عن أن يفوه بمثله جزمًا.

والقـوم مـا صـانـوه عن بئـر ولا ... قـبـر ولا حـش ولا أعطـان

وعليـهم رد الأئمـة أحـمـد ... وصحـابه من كل ذى عـرفـان

فـهم الخـصوم لكل صـاحب سنة ... وهم الخـصـوم لمنزل القـرآن

هؤلاء أيضا ليس علينا منهم.

فصل

ثم قال:

«وأتى فـريق[1] ثم قـارب وصـفـه ... هذا ولكن جـد فـى الكـفـران

فـأسـر قـول مـعطل ومكذب ... فى قـالب التنزيه للرحـمن

إذ قـال ليس بداخل فـينا ولا ... هو خـارج عن جـملة الأكـوان

بل قـال ليس ببـائن عنهـا ولا ... فـيـهـا ولا هو عـينهـا ببـيـان

كـلا ولا فـوق السـموات العلى ... والعـرش من رب ولا رحـمـان

والعـرش ليس عليه مـعبـود سوى ... العـدم الذى لا شىء فى الأعـيـان

بـل حظه من ربـه حـظ الثـرى ... منه وحظ قـواعـد البـنيـان

لو كـان فوق العـرش كان كهـذه الـ ... أجـسام سـبحـان العـظيم الشـان»

يعنى أن هذا من قولهم، ثم قال:

«ولقـد وجـدت لفـاضل منهم مـقـا ... مًـا قـامـه فى النـاس منذ زمـان»

فى قوله ﷺ: «لا تفضلونى على يونس» قد كان يونس فى قرار البحر ومحمد صعـد السماء وجـاوز السبع الطبـاق، وكلاهما فى قـربه من ربه سبـحانه إذ ذاك مستويان.

---

(١) وهم أهل السنة خصوم كل مجسم وزائغ، وهم يقـولون إنه لا يقال إن الله فى داخل العالم، كما لا يقال إنه فى خارج العالم، ولا إنه مستقر على العرش لأن ذلك لم يرد فى الكتاب ولا السنة، ولأن ذلك شأن الأجسام، ومن جوز في معبوده الدخول والخروج والاستقرار فهو عابد وثن، ويؤيدهم البراهين والآيات الواردة فى التنزيه. وليس للمشبهة شبه شبهة فى ذلك كما سيأتى رغم أنف هذا الناظم الزائغ.

فاحمد إلهك أيها السنى إذ عافاك من تحريف ذى بهتان
والله ما يرضى بهذا خائف من ربه أمسى على الإيمان
هذا هو الإلحاد حقّا بل هو التحريف محضًا أبرد الهذيان
والله ما بلى المجسم قط ذى الـ بلوى ولا أمسى بذى الخذلان
أمثال ذا التأويل أفسد هذه الـ أديان حين سرى إلى الأديان

والفاضل الذى أشار إليه[1]. . . وتفسيره للحديث المذكور بما قاله صحيح، وقد سبقه إليه إمام دار الهجرة نجم العلماء أمير المؤمنين فى الحديث، عالم المدينة أبو عبد الله مالك بن أنس حكى ذلك الفقيه الإمام العلامة قاضى قضاة الإسكندرية ناصر الدين بن المنير المالكى[2] الفقيه المفسر النحوى الأصولى الخطيب الأديب البارع فى علوم كثيرة فى كتابه (المقتفى فى شرف المصطفى) لما تكلم على الجهة وقرر نفيها، قال: ولهذا المعنى أشار مالك رحمه الله فى قوله ﷺ: «لا تفضلونى على يونس بن متى» فقال مالك: إنما خص يونس للتنبيه على التنزيه لأنه ﷺ رفع إلى العرش، ويونس عليه السلام هبط إلى قابوس البحر، ونسبتهما مع ذلك من

(١) وهنا بياض فى أصل المؤلف والمراد بذلك الفاضل هو إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجوينى، وقد ذكر غير واحد من أهل العلم منهم ابن فرح القرطبى فى تذكرته رواية عن القاضى أبى بكر ابن العربى عن غير واحد من أصحاب إمام الحرمين عنه ما معناه: أن ذا حاجة حضر عنده وشكا من دين ركبه فأشار إليه بالمكث لعل الله يفرج عنه وفى أثناء ذلك حضر غنى يسأله عن الحجة فى تنزه الله سبحانه عن الجهة فقال إمام الحرمين: الأدلة على هذه كثيرة جدًا، منها نهيه ﷺ عن تفضيله على يونس عليه السلام. فصعب فهم وجه دلالة ذلك على الحضور، فسأله السائل عن وجه الدلالة فقال إمام الحرمين: حتى تقضى حاجة هذا - مشيراً إلى صاحب الدين - فتولى قضاء دينه، ثم أجاب الإمام قائلاً: إن هذا الحديث يدل على أن النبى ﷺ وهو عند سدرة المنتهى لم يكن بأقرب إلى الله من يونس عليه السلام وهو فى بطن الحوت فى قعر البحر، فدل ذلك على أنه تعالى منزه عن الجهات. وإلا لما صح النهى عن التفضيل، فاستحسنه الحاضرون غاية الاستحسان ولفظ البخارى (لا يقولن أحدكم إنى خير من يونس ابن متى) والمعنى واحد وذكره القاضى عياش فى الشفاء على لفظ المؤلف، ومن أطلق الكفر على إثبات الجهة فى غاية من الكثرة بين الأئمة، ومن الدليل على تنزه الله سبحانه عن الجهة حديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» أخرجه النسائى وغيره.

(٢) صاحب «البحر الكبير فى نخب التفسير» الذى يقول عنه بعض المحققين إنه لم يؤلف فى التفسير مثله وهو من مفاخر المالكية فى القرن السابع بل من مفاخر علماء الإسلام طرا، ويوجد بدار الكتب المصرية جزء من هذا التفسير وكتابه المقتفى يتوسع فى بيان الإسراء.

حيث الجهة إلى الحق جل جلاله نسبة واحدة! ولو كان الفضل بالمكان لكان عليه الصلاة والسلام أقرب من يونس بن متى وأفضل مكانًا، ولما نهى عن ذلك. ثم أخذ الفقيه ناصر الدين يبدى أن الفضل بالمكانة لأن العرش فى الرفيق الأعلى، فهو أفضل من السفل، فالفضل بالمكانة لا بالمكان، فانظر أن مالكًا رضى الله عنه - وناهيك به - قد فسر الحديث بما قال هذا المتخلف النحس، إنه إلحاد، فهو الملحد عليه لعنة الله[1] ما أوقحه وما أكثر تجرأه؟! أخزاه الله.

فصل

الفوقية الحسية... إلخ

ثم قال:

«وأتى فريق ثم قارب وصفه — هذا وزاد عليه فى الميزان

قال اسمعوا يا قوم لا تلهيكم — هذى الأمانى هن شر أمانى

أتعبت راحلتى وفتشت، ما دلنى أحد عليه إلا طوائف بالحديث تمسكت تعزى مذاهبها إلى القرآن، قالوا: الذى تبغيه فوق عباده[2] فوق السماء وفوق كل مكان

---

(١) ترى المؤلف على ورعه البالغ يستنزل اللعنات على الناظم فى كثير من مواضع هذا الكتاب، وهو يستحق تلك اللعنات من حيث خروجه على معتقد المسلمين بتلك المخازى، لكن الخاتمة مجهولة، فالأولى كف اللسان الآن عن اللعن. وأما استنزال المؤلف اللعنة عليه فكان فى حياة الناظم وهو يمضى على زيغه وإضلاله عامله الله بعدله.

(٢) والوارد فى القرآن الكريم ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] ومن الخرق أن يظن من قوله تعالى عن القبط ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] ركوب القبط على أكتاف بنى إسرائيل مع إمكان ركوب جسم على جسم، وكيف يتصور ذلك فى الله تعالى المنزه عن الجسم ولوازم الجسمية واعتبار ذات الله فوق عباده فوقية مكانية إلحاد ليس من مدلول الآية فى شىء وكون ذاته جل جلاله فوق إحدى السماوات فوقية مكانية وفوق كل مكان فوقية مكانية مثل ما سبق فى الزيغ، وأين فى القرآن ما يوهم ذلك؟ على أن القول الأخير موافقة منه لمن يقول إن ذاته جل شأنه بكل مكان وكفى هذا تهاترًا، وإن كان يريد بالاستواء الاستقرار تبعًا لمقاتل بن سليمان شيخ المجسمة فقد استعجمت عليه الآية الكريمة وتباعد عن بلاغتها أيما تباعد وقد أوضحت ذلك فى (لفت اللحظ إلى ما فى الاختلاف فى اللفظ) ونسبة الصعود إلى الأعراض والمعانى من الدليل فى أول نظر على أنه مجاز من القبول وماذا من نزول الملائكة من السموات وعروجهم إليها. وإليه تعالى قصد السائلين، لكن رفعهم الأيدى إلى السماء ليس فيه شىء من الدلالة على استقرار وجود ذاته فى السماء وإنما ذلك لمجرد أن السماء قبلة الدعاء ومنزل الأنوار=

وهو الذى حقّا على العرش استوى وإليه يصعد كل قول طيب وإليه يرفع سعى ذى الشكران، والروح والأملاك منه تنزلت وإليه تعرج وإليه أيدى السائلين توجهت، وإليه قد عرج الرسول ﷺ وإليه قد رفع المسيح حقيقة وإليه يصعد روح كل مصدق، لكن أولو التعطيل منهم أصبحوا مرضى بداء الجهل والخذلان.

تسمية الناظم أهل الحق بحزب جنكز خان

فسألت عنهم رفقتى أصحاب جهم حزب[1] جنكسخان. من هؤلاء؟ قال مشبهة مجسمة[2] فلا تسمع قولهم والعنهم واحكم بسفك دمائهم فهم أضل من

= والأمطار والخيرات والبركات ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ [الذاريات: ٢٢] وسمت الرأس مما يتبدل آنا فآنا كما يعرف ذلك صغار التلاميذ فى المدارس، فهل ذات معبود الناظم فى تنقل دائم لا يبرح سمت رأسه؟! وما حال سائر الداعين فى أقطار الأرض؟ وهذا هو الجهل المطبق. لم يكن إسراء النبى ﷺ ليغشى مكان الله - سبحانه عن المكان - بل أسرى به ربه ليريه من آياته الكبرى كما نص على ذلك القرآن ومقام عيسى عليه السلام يظهر من حديث المعراج فويح الناظم ما أجهله بالسنة، نعم يوجد بين النصارى من يزعم أن الابن رفع إلى السماء وجلس فى جنب أبيه، تعالى الله عما يقول المجسمة وإخوانهم النصارى واليهود علوآ كبيراً، وصعود الأرواح إلى السماء من الذى يراه صالحًا لاتخاذه دليلاً على التجسيم؟.

(١) انظر هذا الحشوى كيف يجعل أهل السنة المنزهين لله عن الجسم والجسمانيات من حزب جنكزخان الذى اكتسح معالم الإسلام من بلاد الصين إلى حدود الشام غربًا وإلى نهر وجا وما والها من بلاد البلغار القديم شمالاً ذلك الكافر العريق فى الكفر، المسود لتاريخ البشرية بعظائمه الهمجية. ولم تزل أعين المسلمين تفيض دما على تلك الكوارث التى قضت على تلك العلوم الزاهرة وعلى هؤلاء العلماء النبهاء حراس الشريعة الغراء، حتى أصبح مثل الناظم يجد مجالاً للكلام، بمثل هذه المخازى، كأنه وشيخه كانا يحاولان القضاء على البقية الباقية من الإسلام، ومن علوم الإسلام، إتمامًا لما لم يتم بأيدى المغول، لكنهما قضيا على أنفسهما ومداركهما قبل أن يقضيا على السنة باسم السنة وعلى عقول الناس باسم النظر عاملهما الله سبحانه بعدله.

(٢) يسعى الناظم بكل قواه فى تهوين أمر التجسيم أسوة بشيخه، لكن القائلين بقدم الجسم طائفتان ليس بين طوائف البشر أسخف أحلامًا من كلتا الطائفتين. إحداهما الطبيعيون وقد تسمى الملاحدة والزنادقة والدهرية والمعطلة وهم القائلون بنفى الصانع، وهم كما يقول المطهر المقدسى أقل الناس عدداً وأفيلهم رأيًا، وأشرهم حالاً وأوضعهم منزلة، يقولون بقدم أعيان العالم والأجسام وتولد النبات والحيوان من الطبائع باختلاف الأزمنة والثانية المجسمة وقد تسمى الحشوية والمشبهة على اختلاف بينهم فيما يختلقونه فى الله من السخافات والحماقات، تعالى الله عما يصفون، وهم مشاركون لهؤلاء فى القول بجسم قديم قدما ذاتيًا إلا أنهم يؤلهونه ويتعبدونه بخلاف هؤلاء، سواء أطلقوا لفظ ا لجسم عليه أم لم يطلقوا بعد أن قالوا بمعنى الجسم الشاغل للفراغ، الذاهب فى الجهات، حيث خاضوا فى ذات الله سبحانه بعقولهم=

اليهود والنصارى، واحذر تجادلهم بـ«قال الله وقال الرسول» وهم أولى به، فإذا ابتليت بهم فغالطهم على التأويل للأخبار والقرآن، وعلى التكذيب للإلحاد.

هذان أصلان أوصى بهما أشياخنا أشياخهم، وإذا اجتمعت بهم فى مجلس فابدأ بإيراد وشغل زمان لا يملكوه عليك بالآثار وتفسير القرآن، فإن وافقت صرت مثلهم، وإن عارضت صرت زنديقًا كافرًا، وإن سكت يقال جاهل، فابدأ ولو بالفشر والهذيان هذا الذى - والله -[١] وصانا به أشياخنا فرجعت عن سفرى وقلت لصاحبى: عطل ركابك ما ثمّ شىء غير ذى الأكوان، لو كان للأكوان رب خالق كان المجسم صاحب البرهان أو كان رب بائن عن ذا الورى، كان المجسم صاحب الإيمان. فدع التكاليف واخلع عذارك ما ثم فوق العرش من رب، ولم يتكلم الرحمن بالقرآن لو كان فوق العرش رب لزم التحيز ولو كان القرآن عنه كلامه حرفا وصوتا[٢] كان ذا جثمان، فإذا انتفيا ما الذى يبقى من إيمان؟ فدع

= الضئيلة التى تعجز عن اكتناه ذوات المخلوقات وإنما علمهم بالمخلوقات عبارة عما تخيلوه بشأنها من إحساسهم بأغراضها، فكيف يجترئون على تخيل الحوم حول حمى الخالق جل وعلا.

قال ابن تيمية فى التأسيس فى رد أساس التقديس المحفوظ فى ظاهرية دمشق فى ضمن المجلد رقم ٢٥ من الكواكب الدرارى - وهذا الكتاب مخبأة ووكر لكتبهم فى التجسيم وقد بينت ذلك فيما علقته على المصعد الأحمد (ص ٣١): «فمن المعلوم أن الكتاب والسنة والإجماع لم ينطق بأن الأجسام كلها محدثة وأن الله ليس بجسم ولا قال ذلك إمام من أئمة المسلمين فليس فى تركى لهذا القول خروج عن الفطرة ولا عن الشريعة اهـ».

وقال فى موضع آخر منه: «قلتم ليس هو بجسم، ولا جوهو ولا متحيز ولا فى جهة ولا يشار إليه بحس ولا يتميز منه شىء وعبرتم عن ذلك بأنه تعالى ليس بمنقسم ولا مركب وأنه لا حد له ولا غاية، تريدون بذلك أنه يمتنع عليه أن يكون له حد وقدر أو يكون له قدر لا يتناهى.. فكيف ساغ لكم هذا النفى بلا كتاب ولا سنة اهـ». وفى ذلك عبر للمعتبر، وهل يتصور لمارق أن يكون أصرح من هذا بين قوم مسلمين؟

(١) ثم انظر كيف يحلف كذبا على هذه المحاورة الخيالية فهل يتصور أن يصدر منه مثل ذلك لو كان يخاف مقام ربه فى ذلك اليوم الرهيب، وسيأتى ما يقضى على مزاعمه فى استقرار معبوده على العرش - جل إله المسلمين عن مثل هذه الوثنية - كما سيأتى القضاء على مزاعمه فى الحرف والصوت قضاء لا نهوض لها بعده إن شاء الله تعالى.

(٢) واعتقاد الصوت فى كلام الله خطر جدًا، وكان الإمام عز الدين بن عبد السلام ابتلى بالمبتدعة الصوتية فى عهد الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل الأيوبى، وكان الملك الأشرف هذا يميل إليهم ويعتقد فيهم أنهم على صواب حيث كان يخالطهم منذ صغره حتى منع العز المذكور من الإفتاء بسبب هذه المسألة=

الحلال مع الحرام لأهلـه، فهما السيـاج فاخرقه ثم ادخل واقطع عـلائقك التى قد

= كما هو مشروح، مفصل فى مطلب الأديب لأبى بكر بن على الحسينى السيوطى، وفى طبقات التاج ابن السبكى وطبقات التقى التميمى، وفى خلاصة الكلام فى مسألة الكلام للشيخ محمد عبد اللطيف بن العز المذكور - وقد نقلت الرسالة الأخيرة من خط المؤلف - واستمر منعه من الإفتاء إلى أن ركب الإمام الكبير جمال الدين الحصيرى - شارح الجامع الكبير، وشيخ الفقهاء فى عصره - وتوجه إلى الملك الأشرف وأفهمه أن الحق مع العز وقال له إن ما فى فتياه هو اعتقاد المسلمين وكل ما فيها صحيح ومن خالف ذلك فهو حمار. وكان الجمال الحضيرى عظيم المنزلة عند الملك لجلالة قدره عند جماهير أهل العلم، فأطلق الإفتاء للعز ومنع الصوتية من مزاعم الحرف والصوت فى كلام الله سبحانه.

فتاوى فى الرد على القائلين بالحرف والصوت

وأرى من النصح للمسلمين أن أنقل هنا أجوبة الإمام العز بن عبد السلام والإمام جمال الدين أبى عمرو عثمان بن الحاجب المالكى، والإمام علم الدين أبى الحسن على بن محمد السخاوى مؤلف «جمال القراء وكمال الإقراء» حينما استفتوا فى هذه المسألة. ومكانتهم السامية فى العلم معروفة.

ونص السؤال والأجوبة كما هو مدون فى «نجم المهتدى ورجم المعتدى» للفخر بن المعلم القرشى، كالآتى:

صورة السؤال: ما يقول السادة الفقهاء رضى الله عنهم فى كلام الله القديم القائم بذاته؟ هل يجوز أن يقال إنه عين صوت القارىء وحروفه المقطعة، وعين الأشكال التى يصورها الكاتب فى المصحف؟ وهل يجوز أن يقال إن كلام الله القديم القائم بذاته حروف وأصوات على المعنى الظاهر فيها وإنه عين ما جعله الله معجزة لرسوله ﷺ؟ وما الذى يجب على من اعتقد جميع ذلك وأذاعه وغر به ضعفاء المسلمين وهل يحل للعلماء المعتبرين إذا علموا أن ذلك قد شاع أن يسكتوا عن بيان الحق فى ذلك وإظهاره والرد على من أظهر ذلك واعتقده؟ أفتونا مأجورين.

صورة جواب الإمام عز الدين عبد السلام رحمه الله:

القرآن كلام الله صفة القارئين من صفاته قديم بقدمه، ليس بحروف ولا أصوات ومن زعم أن الوصف القديم هو عين أصوات القارئين وكتابة الكاتبين فقد ألحد فى الدين وخالف إجماع المسلمين، بل إجماع العقلاء من غير أهل الدين ولا يحل للعلماء كتمان الحق ولا ترك البدع سارية فى المسلمين، ويجب على ولاة الأمر إعانة العلماء المنزهين الموحدين، وقمع المبتدعة المشبهين المجسمين، ومن زعم أن المعجزة قديمة فقد جهل حقيقتها، ولا يحل لولاة الأمر تمكين أمثال هؤلاء من إفساد عقائد المسلمين، ويجب عليهم أن يلزمهم بتصحيح عقائدهم بمباحثة العلماء المعتبرين، فإن لم يفعلوا ألجئوا إلى ذلك بالحبس والضرب والتعزير، والله أعلم.

كتبه عبد العزيز بن عبد السلام

وصورة جواب الإمام جمال الدين أبى عمرو عثمان بن الحاجب المالكى:

من زعم أن أصوات القارئ وحروفه المتقطعة والأشكال التى يصورها الكاتب فى المصحف هى نفس كلام الله تعالى القديم فقد ارتكب بدعة عظيمة وخالف الضرورة وسقطت مكالمته فى المناظرة فيه، ولا يستقيم أن يقال إن كلام الله تعالى القديم القائم بذاته هو الذى جعله الله معجزة لرسوله ﷺ، فإن ذلك يعلم بأدنى نظر، وإذا شاع ذلك أو سئل عنه العلماء وجب عليهم بيان الحق فى ذلك وإظهاره ويجب=

....

= على من له الأمر ووفقه الله أخذ من يعتقد ذلك ويغر به ضعفاء المسلمين وزجره وتأديبه وحبسه عن مخالطة من يخاف منه إضلاله إلى أن يظهر توبته عن اعتقاد مثل هذه الخرافات التى تأباها العقول السليمة، والله أعلم.

كتب عثمان بن أبى بكر الحاجب

وصورة جواب الإمام علم الدين أبى الحسن على السخاوى:

كلام الله عز وجل قديم صفة من صفاته ليس بمخلوق، وأصوات القراء وحروف المصاحف أمر خارج عن ذلك، ولهذا يقال صوت قبيح وقراءة غير حسنة وخط قبيح غير جيد، ولو كان ذلك كلام الله لم يجز ذمه على ما ذكر لأن أصوات القراء به تختلف باختلاف مخارجها والله تعالى منزه عن ذلك، والقرآن عندنا مكتوب فى المصاحف متلو فى المحاريب محفوظ فى الصدر غير حال فى شيء من ذلك، والمصحف عندنا معظم محترم لا يجوز للمحدث مسه، ومن استخف به أو ازدراه فهو كافر مباح الدم، والصفة القديمة القائمة بذاته سبحانه وتعالى ليست المعجزة، لأن المعجزة ما تحدى به الرسول ﷺ وطالب بالإتيان بمثله ومعلوم أنه لم يتحدهم بصفة البارى القديمة، ولا طالبهم بالإتيان بمثلها، ومن اعتقد ذلك وصرح به أو دعا إليه فهو ضال مبتدع، بل خارج عما عليه العقلاء إلى تخليط المجانين، والواجب على علماء المسلمين إذا ظهرت هذه البدعة إخمادها وتبيين الحق والله أعلم.

على السخاوى

انظر يارعاك الله كيف كان العلماء يتكاتفون فى قمع البدع وإحقاق الحق على اختلاف مذاهبهم فى تلك العصور الزاهرة بخلاف غالب أهل العلم فى زماننا هذا فإن لهم منازع وراء اختلاف المذاهب لا يهمهم ذيوع الباطل وقد خانوا دينهم الذى ائتمنهم الله عليه، وبه يعيشون، ويوم الخائنين يوم رهيب.

وكانت تلك الفتنة بالشام فى النصف الأول من القرن السابع الهجرى، وقد وقع مثلها فى النصف الأخير من القرن السادس بمصر، وفتنة القاهرة معروفة بفتنة ابن مرزوق وابن الكيزانى وكلاهما من حشوية الحنابلة، وظن التاج ابن ا لسبكى بن الكيزانى من الشافعية فترجم له فى طبقاته تبعًا لابن خلكان، فلا بأس فى الإشارة هنا إلى فتاوى علماء ذلك العصر فى حقهما.

وصورة الاستفتاء فى شأنهما:

ما قولكم فى الحشوية الذين على مذهب ابن مرزوق، وابن الكيزانى اللذين يعتقدان أن الله سبحانه يتكلم بحرف وصوت، تعالى الله عن ذلك، وأن أفعال العبادة قديمة، هل تنفذ أحكامهم على أهل التوحيد وعامة المسلمين وهل تقبل شهاداتهم على المسلمين أم لا؟.

جواب الإمام شهاب الدين أبى الفتح محمد بن محمود الطوسى الشافعى (صاحب الوقائع مع ابن نجية الحنبلى) تقبل شهادة عدولهم على أصحابهم ولا تسمع شهاداتهم على أهل الحق من الموحدين ولا ينفذ حكم قاضيهم على الموحدين فإنهم أعداء الحق - والله أعلم.

كتبه محمد الطوسى

وجواب الإمام يوسف الأرموى:

ما نص عليهم أعلاه اقترفوا حوبة عظيمة يجب عليهم القفول عما اعتقدوه وهم كفار عند أكثر المتكلمين وكيف يسوغ قبول أقوالهم؟ ويجب على من إليه الأمر إحضارهم واستتابتهم عما هم عليه، فإن تابوا=

....

= وإلا قتلوا، وحكمهم فى الاستتابة حكم المرتد فى إمهاله ثلاثة أيام ولا يقتل فى الحال.

كتبه يوسف الأرموى

وجواب الخطيب أبى عبد الله محمد بن إبراهيم الحموى:
من اعتقد أن أفعال العباد قديمة فقد قال قولا يلزم منه القول بقدم العالم ومن قال بقدم العالم فهو كافر لا تصح ولايته ولا تقبل شهادته والله أعلم.

كتبه محمد إبراهيم الحموى

واستفتاء آخر صورته:
ما قول الفقهاء الأئمة قادة علماء هذه الأمة أدام الله إرشادهم ووفق إصدارهم وإيرادهم فى الحشوية الذين على مذهب ابن مرزوق وابن الكيزانى. اللذين يعتقدان أن الله سبحانه متكلم بحرف وصوت، وأن أفعال العباد قديمة، هل تقبل شهاداتهم على أهل الحق الموحدين الأشعرية، وهل تنفذ أحكام قضاتهم على الأشعرية أم لا؟

جواب الإمام أبى المنصور ظافر بن الحسين الأزدى المالكى:
لا تقبل شهادة من يقول إن الله تعالى يتكلم بحرف وصوت لأنهم مرتكبون كبيرة هى أعظم من سائر المعاصى كالزنا وشرب الخمر لأنها كبيرة تتعلق بأصل من أصول الدين.

وكتب ظافر بن حسين الأزدى

وجواب شارح المهذب أبى إسحاق إبراهيم العراقى:
جوابى كذلك كتبه إبراهيم العراقى

وجوبا الخطيب محمد بن إبراهيم الحموى:
من قال إن الله متكلم بحرف وصوت فقد قال قولاً يلزم منه أن الله جسم ومن قال إنه جسم فقد قال بحدوثه ومن قال بحدوثه فقد كفر، والكافر لا تصح ولا تقبل شهادته، والله أعلم.

كتبه محمد بن إبراهيم الحموى

وجواب الشيخ جمال الدين بن رشيق المالكى:
لا تقبل شهادتهم ولا يجوز أن يولوا الحكم ولا غيره من المناصب الدينية لأنهم بين جاهل يصر على جهله بما يتعين عليه اعتقاده من صفات الله سبحانه وبين عالم معاند للحق، ومن هذه صفته يتعين تأديبه وزجره عما صار إليه بأبلغ الأدب، ومن جملته رد الشهادة وبالله التوفيق.

كتب حسين بن عتيق بن رشيق

وجواب الشيخ محيى الدين محمد بن أبى بكر الفارسى:
من قال إن الله سبحانه متكلم بالصوت والحرف فقد أثبت الجسمية وصار بقوله مجسمًا، والمجسم كافر، ومن قال إن أفعال العباد قديمة فقد كذب الله تعالى فى قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] ومكذب الله بصفة الإصرار كافر ولا تثبت عدالتهم ولا تقبل شهادتهم ولا تجوز الصلاة خلفهم، ويجب على الإمام وعلى نوابه فى الأقاليم استتابتهم، فإن لم يرجعوا عما هم فيه من الكفر يعاقبهم على كفرهم أو يقبل الجزية منهم أذلاء لا كاليهود والنصارى بل كفرهم أشنع وأبشع من مقالة النصارى واليهود، أما اليهود فشبهوه بالحادث صفة، وأما النصارى فقالوا إنه جوهر شريف والمجسمة يثبتون الجسم لله، تعالى=

قيدت هذا الورى لتصير حراً[1] لست تحت أوامر ولا نهى ولا فرقان، لكن جعلت

= الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وكتب محمد الفاسى

وفى تلك الفتاوى ما ينزجر به من يخاف مقام ربه من تلك البدع الشنيعة وبها يعلم أيضًا أن أبا عمرو عثمان بن مرزوق الحنبلى وأبا عبد الله الكيزانى الحنبلى مشتركان فى إثارة البدع المذكورة بمصر ولا مانع من أن يكون بينهما بعض اختلاف فى فرع من فروع تلك البدع، ومن حاول تبرئة أحدهما منها فلا حجة عنده أصلاً، وقد تكلف ابن رجب فى طبقاته تبرئة ابن مرزوق عن ذلك بدون جدوى بعد أن أقر بذلك الناصح الحنبلى وابن القطيعى الحنبلى، ولو كان ابن رجب رأى تلك النصوص من فتاوى علماء عصر ابن مرزوق وابن الكيزانى المنقولة عن خطوطهم المحفوظة فى خزانة الملك الظاهر بيبرس لما سعى فى تبرئة ساحته من تلك البدعة الشنيعة.

ونسبة القول بتلك البدعة إلى ابن الكيزانى فى مرآة الزمان لسبط ابن الجوزى لا تبرئ ابن مرزوق منها على أن ابن رجب قال بعد ذلك: ثم وجدت لأبى عمرو بن مرزوق مصنفًا فى أصول الدين، ورأيته يقول فيه إن الإيمان غير مخلوق، أقواله وأفعاله وإن حركات العباد مخلوقة، لكن القديم يظهر فيها كظهور الكلام فى ألفاظ العباد اهـ.

هذا طراز آخر فى التخريف يدل على أنه قائل بالحلول على مذهب السالمية، ومثله لا يمكن ترقيع كلامه، ووقعت بين الفتنتين فتنة عبد الغنى المقدسى الحنبلى فى الصوت ونحوه كما فى ذيل الروضتين لأبى شامة فليراجع هناك، وما حدث فى القرن الخامس ببغداد فى عهد أبى نصر بن القشيرى من فتنة الحشوية فمشهور جداً، والمحضر الذى رفعه أبو إسحاق الشيرازى والحسين بن محمد الطبرى ومحمد بن أحمد الشاشى والحسين بن أحمد البغدادى وعزيزى بن عبد الملك شيذلة، وغيرهم من أئمة ذلك العصر عن تلك الفتنة بخطوطهم إلى نظام الملك، مسجل فى تبيين كذب المفترى لابن عساكر (ص ٣١٠) فيراجع هناك ليعلم مبلغ سعى الحشوية فى إثارة الفتن فى كل قرن وذلك مما يعرق به جبين الدهر خجلا من تخريفاتهم التى يتبرأ منها العقلاء كلهم، وأما ما أحدثوه من الفتن فى أوائل القرن الرابع من الدعوة إلى القول بإجلاس محمد ﷺ على العرش فى جنبه تعالى فمدون فى كتب التاريخ. والمرسوم الذى أصدره الراضى العباسى ضد البربهاوى الداعى إلى تلك البدعة مسجل في تاريخ ابن الأثير بنصه وفصه فليراجع القارئ الكريم هذا وذاك ليعلم نصيب الحشوية من العقل والدين وكلا الكتابين بمتناول الأيدى فنستغنى عن نقل نصوص عنهما، وفى كل ما تقدم عبر، ويالها من عبر، والله سبحانه هو الهادى إلى سواء السبيل.

رد حديث الأوعال

(١) انظر هذا الخبث المضاعف، يصور الناظم أن القول بعدم استقرار الإله جل شأنه على العرش استقرار تمكن وبعدم كلام الله القائم بذاته حرفًا وصوتا حادثين فى ذاته تعالى يكون انحلالا عن الدين وانسلاخًا من التكاليف، ولست أشك أن من يجترئ على هذا التصوير ويدور فى خلده مثل التفكير أمام جماهير أهل الحق المعتقدين للتنزيه من فجر الإسلام إلى اليوم فى مشارق الأرض ومغاربها على طول القرون لا يكون إلا منطويا على الانسلاخ الذى يرمى به أهل الحق - قاتله الله ما أجرأه على الله وما أوقحه! فمن الذى نفى أن للعالم مدبراً وأن القرآن كلام الله أنزل به الروح الأمين على قلب رسوله ﷺ؟ ومن الذى=

حجـاب نفسك إذ ترى، فـوق السمـاء من ديان، لو قلت ما فـوق السمـاء مدبر والعرش تخليه من الرحمن، والله ليس متكلما بالقرآن لحللت طلسمه وفزت بكنزه وعلمت أن النـاس فى هذيان، لكن زعـمت أن ربك بائن مـن خلقـه وأنه فـوق العرش والكرسى وفوقه القدمان وأنه يسـمع خلقه ويراهم من فوق وأن كلامه منه بدا وإليه[1] يعود ووصفته بالسمع والبصر والإرادة والقدرة وكراهة ومحبة وحنان، وأنه يعلم كل ما فى الكون، وأنه كلم موسى، والنداء صوت بإجماع النحاة، وأن محـمدًا ﷺ أسرى به (ليلا إليـه) فهو منه دانى وأنه يدنيـه يوم القيامـة حتى يرى قاعدًا معـه على العرش وأن لعرشه أطيطا[2] وأن الله أبدى بعضه للطور، وأن له

= يجهل أن الملء والتخلية من شأن الأجسام نفيًا وإثباتًا ولم يرد الملأ فى سنة صحيحة حتى يجوز إطلاقه عليه سبحانه، على أن تنزهه سبحانه عن الجسمية ولوازم الجسمية مما أجمع عليه أهل الحق، ولم يشك فيه سـوى من عنده نزعة الوثـنية، ولفظ بائن من خلـقه لم يرد فى كـتاب ولا سـنة، وإنما أطلق من أطلق من السلف بمعنى نفى الممازجة ردًا على جهم لا بمعنى الابتعاد بالمسافة، تعالى الله عن ذلك، كما صرح بذلك البيـهقى فى الأسمـاء والصفات، وأمـا لفظ أنه فوق العرش فلـم يرد مرفوعًـا إلا فى بعض طرق حديث الأوعال - مـن رواية ابن منده فى التوحـيد - وعبد الله بن عـميـرة فى سنده مجـهول الحـال، ولم يدرك الأحنف فضـلاً عن العباس، وسمـاك انفرد به عن عبـد الله هذا، فى جميع الطرق، ويحـيى بن العلاء فى رواية عبـد الرزاق عن سماك يقول عنه أحـمد: كذاب يضع الحـديث. وتصحيح بعض الحشـوية لبعض طرق حديث الأوعال لا يزيـل ما به سندًا ومتنًا، بل خبر الأوعـال ملفق من الإسرائيليات كـما نص عليه أبو بكر بن العربى فى شرح سنن التـرمذى وأنت تعرف مبلغ براعته فى الحديث ونقـده وتحسين الترمذى بالنظر إلى تعدد طرقـه بعد سماك، وهذا مصطلح قـوله: غريب إشارة إلى انفراد سمـاك عن ذك المجهول ولا شـأن للمجـاهيل والوحدان والمنقطعـات فى إثبـات الصفـات أصلاً ولم يثـبت عن القدمين حـديث مرفوع، وقـول ابن عباس لإفادة أن الكرسى صغيـر بالنسبة إلى العرش ككرسى قد وضع لقـدمى القاعد على السرير كما قـال ابن الجوزى. ورواه من رواه بلفظ (قدميه) تحريف للرواية وتقـييد الرؤية بلفظ (من فوق) من كـيس المجسم بدون كتاب ولا سنـة. ووصفه سبـحانه بالصفـات الواردة فى الكتاب والسنة لم ينفـه أحد من أهل الحق، كـما لم ينف أحـد منهم كلام الله لموسى بلا كـيف. والإقعـاد معه علـى العرش يروى عن مجاهد بطريق ضـعيفة وتفسير المقـام المحمود بالشفاعة متـواتر تواترًا معنويًا وأن ما ينسب إلى مجـاهد من ذاك؟ وقد صرح غيـر واحد من الأئمة بـبطلان ما يروى عن مجـاهد، ويرى بعض النصارى رفع عيسى عليه السلام وإقعاده فى جنب أبيه وهذا هو مصدر هذا ا لتخريف.

(١) قال ابن المعلم القرشى: وهذا الحديـث أوردوه بإسناد فيه محمد بن يحيى بن رزين، قـال أبو حاتم البستى كان كذابًا دجالاً يضع الأحاديث اهـ.

وزيادة على ما سـبق سيأتى الكلام عـلى الصوت فانتظره، ودعـوى الإجماع فى أن النداء صـوت كذب كما سيأتى.

(٢) ويغنينا عن إبداء وجوه التـخليط فى حديث الأطيط ما ألفه الحـافظ ابن عسـاكر فى ذلك، وإبـداء بعضه =

وجـها وله يمين بل زعـمت يدان، وأن يديه للسـبع العلى والأرض (يوم الحشـر)

= للطور بمعنى إبداء بـعض آية على أنه مما أدخل على حـماد بـن سلمة، تعـالى الله سبحـانه عن الأبعـاض والأجزاء رغم أنف المجسمة. ويأتى الكلام على قبض السماوات.

قبض السموات والأرض

(١) قال البخارى فى تفسير قوله تعالى ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] إن أبا هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يقبض الله الأرض ويطوى السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض» ا. هـ. وهذا هو أصل الحديث وهو مروى بأسانيد كثيـرة جدًا وهو الموافق لكتاب الله سبحانه، واليمين: القدرة كـما هو مبسوط فى أسـاس التقديس، وحـاشا أن يكون قبض الله من قـبيل احـتواء الأنامل على شىء، ومـازاد على ذلك فى الروايات من أنه يأخـذ السـماوات بيـده اليـمنى ويأخـذ الأرض بشمـاله - وحاشا أن يكون لـه شمال وكلتا يديه يمين - فـمن تصرفات الرواة أثناء النقل بالمعنى كمـا لا يخفى على أهل هذه الصناعة المستحضرين لأحاديث الباب ومبلغ اضطرابها سندًا ومتنًا.

وأما حديث الحـبر اليهودى فيوضع أجـزاء الكون على إصبع فضحك النبى ﷺ فـيه لا يدل على تصديق ذلك وإن ظنه بعض الرواة تصديقًـا - فى بعض الطرق - بل يدل على الإنكار والاستهـجان. وقد برهن ابن الجوزى فى دفع الشبه وابن حجر فـى الفتح على أن ذلك إنكار لا تصديق رغم توهم ابن خزيمة كونه تصديقًـا لزيغ مشـهور فى مـعتقـده، كمـا سيأتى بيـانه، بل نزول قوله تعـالى ﴿وما قـدروا الله حق قدره والأرض جميـعًا قبضـته يوم القيامـة﴾ أى تحت تصرف مالك يوم الدين لا يجرى لأحـد سواه حكم فى ذلك اليوم ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾ أى بقدرته لا حساب على سكانها بخلاف أهل الأرض فإنهم محاسـبون ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] عـقب حديث حـبر اليهـود دليل واضح على الإنكار وعلى أن إثباتهم الأصابع الحـسية بالوجه السابق إشـراك. قال الله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا﴾ [فـاطر: ٤١] فمن الذى يظن أن ذلـك بالمماسـة؟ وكذلـك القبض، وإن هذى الشـيخ محمد المنبجى الحنبلى تلميذ الناظم فـى جزء (إثبات المماسة) بما شاء من صنوف الهذيان، وكل ذلك من بلايا ابن تيمية حيث لفق الروايات فى هذا الصدد وقال ما شاء أن يقوله فى الأجوبة المصريةوذكر ما ورد فى بعض طرق الحديـث وهو (وقبض كفيه فجـعل يقبضـهما ويبـسطهما) ثـم قال: (وهنا شبـه القبض والبسط بقبضه وبسطه) اهـ. وهذا تشبيـه صريح من ابن تيمية ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] ومغـالطة مكشوفة، واللفظ المـذكور لم يقع إلا فى بعض الروايات، والاضطرب فى الحـديث سندًا ومتنًا زيادة ونقصًا ظاهر جـدًا لمن اطلع على طرقه بحيث لا يصح الاستدلال به ولا سيـما فى مثل هذا المطلب وعلى فـرض ثبوت أن النبى ﷺ قـبض كفـيه وبـسطهمـا أثناء الخطبة لم يـنسب إليه ﷺ عليه وسلم فى حديث أنه قال: هكذا يقـبض ويبسط حتى يصح كلام ابن تيمية، بـل البسط غير موجود فـيما يروى عما يفعله سبـحانه عند قيام الساعة حـتى يظن به ﷺ إذا قبض كفيه وبسطهـما أنه أراد تشبيههـما بقبض الله، على أن الخطيب كثيرًا مـا تصدر منه حركات وإشارات أثناء الخطبة، وحملهـا على معان لم ينطق هو بها تقويل للخطيب ما لم يقله، ومن الظاهر جدًا أن الأرض تحتوى على الأنجاس والأرجاس فكيف يتصور أن يكون قـبض الله كـقـبض أحـد مـن خلقـه حقـيقـة بحيث يستلزم ذلـك القـبض على الأخبـاث والأرواث،تعـالى الله عن ذلك، وهذا مما لا يتصوره من يـخاف مـقام ربـه ولو كان جـاهلاً باستحـالة=

قابضتان(١) وأن يمينه ملأى من الخير، وأن العدل فى الأخرى وأن الخلق طرأ عنده يهتز فوق أصابع(١) الرحمن وأن قلب العبد بين اثنتين من أصابعه، وأنه يضحك عند تقابل الصفين من عبده يأتي فيبدى نحره لعدوه، ويضحك عندما يثب الفتى

= الجسمية على الله سبحانه. ولا نتعرض هنا لرواية كاتب الليث فى الخبزة ولعل فيما ذكرنا كفاية.

الأصابع فى كلام الجبر

(١) لم يرد فى حديث وضع السماوات على أصبع إضافة الأصابع إى الرحمن أصلاً وهكذا كذب وتصرف فى الحديث بالتحريف والتغيير قال القاضى أبوبكر بن العربى فى القواصم والعواصم: وأما ذكر الأصابع فصحيح ولكن لم ترد مضافةإليه تعالى وإنما ورد أنه يضع السماوات على أصبع والأرضين على أصبع ثم يهزهن... الحديث، ومن أين لهم أن أصابع الوضع المطلقة هى أصابع التقليب المضافة إليه؟! هـ على أن قول النبى ﷺ بعد أن قال الحبر ذلك ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ يدل على إنكار ما قاله الحبر كما قال ابن حجر فى شرح البخارى ردًا على ابن خزيمة- وتوحيد ابن خزيمة من أهيف الكتب، راجع تفسير ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾[الشورى: ١١] من تفسير الفخر الرازى - وما أخرجه الضياء الحنبلى من حديث الخنصر فباطل بالمرة وفيه من العلل ما بين فى موضعه وليس فى حديث الترمذى رفع حديث طرف الإبهام إلى الرسول ﷺ على انفراد حماد بن سلمة به، بل نسبة ذلك إلى سليمان بن حرب أو حماد، قال ابن العربى وتمثيل سليمان بن حرب وأمثاله ما تجلى للجبل بالأنملة لاينظر إليه لأنه كلام غير معصوم ولا واجب الاتباع فالأمر هين والمخرج عنه سهل بين اهـ. فيا سبحان الله ما أجهل هذا الناظم بلسان قومه كيف يفهم من اليد معنى الجارحة ومن الضحك إبداء النواجذ، راجع القواصم لابن العربى، ودفع الشبه لابن الجوزى، والأسماء والصفات للبيهقى، وقد روى القاضى أبوبكر بن العربى فى العارضة والقاضى عياض فى الشفاء عن الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه أنه كان يرى قطع يد من أشار بيده إلى عضو من أعضائه عند ذاك تشبيه، تعالى الله عن ذلك، وأما ما وقع فى صحيح مسلم من حديث القبض باليمين والشمال فلم يخرجه البخارى لاضطراب عبد العزيز بن سلمة فى سنده لأنه يرويه مرة عن أبيه عن ابن مقسم عن ابن عمر كما وقع فى رواية سعيد بن منصور وأخرى عن أبيه عن عبيد بن عمير عن ابن عمر، كما فى رواية القعنبى ، وتارةأخرى عن أبيه عن عبيد بن عمير عن عبد الله بن عمرو بن العاص كما فى رواية يحيى بن بكير، فدلت تلك الأسانيد المختلفة على أن عبد العزيز لم يضبط السند كما يجب، وحال المتن توازى حال السند ومسلم حيث ترجح عنده روايته بطريق ابن مقسم بالنظر إلى متابعة يعقوب بن عبد الرحمن القارئ لعبد العزيز فى روايته عن سلمة عن ابن مقسم خرجه فى صحيحه، لكن ما يحتاج إلى متابع يكون منحط الرتبة فى الصحة بل من أحاط بأسانيد هذا الخبر فى توحيد ابن خزيمة وحلية أبى نعيم يعده مضطرب السند والمتن معًا. على أن ما يقع فى المنبر أمام الجمهور تتوفر فيه الدواعى إلى روايته فكيف ينفرد برواية مثله راو واحد، وإن صح الاحتجاج بمثل ذلك فإنما يصح عند - عدم المعارض - فى الأعمال فقط دون الاعتقاد على أن تلاوته ﷺ قوله تعالى ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ عند ذكر حديث الحبر فى الصحيح تعارضه إذا لم يحمل خبر مسلم على المجاز فيوجد بين أهل العلم من لا يستدل بمثله فى الأعمال فضلاً عن الاعتقاد ومع هذا كله لا يحتج بما دون المشهور من الأحاديث فى ذات الله وصفاته عند جمهور أهل الحق فكيف يحتج بذلك الحديث فى باب الاعتقاد وقد بينا بعض ما فيه.

من فرشه لقراءة القرآن، ومن قنوط عباده إذا جدبوا، وأنه يرضى ويغضب، وأنه يسمع صوته(١) ويشرق نوره يوم الفصل ويكشف ساقه(٢) ويبسط كفه ويمينه تطوى السماء وينزل(٣) فى الدجى فى الثلث الأخير والثلث الثانى وأن له نزولا(٤) ثانيًا يوم القيامة للقضاء وأنه يبدو جهرة لعباده حتى يرونه ويسمعون كلامه وأن له

---

(١) وحديث جابر المعلق فى صحيح البخارى مع ضعفه فى سياق ما بعده من حديث أبى سعيد ما يدل على أن المنادى غير الله؟ حيث يقول (... فيناد بصوت إن الله يأمرك...) فيكون الإسناد مجازيًا على أن الناظم ساق فى حادى الأرواح بطريق الدارقطنى حديثًا فيه (يبعث الله يوم القيامة مناديًا بصوت...) وهذا نص من النبى ﷺ على أن الإسناد فى الحديث السابق مجازى وهكذا يخرب الناظم بيته بيده وبأيدى المسلمين وللحافظ أبى الحسن المقدسى جزء فى تبيين وجوه الضعف فى أحاديث الصوت فليراجع ثمت.

الكلام على الساق والنزول والمجئ ووضع القدم

(٢) وفى القرآن ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] بدون ضمير وذلك استعارة عن الشدة كما ذكره الفراء وابن قتيبة وابن الجوزى، وذكر الإسماعيلى فى مستخرجه أن رواية حفص بن ميسرة (يكشف ربنا عن ساق) بدون ضمير وروايته بالضمير منكرة. راجع ما كتبناه على دفع الشبه لابن الجوزى، ومن عادة الحشوية حمل المجاز المشهور على الحقيقة باختلاق رواية حول ذلك وإلقائها على ألسنة الرواة. وتصرفات المجسمة هنا من هذا القبيل.

وإنى أنقل للقارئ بلية من بلايا المجسمة تفهمه إلى أى حد يصل جنون هؤلاء، وقد رأينا فى بعض كتب روافضهم أن فاطمة رضى الله عنها تحمل قميص حسين عليه السلام فى يوم القيامة وتقول لله سبحانه وهو جالس على عرشه هذا ما فعلته الأمة بابنى سبط الرسول ﷺ، ويكشف الله سبحانه إذا ذاك عن ساقه فإذا هى مربوطة برباط ويقول ماذا أنا فاعل إزاء هذا وهو قد فعلوا بى ما ترونه؟ ويعللون هذا بما فعله نمروذ من توجيهه الرمى إلى السماء ليقتل إله إبراهيم عليه السلام فاهمين أن سهمه أصاب ساق الله فبقيت مربوطة من أثر الجرح فى ذلك اليوم. فهل رأى القارئ كفراً أشنع من هذا وأبعد من هيبة الرب سبحانه وتقديره حق قدره وأدل على ذهاب العقول؟ قاتلهم الله.

(٣) قال ابن حزم فى الفصل: إن ثلث الليل مختلف فى البلاد باختلاف المطالع والمغارب يعلم ذلك ضرورة من بحث عنه فصح ضرورة أنه فعل يفعله ربنا فى ذلك الوقت لأهل كل أفق وأما جعل ذلك نقلة فقد قدمنا بطلان قوله فى إبطال القول بالتجسيم اهـ وفى بعض طرق الحديث ما يعين انه إسناد مجازى، ففى سنن النسائى (إن الله يأمر ملكًا ينادى...) وفى شرحى البدر العينى وابن حجر على البخارى بسط واف فى المسألة.

(٤) ولفظ التنزيل ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] قال أحمد: أمره، وقد بينه فى قوله تعالى ﴿أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣] رواه ابن حزم وأبو يعلى و ابن الجوزى. قال الخلال فى السنة بسنده إلى حنبل عن عمه الإمام أحمد أنه سئل عن أحاديث النزول والرؤية ووضع القدم ونحوها فقال: (نؤمن بها ونصدق بها ولا كيف ولا معنى).

قـدما[١] وأنه واضعها على النيـران وأن الناس كل منهم يحاضر[٢]، ربه، بالخاء والصاد والحاء والضـاد وجهان محفـوظان فى الترمذى والمسند وغيـرهما من كتب التجسيم، ووصفته بصفات حى فاعل بالاختيار، وذلك الأصلان أصل التفرق فى البارى فكن فى النفى غير جبان أو لا فلا تلعب بدينك تثبت بعض الصفات وتنفى بعضهـا فأنكر الجميـع أو فرِّق بين ما أثبته ونـفيته، فذروا المراء وصـرحوا بمذاهب القدمـاء وانسلخوا من الإيمان أو قاتلوا مع أمـة التشبـيه والتجـسيم تحت لواء ذى القرآن أو لا فلا تتلاعبوا بعقولكم وكتابـكم وبسائر الأديان، فجميعها قد صرحت بصفـاته وكلامه وعلوه والناس بين مـصدق أو جاحد أو بين ذلك أو حـمار، فنزه وأنف الجميع ولقب مذهب الإثبات بالتجسيم واحمل على الأقران، فمتى سمحت لهم بوصف واحد حملوا عليك فصرعت فلذاك أنكرنا الجمـيع مخافة التجسيم إن صرنا إلى القـرآن ولذا خلعنا ربقة الأديان من أعناقنا ولنا ملوك قـاوموا الرسل فى آل فرعون وقارون وهامان ونمروذ وجنكسخان ولنا الأئمـة أرسطو وشيعته ما فيهم من قال: إن الله فـوق العرش، ولا إن الله يتكلم بالوحى، ولهذا رد فـرعون على موسى إذ قال مـوسى ربنا متكلم فوق السماء وأنه نادانـى، وكذا ابن سينا لـم يكن منم ولا الطوسى قـتل الخليفة والقـضاة والفقـهاء إذ هم مـجسمـة، ولنا الملاحدة الفحول أئمة التعطيل ولنا تصانيف مثل الـشفاء ورسائل إخوان الصفاء والإشارات قد صرحت بالضد ممـا جاء فى التوراة والإنجيل والفرقان، وإذا تحاكـمنا فإليهم لا إلى القرآن، يا ويح جهم وابن درهم ومن قال بقولهما، بقيت من التشبيه فيه بقية ينفى الصفات مخافة التجـسيم ويقال: إن الله يسمع ويرى ويعلم ويشاء وإن الفعل مقدور له والكون ينسبه إلى الحدوث ويصرح بنفى التجسيم والله ما هذان متفقان، لكننا قلنا محال كل ذا حذاراً من التجسيم والإمكان» اهـ.

---

(١) وضع القدم مجاز مشهور عن التسكين وعن الردع والقمع، راجع أساس البلاغةوالفائق ودفع شبه التشبيه وأساس التقديس.، والأخيران مهمان جداً فى الرد على الحشوية، وهـما مطبوعان يسهل تناولهما ففيهما غنية عن التوسع بأكثر مما ذكر.

(٢) قال ابن العربى: أما حديث المخاصرة فضـعيف، راجع العواصم، فكم فى سنن الترمذى ومسند أحمد من أحاديث ضعيفة والناظم هو الذى يسميهما بالتجسيم، قال ابن الجوزى هذا يرويه يوسف بن عبد الله وهو خطأ.

تصوير الناظم أهل الحق أسوأ تصوير

انتهى كلام هذا الملحد تبا له وقطع الله دابر كلامه، انظر هذا الملعون كيف أقام طوائف الشافعية والمالكية والحنفية الذين هم قدوة الإسلام وهداة الأنام فى صورة الملاحدة الزنادقة المقرين على أنفسهم باتباع فرعون وهامان وأرسطو وابن سينا، المقدمين كلامهم على القرآن، وأنه أتباع أصحاب جنكسخان، وأن رائده، لعنه الله ولعنه، سألهم عما يقوله أهل الحديث فنسبوهم إلى ما نسبوهم إليهم، وأنه لذلك انحل عن الأديان وخلع ربقة الإيمان وأبرز ذلك فى صورة مقامة وخيال ليرتسم به فى ذهن من يقف عليه من العوام والجهال أن الطوائف المذكورة، على هذه الصفة.

وإذا كان علماء الشريعة وقادة الأمة بهذه الصفة كيف يقبل قولهم فى الدين؟ أو ماذا تكون قيمة فتاويهم عند المسلمين؟ فما أراد هذا إلا أن يقرر عند العوام أنه لا مسلم إلا هو وطائفته التى ما برحت ذليلة حقيرة، ما أدرى ما يكون وراء ذلك من قصده الخبيث، فإن الطعن فى أئمة الدين طعن فى الدين وقد يكون هذا فتح باب الزندقة ونقض الشريعة ويأبى الله ذلك والمؤمنون.

وجماعة من الزنادقة يكون مبدأ أمرهم خفيًا حتى تنتشر ناره ويشتعل شناره، نسأل الله العافية.

فينبغى لأئمة المسلمين وولاة أمورهم أن يأخذوا بالحزم ويحسموا مادة الشر فى مبدئه قبل أن يستحكم فيصعب عليهم رفعه. ثم إن هذا الوقح لا يستحى من الله ولا من الناس، ينسب إلى طوائف المسلمين ما لم يقولوه فيه وفى طائفته، وأن شيوخهم وصوهم بذلك، وهو يزعم بكذبه أنه متمسك بالقرآن وأين قال الله وفى القرآن (إنه فوق السماء) وأين قال (إنه بائن من خلقه) وأين قال (إنه فوق العرش) بهذا اللفظ وأين قال (إن القدمين فوق الكرسى) وأين قال (إنه يسمع خلقه ويراهم من فوق) وأين قال (إن محمداً قاعد معه على العرش) إلى بقية ما ذكره جميعه.

والمتبع للقرآن لايغيره ولا يغير لفظه بل يتمسك به من غير زيادة ولا نقصان، وكذلك الأحاديث الصحيحة يقف عند ألفاظها ولا يزيد فى معناها ولا ينقص.

كذب الناظم على الله ورسوله ﷺ

وهكذا أكثر ما ذكره لم يجيء لفظه في قرآن ولا سنة، بل هو زيادة من عنده قد كذب فيها على الله(١) وعلى رسول ﷺ وفهمها على خلاف الحق ونسب إلى

(١) جرت سنة العلماء فى تصانيفهم أن أحدهم إذا نقل عن أحد العلماء نقلا ينص على أنه نقله بنصه أو مع شيء من التصرف بالزيادة فيه أو النقص منه، يفعلون ذلك حرصا على صفة الأمانة التى يهوى إلى الدرك الأسفل من الحقارة والصغار من حفظ عنه أنه أخل بها فى تافه من الأمور، فهم يحرصون على تلك الصفة صفة الأمانة فى النقل عن العلماء إخوانهم فاهمين أنهم لو خانوا فى النقل عنهم (وهم ينقلون عنهم دينا يدين به العباد) لهووا فى هاوية من النقص لا قرار لها ولا تقوم لهم قائمة بعدها، وهم إذا حفظوا عن واحد مما ينتسب إلى العلم شيئًا من الإخلال بتلك الأمانة سقط من نظرهم وأكنوا له فى صدورهم من الازدراء به كعالم ما يجعله فى نظرهم كأنه مسخت إنسانيته وأصبح مخلوقًا آخر من المخلوقات التى لا يقع فى النفوس أنها تكون فى وقت من الأوقات مصدراً لأى معنى ينتفع به بنو الإنسان من الناحية الأدبية، هذا نظرهم لمن يخون فى النقل عن رجل مثلهم ما قال الله ورسوله ﷺ إنه معصوم.

وإذا كان الأمر كذلك فى هذا فليقل لى حضرات إخواننا المساكين المغرورين بابن القيم كيف يدومون على غرورهم به وإمام عظيم من أئمة المسلمين يقول عنه بعبارة صريحة فصيحة بينة لا تحتمل التأويل، لا يقولها فقط بلسانه بل يكتبها فى كتاب تبقى فيه على مر الدهور يقرؤها البعيد والقريب والصغير والكبير والعالم والجاهل والمؤمن والكافر يقول تلك الكلمة هذا الإمام النادر المثال فى فضله وزهده وورعه وعلمه وهو يعلم أنه مسئول عنها عند ربه وولى أمره فى دنياه وفى أخراه، وأى كلمة هذه الكلمة هى قوله: إن ابن القيم كذب على الله ورسوله -ليقل لى حضرات المغرورين بابن القيم كيف يكون نظرهم إليه فى الحقاوة والصغار وهم يسمعون إمامًا كبيراً لا ينسب إمامهم إلى الخيانة فى النقل عن فريق العلماء جميعًا بل ينسبه إلى الخيانة فى النقل عن الله ورسوله ﷺ يقول عنه إنه يكذب عليهما ويسند إليهما ما لم يقله كتاب ولا سنة أمع هذا يبقون على غرورهم وإفراطهم فى تعظيم ذلك الرجل الذى يقول عنه الإمام السبكى بحق: إنه ما زاد عنه الزنادقة والملاحدة والطاعنون فى الشريعة.. فى الخروج على الإسلام والمسلمين، أنا لا أتوهم بعد اطلاع هؤلاء المساكين على حال هذا الرجل أن يبقى فى قلوبهم مثقال ذرة من التعظيم له والعطف عليه، كيف لا وهم مؤمنون والله يقول فى كتابه الكريم عن كل من اتصف بالإيمان ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة:٢٢] وإنى أعيذهم بالله من احترام رجل لا يزيد عنه فى الخروج على الإسلام والمسلمين لا الزنادقة ولا الملاحدة ولا الطاعنون فى الشريعة، إنى أرجو إخواننا المغرورين بابن القيم أن يفهموا أن كذب صاحبهم على الله ورسوله ﷺ فى أصول الإسلام ليعلموا هذا جيدا ثم ليوقنوا أن الذى يكذب فى الأصول هين جداً عنده أن يكذب فى الفروع وإذن ترتفع بكل معناها عن ابن القيم فلا يجوز لمسلم أن يعتمد عليه فى نقل لافى أصول ديننا ولا فى فروعه وهو على هذه الحالة سيئة واحدة من سيئات شيخه الكبير إمامكم العظيم لا فى هذا ولا عشر نظركم ابن تيمية. ما ثبت له يثبت لشيخه بالأولى ثم بالأولى. وبناء على هذا أؤكد عليكم أن تنظروا إلى كل كتاب خطته يراعة هذا الرجل=

علماء المسلمين البرآء من السوء كل قبيح، وجعل ذلك طريقًا للخروج من الدين والانسلاخ من الإيمان وانتهاك الحرام، وعدم اعتقاد شيء فهل وصلت الزنادقة والملاحدة والطاعنون فى الشريعة إلى أكثر من هذا؟ بل هذا، وإيهامه الجهال أنه هو المتمسك بالقرآن والسنة، لينفق عندهم كلامه ويخفى عنهم سقامه.

فصل

قال: «فى قدوم ركب الإيمان وعسكر القرآن». قال: «وأتى فريق ثم قال: ألا اسمعوا قد جئتكم من مطلع الإيمان؛ من أرض طيبة، من مهاجر أحمد. سافرت فى طلب الإله فدلنى الهادى عليه، ومحكم القرآن مع فطرة الرحمن وصريح عقل شهدوا بأن الله منفرد بالملك والسلطان وهو الإله الحق».

هذا صحيح. ثم قال: «لا معبود إلا وجهه» هذا عندنا صحيح وأما عنده فالوجه غير الذات فكيف يصح؟

ثم قال: «والناس بعد فمشرك أو مبتدع وكذلك شهدوا بأن الله ذو سمع وذو بصر هما صفتان».

هذا نحن نقوله لكن لو طولب بالشهادة بأنه ذو سمع وذو بصر أين يجدها(١) فى ألفاظ القرآن والسنة ولو كان كذلك لم يكن بيننا وبين المعتزلة نزاع فيه.

قال: «وعموم قدرته(٢) يدل بأنه هو خالق الأفعال للحيوان».

= وشيخه نظر من لا أثر للثقة فى قلبه بهما وبما يكتسبانه وإلا فمثلكم حينئذ مثل من يرى اللص بعينه يسرق العظائم من أموال الناس ثم فى الوقت عينه يقول ما أصلحه وما أجله وما أوثق دينه.

(١) بل الواجب على من يهاب مقام وبه أن لا يطلق عليه تعالى ما لم يرد إطلاقه عليه فى الكتاب والسنة المشهورة مع الاقتصار على الوارد فعلاً كان أو صفة أو مفردًا أو مجموعًا، فلا يقال له عينان ولا هو مستو. فإبدال الفعل صفة، والمجموع مثنى، وإبدال اللفظ بما يظن مرادفًا له مما يجب أن يتهيبه كل مسلم. بل قال إمام الحرمين: أجمع المسلمون على منع تقدير صفة مجتهد فيها لله عز وجل لا يتوصل فيها إلى قطع بعقل أو سمع وأجمع المحققون على أن الظواهر يصح تخصيصها أو تركها بما لا يقطع به من أخبار الآحاد والأقيسة وما يترك بما لا يقطع به كيف يقطع به؟ اهـ.

(٢) وكم من شيء مقدور عليه لم يدخل فى حيز الوجود فمن أين يدل عموم القدرة على أنه خالق أفعال الحيوان؟ بل الدليل على ذلك قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات] وقوله تعالى ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢] وكم لنا من براهين عقلية على ذلك لكن الناظم بالغ الجهل ظاهر البلادة=

اعتقدنا أنه سبحانه خالق أفعال الحيوان ولكن كيف يدل عموم القدرة على ذلك بل لذلك أدلة أخر. واستدلال هذا القدم بعموم القدرة من عدم شعوره.

ثم قال: «هى خلقه حقّا وأفعال لهم حقّا ولا يتناقض الأمران!».

عجب قد تقدم إنكاره على جهم وشيعته قولهم: إن العبد ليس بفاعل فما هذا التناقض(١) ولعله نقل الكلامين تقليدًا ولم يفهم معناهما فلذلك وقع التناقض بينهما ويكونان من كلامين.

ثم قال: فحقيقة القدر الذى حار الورى فى شأنه هو قدرة الرحمن، واستحسن ابن عقيل ذا من أحمد وقال شفى القلوبْ بلفظه».

وقال الناظم: «إن الجبرية والمكذبين بالقدر نظروا نظر الأعور» والكلام فى ذلك يطول وليس هذا من أهله(٢) ولا هو متعلق به بل كلامه فيه فضول فيما لا يعنيه.

فصل

قال: «أيكون أعطى الكمال وما له ذاك الكمال أيكون(٣) إنسان سميع مبصر متكلم وله الحياة والقدرة والإرادة والعلم والله قد أعطاه ذاك وليس وصفه فاعجب

= حتى فى مثل هذه المسائل الظاهرة لصغار المتعلمين وحق مثله أن يقرع إيقافًا له عند حده فالمصنف معذور إذا قال عنه إنه حمار أو تيس.

(١) نفى عن العبد كونه فاعلاً فى مذهب الجهمية يعنى الأشاعرة فيما سبق وأثبته هنا مذهبًا لهم، وعد اعتبار العبد فاعلاً مناقضًا لاعتبار أن الله خالق لفعل العبد! مع أن التناقض فى كلامه نفسه كما شرحنا حيث نفى عنهم سابقًا ما أثبته لهم هنا، وأين التناقض بين كون الله خالقًا وبين كون العبد فاعلاً؟ فتدبر.

(٢) نرجو حضرات المغترين بهذا الناظم ونلح فى الرجاء أن يقفوا هنا طويلاً ليفهموا مقدار قدوتهم الذى لا يرضون أن يكون بجانبه أحد من علماء الأمة فى العلم، فها هم أولاً يسمعون الشيخ السبكى وهو الإمام الجليل فى تقواه وفضله يقرر بصراحة أن ابن القيم ليس بأهل للكلام معه فى مسألة من المسائل العادية، وإنى أعود فأرجوهم أن يتأملوا طويلاً فى كلمة هذا الإمام الكبير رضى الله عنه.

(٣) دليل اتصاف الله سبحانه بصفات الكمال من الكتاب والسنة والمعقول معروف عند أهله، وأما الطريق الذى سلكه الناظم فى ذلك فليس فى شىء من الأداء إلى ما يتوخاه، وإنما سلك هذا الطريق الغير النافذ ليخيل إلى العامة أن صفات الله من قبيل صفات العبد فلا مانع من أن يكون البارى ينظر بعين ويسمع بأذن.. إلى آخر تكل المخازى كما هو مذهبه فى إثبات الصورة له تعالى مع أن تلك الصفات فى العبد بآلات وجوارح فهى فى العبد مقرونة بالنقائص والاحتياج، تعالى الله عن ذلك، فليتنبه إلى دسائس الناظم.

من البهتان بخلاف نوم العبد وجماعه وأكله وحاجة بدنه إذ تلك ملزومات كون العبد محتاجًا وتلك لوازم النقصان وكذا لوازم كونه جسدًا نعم، ولوازم الأحداث والإمكان يتقدس عنها وعن أعضاء ذى جثمان».

عدم تمييز الناظم بين اللازم والملزوم

الجسدية والحدوث والإمكان يلزم منها ثلاثتها الاحتياج والنقص، فالنوم والجماع والأكل لوازم لذلك لاملزومات[١] وتقديسه عن الأعضاء مع إثباته قدمين كيف يجتمعان.

تخبط الناظم فى الصوت

قال: «والله ربى لم يزل متكلمًا، هو قول ربى كله بعضه لفظا ومعنى، ما هما خلقان».

أما كونه لم يزل متكلمًا وقوله مع ذلك إنه لفظ وإنه غير مخلوق فكلام من لا يدرى ما يقول[٢].

قال: «لكن أصوات العباد مخلوقة، فإذا انتفت الوساطة كتكلم الله لموسى فالمخلوق نفس السمع[٣] لا المسموع، هذه مقالة أحمد (يعنى ابن حنبل) ومحمد (يعنى البخارى)».

---

(١) يا حضرات المغترين بابن القيم، اعملوا معروفًا مع أنفسكم وانظروا كيف لا يميز صاحبكم اللازم من الملزوم، أيكون حاله هكذا فى الجهل ويصل غروركم به إلى أن تعتقدوا أنه الإمام الذى لا يساميه بل لا يدانيه إمام.

(٢) لأن اللفظ لابد من أن يكون باعتبار وجوده الخارجى متعاقب الحروف فلا يتصور العاقل فى مثله قدمًا، نعم ليس للفظ باعتبار وجوده العلمى والنفسى تعاقب فيكون قديمًا كما قال بذلك أحمد وتابعه ابن حزم، وهو الموافق لتحقيق القوم فى الكلام النفسى، إلا أن وجوده أصلى بخلاف العلم فإنه بالإضافة إلى المعلوم والناظم ليس بقائل بما قال به أحمد كما يظهر من مواضع من نظمه فيكون قائلاً بما هو غير معقول.

(٣) لا فرق بين موسى عليه السلام وبين غيره فى خلق السمع فيهما، وأما المسموع فإن كان يريد به الصوت المكيف فكذلك، وإن كان يريد ما هو قائم بالله فجل الإله أن يقوم به عرض سيال. والوارد فى الكتاب أنه تعالى كلم موسى - بدون ذكر الصوت أصلاً - والتكلم لا يستلزم الصوت قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً﴾ [الشورى: ٥١] إذ لا صوت فى الوحى إلى القلب والصوت فى الثالث صوت الرسول دون المكلم فليكن الكلام من وراء حجاب كذلك وهو الذى حصل لموسى، فمهما كان النبى بسماعه صوت الرسول إليه يعد أن الله كلمه فلا يكون أى مانع من أن يعد=

قلنا نعم نوافقه على ذلك على قول الأشعرى إن الكلام النفسى يسمع ولا يلزم أن يكون هناك حرف وصوت ومن اعترف بكلام الله تعالى وأن موسى سمعه ولم يقل إنه حرف أو صوت أو غير ذلك بل وقف عند حده وعجزه وجهله ونزه الله تعالى عن صفات خلقه، سلم.

ثم قال فى بيت الأخطل:

*** يا قوم قد غلط النصارى فى الكلمة***

ونظير هذا من يقول كلامه معنى قديم غير محدث والشطر مخلوق وتلك حروفه ناسوته(١).

ابصر هذه الجراءة وتشبيهه أقوال العلماء بأقوال النصارى وجهله وكذبه بأن الحروف كالناسوت والمعنى قائم بذات الرب سبحانه وتعالى والألفاظ بالقارئ لا يتحد أحدهما بالآخر ولا يحل فيه كما يقول النصارى تعالى الله عن قولهم.

فصل

قال: «الكلام قيل بغير مشيئة، وإنه معنى إما واحد وإما خمسة معان، وقيل: إنه لفظ مقترن فالسين مع الباء، والذين قالوا بمشيئة صنفان أحدهما جعله خارج ذاته وهو قول الجهمية ومتأخرى المعتزلة والثانية فى ذاته وهم الكرامية، وهم نوعان

= موسى كلمه ربه إذ نودى من الشجرة، فأى زائغ يتصور حلول الله فى الشجرة حتى يقول: إن الذى سمعه صوت الله؟ تعالى الله أن يكون كلامه صوتًا، والآية قاضية على جميع الأوهام فى هذا البحث لمن أحسن التدبر فيها.

(١) لم يفهم الناظم كلام القوم فشنع كما شاء، قاتل الله البلادة ما أفتكها ظن الناظم أن المراد بالمعنى معنى النظم فبنى عليه ما شاء، مع أن مرادهم بالمعنى هنا هو القائم بالله الشامل للدال ومدلوله باعتبار وجودهما العلمى كما نص عليه أحمد فى رده على ابن أبى دؤاد، كما ذكر فى كتاب السنة وغيره، فلا يكون للفظ الخارجى دخل أصلاً فى القدم على مذهب إمامه نفسه، نعم يوجد من يسير سير النصارى فى الحلول بين الذين تكلموا فى القرآن وهو من يقول إن الصوت من المصوت قديم وإن الله تعالى قرأ على لسان كل قارئ كما ذهب إلى ذلك السالمية، تعالى الله عما يقول الظالمون. والناظم من أقرب المبتدعة إليهم.

احدهما جعله مبدوءًا به حذرًا من التسلسل فلذلك قالوا له أول والآخرون كأحمد ومحمد قالوا: لم يزل متكلمًا[١] بمشيئة وإرادة. وتعاقب[٢] الكلمات».

هذا هو الذى ابتدعه ابن تيمية والتزم به حوادث لا أول لها، والعجب قوله مع ذلك إنه قديم، وحين النطق بالباء لم تكن السين موجودة، فإن قال النوع قديم وكل واحد من الحروف حادث عدنا إلى الكلام فى كل واحد من حروف القرآن، فيلزم حدوثها وحدوثه، فالذى التزمه من قيام الحوادث بذات الرب لا ينجيه بل يرديه، وهذا آفة التخليط والتطفل على العلوم وعدم الأخذ عن الشيوخ.

كلام واف فى أحاديث الصوت

ثم قال: «واذكر حديثًا فى صحيح محمد ذاك البخارى فيه نداء الله[٣] يوم معادنا بالصوت».

---

(١) اقترى الناظم عليهما تمويها وتحميلاً على لفظ مجمل ما لا يحتمله وهما كباقى أهل السنة يقولان: إن الله متصف بصفة الكلام أزلا كاتصافه بباقى صفاته الأزلية وهو يتكلم متى شاء، وهما بعيدان من المماحكات الزائفة، والله سبحانه سريع الحساب وشديد العقاب أزلا ولا يستلزم ذلك قدم البعث وهو سبحانه لم تحدث له صفة بخلق الخلق وهو خالق أزلاً قبل أن يخلق الخلق.

(٢) فيكون محلاً للحوادث، تعالى الله عن ذلك، وابن تيمية تابع الكرامية فى ذلك وأربى عليهم فى الزيغ بدعوى القدم النوعى فى الكلام، مع أنه لا وجود للكلى إلا فى ضمن الأفراد، فلا معنى لوصف النوع بالقدم بعد الاعتراف بحدوث كل فرد من أفراده وقد أطال العلامة قاسم بن قطلوبغا الحافظ فيما كتبه على المسايرة الكلام فى ذلك فلا نطيل الكلام بما هو فى متناول أيدى صغار التلاميذ. والناظم من أتبع الناس لابن تيمية فى سخافاته، وقد نقل ابن رجب فى طبقاته عن الذهبى فى حق ابن تيمية أنه أطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا وجسر هو عليها اهـ فيدور أمره بين أن يكون مصابًا فى عقله أو دينه، فتبا لمن يتخذ مثله قدوة.

(٣) إن كان يريد حديث جابر عن عبد الله بن أنيس (يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب...) الحديث، فهو حديث ضعيف علقه البخارى بقوله ويذكر عن جابر دلالة على أنه ليس من شرطه ومداره على عبد الله بن محمد بن عقيل وهو ضعيف باتفاق، وقد انفرد عنه القاسم بن عبد الواحد وعنه قالوا إنه ممن لا يحتج به. وللحافظ أبى الحسن المقدسى جزء فى تبيين وجوه الضعف فى الحديث المذكور، وأما إن كان يريد حديث أبى سعيد الخدرى (يقول الله يا آدم يقول لبيك وسعديك فينادى بصوت إن الله يأمرك...) الحديث، فلفظ ينادى فيه على صيغة المفعول جزمًا بدليل «إن الله يأمرك» ولو كان على صيغة الفاعل لكان إنى آمرك كما لا يخفى على أن لفظ (صوت) انفرد به حفص بن غياث وخالفه وكيع وجرير وغيرهما فلم يذكروا الصوت، وسئل أحمد عن حفص هذا فقال كان يخلط فى حديثه كما ذكره ابن الجوزى، فأين الحجة للناظم فى مثله؟ على أن الناظم نفسه خرج فى حادى الأرواح - وفى هامشه إعلام الموقعين (٢ - ٩٧) عن الدارقطنى من حديث أبى موسى (يبعث الله يوم القيامة مناديًا بصوت يسمعه أولهم وآخرهم إن الله وعدهم....) الحديث، وهذا يعين أن الإسناد مجازى على =

اللفظ الذى فى البخارى (فينادى بصوت) وهذا محتمل لأن يكون الدال مفتوحة والفعل لم يسم فاعله وأن يكون مكسورة فيكون المنادى هو الله تعالى فنقله عن البخارى نداء الله ليس بصحيح، والعدالة فى النقل أن ينقل المحتمل محتملا، وإذا ثبت أن الدال مكسورة فلم يقول إن الصوت منه؟ فقد يكون من بعض ملائكته أو من يشاء الله.

ثم قال: «أيصح فى عقل وفى نقل[1] نداء ليس مسموعًا لنا».

أما العقل فلا مدخل له فى ذلك وأما النقل فقد قال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾ [مريم: ٣].

ثم قال: «والله موصوف بذاك حقيقة هذا الحديث ومحكم القرآن».

ليس فى الحديث ومحكم القرآن أنه حقيقة.

قال: «ورواه عندكم البخارى المجسم بل رواه مجسم فوقانى».

هذا بهت لنا فى أن البخارى مجسم عندنا والله ما اعتقدنا فيه ذلك ولا فى أحمد الذى عناه بالفوقانى ولكن هذا بهت لنا وإساءة على البخارى ومن فوقه.

ثم قال: «واذكر حديثًا لابن مسعود صريحا إنه ذو أحرف».

هو حديث فى الترمذى: من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة وقال حسن صحيح ووقفه بعضهم على ابن مسعود، وعلى كل تقدير الحرف فى قراءة القارئ، وقد تقدم من هذا الناظم أن الصوت فعل القارئ فلا وجه لاحتجاجه هنا، ولابن مسعود حديث آخر أنه على سبعة أحرف، والمراد نزوله بها ثم قال: «وانظروا إلى السور التى افتتحت بأحرفها لم يأت قط بسورة إلا أتى فى أثرها خبر عن القرآن».

= تقدير ثبوت الحديثين فظهر بذلك أن الناظم متمسك فى ذلك بالسراب والمؤلف تساهل فى الرد عليه وفى (القواصم والعواصم) لابن العربى ما يقصم ظهر الناظم فى (٢-٢٩) منه.

(١) النداء طلب الإقبال عند النحاة واللغويين فيجرى مجرى القول وكم فى الكتاب والسنة مما يدل على القول والكلام بدون صوت كما نسرد بعض ذلك عند التدليل على الكلام النفسى وقول صاحب القاموس: النداء الصوت تسامح منه، وكم له من مسامحات معروفة عند أهل العلم.

هذا منتقض بسورة «كهيعص» و«العنكبوت» و«الروم» و«ن».

فصل

قال: «إنه يلزم من نفى صفة الكلام نفى الرسالة[١]». وهو جهل منه وإن كنا لا ننفى صفة الكلام.

فصل

وقال: «إنه يلزمهم تشبيه الرب بالجماد الناقص». وهذا بلادة[٢].

فصل

قال: فى إلزامهم[٣] أن كلام الخلق حقه وباطله عين كلام الله سبحانه بخلقه أفعال العباد». ما هذا إلا . . .

فصل

فى التفريق بين الخلق والأمر قال: «وكلاهما عند المنازع واحد». المنازع هم المعتزلة، ولسنا منهم، لكن قوله: إنهما عندهم[٤] واحد ليس بصحيح.

---

(١) وقد نص الله سبحانه على أن تكليم الله سبحانه منحصر فى الوحى إلى القلب وإرسال ملك يبلغ كلامه، والكلام وراء حجاب وليس فى واحد منها صوت للمكلم سبحانه فمن أين يلزم من نفى ما أثبته المجسمة من حرف وصوت فى الرسالة بل عد الإله سبحانه محلاً للأعراض هو المستلزم لنفى الصانع فضلاً عن الرسالة، قاتل الله هذه الفئة السخيفة، ما أجهلهم بما يجوز فى الله وما لا يجوز.

(٢) اكتفى بوصفه بالبلادة لئلا يوقع عليه الحكم بالكفر لو كان يعقل ما يقول، لأن إثبات الحرف والصوت لله تشبيه له بالإنسان وتشبيه الله بمخلوق كفر والصوت عرض سيال محال أن يقوم بالله سبحانه بل هو متكلم بكلام نفسى ليس له صوت.

(٣) وجه هذا الإلزام لا يظهر إلا لمن هو على شاكلة الناظم فى تخيل ما هو غير معقول ولو ألزم القائلين بالحرف والصوت أن التالى قد يكون لاحنًا قبيح الأداء فلا يتصور فى صفة الله سبحانه مثل ذلك فيبطل القول بأن كلام الله حرف وصوت لكان قوله هذا ملزمًا حقيقة وأما إلزام الناظم هنا فقلب للحقيقة بل هذيان ظاهر وأمام هذا لم يسع المصنف إلا أن يخرج الناظم من عداد العقلاء ومن الصعب جداً على العالم خطاب من لا يفهم.

(٤) وهم يفرقون بين الأمر التكليفى والأمر التكوينى، وقد ذكروا فيما ألفوه فى أصول الفقه ما هو موجب الأمر التكليفى. وقوله تعالى ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤] يحتمل معانى ومن أجلاها أنه هو الذى خلق الخلق وإليه فقط أن يأمرهم بما يشاء وأولو الأمر إنما يستمدون الأمر من أمره تعالى فلا يكون للآية دخل فى هذا البحث أصلاً وإن كان بعضهم يلهج. بذلك.

فصل

قال: «والله أخبر فى الكتاب بأنه منه». قلنا: الذى فى الكتاب ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [غافر:٢] . . . ، ونحوه وليس فيها الكتاب منه.

ثم قال: «والمجرور بـ(من)[١] نوعان: عين ووصف قائم بالعين، فالعين خلقه والوصف قام بالمجرور». قوله قائم بالعين ليس بصحيح فقد يكون قائمًا بنفسه(؟).

فصل

وقيعة الناظم وشيخه فى ابن حزم

قال: «وأتى ابن حزم فقال مـا للناس قرآن ولا اثنان بل أربع كل يسمى بالقرآن وذاك قول بين البطلان. هذا الذى يتلى والمرسوم والمحفوظ والمعنى القديم فالشىء شىء واحد لا أربع فدهى ابن حزم[٢] ملة القرآن».

هذا لم يفهم كلام ابن حزم، مـراد ابن حزم أن القرآن هو المعنى وهو واحد له وجود فى نفـسه ويتلى ويرسـم ويحفظ فيـوجد فى اللفظ والخط والصـدر ويطلق على الثلاثة أيضًا قرآن فاللفظ مشترك بين الأربعة.

ثم قـال ما مـعناه: «إن اللفظ يطلق على المصـدر ويطلق على الملفوظ وألفـاظ

---

(١) يريد أن ما سبق على المجرور بـ «من» إما أن يكون عينًا أو وصفًا فالعين مخلوقـه تعالى، قال: والوصف قائم به تعالى لكن فى العبارة ارتباك، وكذا عبارة المصنف فليحرر.

(٢) ومن المضحـك المبكى وقـيعة الـناظم وشيخـه فى ابن حزم وهو إمامهـما فى غالب المسائل الفـرعية التى شذا بهـا عن الجماعـة وأنـت تراهما يطعنان فـيه طعنًا مرًا فى المسـائل الاعتقـادية، وهو أقرب إلى الحق منهما فى غـالب تلك المسائل ولا سيمـا فى مسـألة القرآن وهو من المنزهين دونـهـما وهو عـدو لـدود للمجسـمة حتى إنهم تراهم ينبزون هذا الظاهرى بالقـرمطة، وفى الفصل أبحاث جيـدة تتعلق بقمع أهل التجسـيم لعلها تكون كـفـارة عن بعض قسوتـه وشذوذه ومخالـفاته لجمـهور العلماء وقـول ابن حزم يكون القرآن مـشتـركًا بين تلـك الأربعة مـوافق لكتاب الله، قـال الله تعالى ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكـبوت: ٤٩] وقـال تعالى : ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ۝ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢] وقال تعـالى ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقـاف: ٢٩] فصـدور العلمـاء واللوح المحفـوظ ولسان الرسول ﷺ مخلـوقـة مع ما فيها، فـالـقديم هـو ما قام بالله سبحانه دون ما الصـدور والألواح والألسنة، وهذا فى غايـة من الظهور. وغلط ابن حـزم إنما هو فى قوله بعـموم المشترك هنا.

العباد كذلك، فالأول مخلوق والثانى[١] غير مخلوق وهو القرآن وعلى ذلك حمل كلام أحمد[٢] والبخارى».

الكلام اللفظى

قلنا أما المصدر فمخلوق بلا شك[٣] وهو فعل العبد وأما الملفوظ من فم العبد فهو الصوت الخارج منه، المخلوق لله تعالى، وقولنا له كلام الله كما يقال إذا قرأ المحدث (إنما الأعمال بالنيات) هذا كلام النبى ﷺ وإذ قرىء كتاب ملك علينا نقول هذا كتاب الملك.

فصل

قال: فى مقالة الفلاسفة والقرامطة: هذا لا يتعلق بنا فعليهم غضب الله، ولكن غرضه أن يخلط الحق بالباطل حتى يروج[٤] الباطل.

فصل

قال: فى الاتحادية: هو من النمط الذى قبله.

ثم قال: «هذه مقالات الطوائف كلها فاعطف على الجهمية المغل الذين خرقوا

(١) يعنى الملفوظ، فإن كان يريد وجوده العلمى فى علم الله فقدمه بهذا الاعتبار موضع اتفاق، وإن كان يريد الصوت الصادر من فم اللافظ فهو حادث قطعًا، وأنى يتصور القدم لعرض محسوس المبدأ والمقطع ومذهب الناظم اعتبار كلام الله صوتًا صادراً من الله حادثًا شخصا قديمـا نوعًا، تعالى الله عن ذلك. ولم يقل به أحد قبل شيخ الناظم وتابعه الناظم المسكين كمـا يظهر من مواضع فى هذا الكتاب فقوله (والثانى غير مخلوق) لا يصح بالنظر إلى الصوت وهو ظاهر والله سبحانه هو الهادى.

الخلاف بين أحمد والبخارى فى اللفظ

(٢) والمعروف بين أهل العلم أن البخارى كان يقول بحدوث اللفظ - يعنى لفظ التالى الدال دون تعرض للمعنى المدلول عليه وضعا أو عقلاً - وأحمد يبدع من يقول ذلك وتبديع هذا وقول ذاك متواردان على شيء واحد، والحق مع البخارى فى تلك المسألة وإن كان الذهلى وأصحابه جميعًا هجروه على ذلك، راجع كتاب الجرح والتعديل لابن أبى حاتم وليس بقليل بين أهل العلم الذين يقولون بأن المعنى المصدرى أمر نسبى من قبيل الحال فعندهم أن اللافظ هو العبد وهو مخلوق الله والملفوظ هو الصوت المكيف الخارج من فم العبد وهو مخلوق الله تعالى أيضًا واللفظ بالمعنى المصدرى نسبة بين اللافظ والملفوظ فلا يتعلق به الخلق عندهم وقول الناظم والمصنف يخلقه على مذهب نفاة الحال وتفصيل هذا البحث فيما كتبناه على الاختلاف فى اللفظ.

(٣) يعنى عند نفاة الحال، راجع شرح المواقف.

(٤) هل يعد من علماء الإسلام بل من عامة المسلمين من يروج الباطل وهو يعلم أنه باطل؟

سياج العقل والقرآن شرد[١] بهم من خلفهم واكسرهم». ثم ذكر مذاهب المعتزلة ومذاهب الأشعرية وهما اللذان يسميهما الجهمية.

ثم قال: هذا الذى قد خالف المعقول والمنقول والفطرات للإنسان، أما الذى قد قال إن كلامه ذو أحرف قد رتبت ببيان وكلامه بمشيئة وإرادة كالفعل منه كلاهما[٢] سيان فهو الذى قد قال قولا يعلم العقلاء صحته بلا نكران، فلأى شىء كان ما قلتم أولى؟ ولأى شىء كفرتم أصحاب هذا القول؟ فدعوا الدعاوى وابحثوا معنا وارفوا مذاهبكم إن أمكن».

ليت شعرى من هو الذى من العقلاء يعلم صحة كلام ذى أحرف مترتبة مفعول قديم ولكن هذا صبى العقل غره، هجام على الحقائق بهواه.

ثم قال: «فاحكم -هداك الله- بينهم لا تنصرن سوى الحديث وأهله هم عسكر القرآن فنقول هذا القدر قد أعيا على أهل الكلام وقاده أصلان، أحدهما: هل فعله[٣] مفعوله أو غيره، قولان والقائلون بأنه عينه فروا من الحدث فى الصفات وحقيقة قولهم تعطيل الخالق عن فعله إذ فعله مفعوله لكنه ما قام به فعلى الحقيقة

(١) التشريد المذكور فى الآية مأمور أن يوقعه النبى ﷺ بالكفار. ولينظر القارئ كيف يأمره حضرة الناظم أن يوقعه بجماعة المسلمين الأشاعرة وغيرهم من أجل أنهم لا يوافقونه فى ضلاله.

(٢) هذا إنما يصح فى الكلام اللفظى الحادث باعتبار وجوده الخارجى وأما باعتبار وجوده العلمى فقديم، كما سبق، قال أبو بكر الباقلانى فى النقض الكبير: «من زعم أن السين من باسم الله بعد الباء والميم بعد السين الواقعة بعد الباء لا أول له فقد خرج عن المعقول وجحد الضرورة وأنكر البديهة، فإن اعترف بوقوع شىء فقد اعترف بأوليته، فإذا ادعى أنه لا أول له فقد سقطت محاجته وتعين لحوقه بالسفسطة، وكيف يرجى أن يرشد الدليل من يتواقح فى جحد الضرورى اهـ» راجع الشامل لإمام الحرمين ونجم المهتدى لابن المعلم القرشى. وفى شعب الإيمان للحليمى «ومن زعم أن حركة شفتيه أو صوته أو كتابته بيده فى الورقة هو عين كلام الله القائم بذاته فقد زعم أن صفة الله قد حلت بذاته ومست جوارحه وسكنت قلبه، وأى فرق بين من يقول هذا وبين من يزعم من النصارى أن الكلمة اتحدت بعيسى عليه الصلاة والسلام اهـ» ليحفظ القارئ هذا ثم أرجوه أن يقرأ قول الموفق الحنبلى صاحب المغنى فى مناظرته المسجلة فى المجموعة المحفوظة تحت رقم ١١٦ بظاهرية دمشق ونصه «قال أهل الحق: القرآن كلام الله غير مخلوق، وقالت المعتزلة هو مخلوق، ولم يكن اختلافهم إلا فى هذا الموجود دون ما فى نفس البارى مما لا ندرى ما هو ولا نعرفه».

وعن الموفق هذا يقول شيخ الناظم ماحل دمشق مثله بعد الأوزاعى وأنت ترى كلامه فى المسألة وإذا كان هذا حال الموفق فماذا تكون حال الناظم وشيخه؟

(٣) إن كان المراد بالفعل ما هو بالمعنى المصدرى من قوله تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] فليس فى=

ما له فعل إذ المفعول منفصل عنه. والقائلون بأنه غيره طائفتان: إحداهما قالت قديم قائم بالذات، سموه تكوينًا، وهم الحنفية. والآخرون رأوه حادثا قام بالذات، وهم نوعان: أحدهما جعله مفتتحا به حذرا من التسلسل وهو قول الكرامية، والآخرون أهل الحديث كأحمد[1] بن حنبل قال: إن الله لم يزل متكلما إن شاء، جعل الكلام صفة فعل قائمة بالذات لم يفقد من الرحمن، وكذاك نص على دوام الفعل وكذا ابن عباس وجعفر الصادق و(عثمان بن سعيد) الدارمى وصدق فالحياة والفعل متلازمان وكل حى[2] فعال إلاإذا عرضت آفة أو قسر، أو

= فرق الإسلام من ينفى الفعل بهذا المعنى عن الله سبحانه بل إثباته موضع اتفاق بين الفرق كلها وإن كان يريد ما هو مبدأ هذا المعنى فهو صفة قديمة غير الإرادة والقدرة عند طوائف من أهل الحق وهى المسماة عندهم بصفة التكوين، وأما الأشاعرة فيرجعونها إلى القدرة وللقولين حظ من النظر وأما إن كان المراد بالفعل الفعل الحاصل بالمصدر أعنى الأثر المترتب على التكوين أو القدرة فلا شك أنه مفعول الله ومخلوقه وغير قائم به أصلا، فأفعال الله بهذا المعنى هى مخلوقاته حتمًا، ودعوى قيامها بالله لا تصدر ممن يعى ما يقول ومن المجسمة أناس يظنون أن أفعال الله تكون بالحركة كأفعال العباد وتصدر منه بالعلاج والمزاولة مع أن الجوارح والآلات إنما وضعت للعباد ليتوصلوا به إلى قصدهم وهى كلها نقص وآفات، وأما من له الحول والقوة جل جلاله فإنما هو إذا أراد شيئا قال له كن فيكون بدون آلة ولا جارحة ولا علاج ولا مزاولة. يريد الشيء فيحدث. وبهذا البيان ظهر ما فى كلام الناظم من الاختلال ووجوه الضلال.

(١) نسبة القول بقيام الفعل الحادث بالله سبحانه إلى أحمد وجعفر الصادق وابن عباس رضى الله عنهم نسبة كاذبة وفرية مكشوفة. وقول أحمد (إن الله لم يزل متكلما إن شاء) بمعنى أن الكلام صفة قديمة وأنه تعالى يكلم أنبياءه متى شاء بدون حرف ولا صوت بالوحى ومن وراء حجاب أو بإرسال رسول «وهو متكلم خالق قبل أن يكلم الرسل ويخلق الخلق» كما صرح بذلك غلام الخلال من قدماء الحنابلة فى المقنع، وأما عثمان بن سعيد الدارمى السجزى مؤلف النقض على المريسى فكان فيما سبق لا يخوض فى صفات الله سبحانه كما هو طريقة السلف، ثم انخدع بالكرامية وأصبح مجسمًا مختل العقل عند تأليفه النقض المذكور، وهو حقيق بأن يكون قدوة للناظم ونسجل هنا على الناظم اعتقاده قيام الحوادث بذات الله سبحانه وتعالى واعتقاده أن هذه الحوادث لا أول لها، وإنى ألفت نظر حضرة القارئ إلى هذه العقيدة وهل تتفق مع دعوى أنه إمام دونه كل إمام ؟ بل هل تتفق هذه العقيدة مع دعوى أنه فى عداد المسلمين فقط؟

الرد على عثمان بن سعيد فى إثباته الحركة

(٢) ليست حياة الله كحياة العباد ولا فعله تعالى كأفعالهم، وإدخال الله سبحانه فى مثل هذه الكلية لا يصدر إلا ممن هو مريض القلب بمرض التشبيه، وعثمان بن سعيد هذا يصرح فى نقضه المنقوض بأن كل حى فعال متحرك ويثبت لله الحركة ويظهر من ذلك كيف يتصور فعل الله، والناظم يقتدى بمثل هذا المخذول، ولعل القارئ ازداد بصيرة وعلم من هذا الكلام بأن الحوادث لا أول لها فى نظر هذا الناظم لأن حياة الله=

لست تسمع قول كل موحد (يا دائم المعروف قديم الإحسان) أوليس فعل الرب تابع وصفه وكماله؟ أفذاك ذو حدثان؟ وكماله سبب الفعال وخلقه أفعالهم سبب الكمال الثانى، أو ما فعال الرب عين كماله؟ أفذاك ممتنع على المنان أزلا إلى أن صار فيما لم يزل ممكنا؟ تالله قد ضلت عقول القوم إذ قالوا بهذا، وتخلف التأثير بعد تمام موجبه محال والله ربى لم يزل ذا قدرة ومشيئة وعلم وحياة وبهذه الأوصاف تمام الفعل فلأى شيء تأخر فعله مع موجب[١] قد تم والله عاب على المشركين عبادتهم ما ليس بخالق ولا ينطق، والله إله حق دائمًا، أفعنه الوصفان[٢] مسلوبان أزلا، هذا المحال إن كان رب العرش لم يزل إله الخلق، فكذا لم يزل متكلما فاعلا -والله- ما فى العقل ما يقضى لذا بالرد بل ليس فى المعقول غير ثبوته، وما دون المهيمن حادث ليس القديم سواه والله سابق كل شىء ما ربنا والخلق مقترنان والله كان وليس شىء[٣] غيره لسنا نقول كما يقول اليونانى بدوام هذا العالم المشهود والأرواح فى أزل وليس بفان، واندفع فى ذكر النصير الطوسى لعنه الله فهو معذور فيه، لكنه لا فرق بينه وبين القائلين بقدم العالم إلا أنه لا يقول بقدم هذه الأجسام المشاهدة والأرواح وهذه الأجسام والأرواح كالحوادث اليومية التى أجمع كل عاقل على حدوثها، فلو جاء زنديق وقال إنه لم يزل أجسام

= لا أول لها فيكون فعله لا أول له، وهذه المسألة من المسائل التى كفر علماء الإسلام الفلاسفة بها فليعرفه المغرورون بابن القيم ثم ليعرفوه.

الرد على قول الناظم بالإيجاب

(١) وهذا تصريح منه بأن الله سبحانه فاعل بالإيجاب انخداعًا منه بقول الفلاسفة القائلين بقدم العالم وقد أتى أهل الحق بنيانهم من القواعد، وإن كان الناظم المسكين بعيدًا عن فهم أقوال هؤلاء وأقوال هؤلاء. ثم يناقض الناظم نفسه ويثبت لله الاختيار وهو فى الحالتين غير شاعر بما يقول تعالى الله عما يقول. وأرجو أن يفهم القارئ هنا معنى لابد من اعتقاده وهو أن القائل بأن الله فاعل بالإيجاب فى ناحية ودين الإسلام كله فى ناحية، وأى مسلم يستطيع أن يقول إن ربنا مرغم على فعل ما يفعله.

(٢) ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق ولا بإحداثه البرية استفاد اسم البارى له معنى الربوبية ولا مربوب ومعنى الخالق ولا مخلوق وهكذا كما نقله الطحاوى عن فقهاء الملة لكن أين للمجسم المسكين أن يفهم هذه الحقائق.

(٣) والمسلمون جميعهم يعتقدون أن حياة الله لا افتتاح لها، وقد تقدم للناظم أنه يقول: إن كل حى فعال وإن الحياة والفعل متلازمان ومعنى هذا أن الفعل لا افتتاح له أيضًا فإذن كيف يتفق قوله هذا السابق مع قوله هنا (كان الله وليس شىء غيره) فليعرف ذلك أهل الغرور بابن القيم ثم ليعرفوه.

وأرواح خلقًا من قبل خلق وإنه كان قبل هذه السموات سموات غيرها لا إلى نهاية، وأرواح غير هذه الأرواح لا إلى نهاية لم يكن بينه وبين هذا الناظم فرق إلا أن هذه فى غير ذاته تعالى، وما قاله الناظم ، بحدوثه فى ذاته سبحانه وتعالى والتسلسل عنده جائز فبم ينكر على الزنديق الذى يدعى ذلك؟ وأى فرق بين قوله وقوله؟ فإن التزم جوازهما فأى فرق بينهما وبين جرم هذه السماء؟[1] وقوله (تخلف التأثير بعد تمام موجبه) ففيه اعتراضان: أحدها أن المؤثر خلاف الفاعل بالاختيار والله تعالى فاعل بالاختيار والثانى قوله (بعد تمام موجبه) إن أراد الإيجاب الذاتى فهو قول الفلاسفة والله فاعل بالاختيار، ومن ضرورة الفعل بالاختيار تأخر عن الاختيار، والتأخر يقتضى الحدوث فكيف يتخلص عن هذه اللكنة. [وإن أراد الوجوب عن الله فسياق العبارة ينافيه].

فصل

القول فى تجويز التسلسل فى الماضى

قال: «فلئن زعمتم أن ذاك تسلسل قلنا صدقتم وهو ذو إمكان كتسلسل التأثير فى مستقبل، وهل بينهما[2] فرق؟ وأبو على [الجبائى] وابنه [أبو هاشم] والأشعرى وابن الطيب [الباقلانى] وجميع أرباب الكلام الباطل فرقوا وقالوا ذلك فيما لا يزال حق وفى الأزل ممتنع لأجل تناقض الأزلى والأحداث، فانظر إلى التلبيس فى ذا الفرق ترويجًا على العوران والعميان ما قال ذو عقل بأن ذا أزلى لذى ذهن ولا أعيان بل كل فرد فهو مسبوق بفرد ونظيره كل فرد ملحوق بفرد فالآحاد تفنى والنوع[3] لا يفنى أزلا وأبدًا وتعاقب الأنات ثابت فى الذهن كذا فى العين، فإن

---

(١) ولعل المصنف لم ير جزء (حوادث لا أول لها) لابن تيمية إذ قوله فيه خطر جدًا.

(٢) لو كان الناظم سعى فى تعلم أصول الدين عند أهل العلم قبل أن يحاول الإمامة فى الدين لبان له الفرق بين الماضى والمستقبل فى ذلك، ولعلم أن كل مادخل فى الوجود من الحوادث متناه محصور وأما المستقبل فلا يحدث فيه حادث محقق إلا وبعده حادث مقدر لا إلى غير نهاية بخلاف الماضى كما سبق وسيأتى كلام أبى يعلى وغيره فى ذلك.

(٣) عدم فناء النوع فى الأزل بمعنى قدمه، وأين قدم النوع مع حدوث أفراده؟ وهذا لا يصدر إلا ممن به مس بخلاف المستقبل وقد سبق بيان ذلك، وقال أبو يعلى الحنبلى فى المعتمد: «والحوادث لها أول ابتدأت منه خلافًا للملحدة اهـ». وهو من أئمة الناظم فيكون هو وشيخه من الملاحدة على رأى أبى يعلى هذا فيكونان أسوأ حالا منه فى الزيغ نسأل الله السلامة.

قلتم الأنات حادثة فيقال ماذا تعنون بالأنات؟ هل تعنون مدة من حين إحداث السموات؟ ونظنكم تعنون ذاك ولم يكن قبلها شيء من الأكوان، هل جاءكم في ذاك من أثر ومن نص ومن نظر ومن برهان؟ إنا نحاكمكم إلى ما شئتم منها أوليس خلق الكون في الأيام أوليس ذلكم الزمان بمدة، فحقيقة الأزمان[١] نسبة حادث لسواه، واذكر حديث السبق بخمسين ألف سنة سابقة، وعرش الرب فوق الماء من قبل السنين بمدة وزمان والحق أن العرش كان قبل القلم والذين لم يقولوا بدوام فعله[٢] عموا عن القرآن والحديث ومقتضى العقول وفطرة الرحمن والبرهان وأسسوا أصل الكلام وبنوا قواعدهم عليه وقادهم قسراً إلى التعطيل، نفى القيام لكل أمر حادث بالرب خوف تسلسل الأعيان فيسد ذاك عليهم بزعمهم إثبات الصانع إذا أثبتوه بخلاف الأجسام، هذه نهايات إقدام الورى في ذا المقام الضيق فمن يأتي بفتح ينجي الورى من الحيرة» انتهى كلامه في هذا الفصل.

الرد على كلام الناظم في الزمان

(١) بل الزمان متجدد معلوم يقدر به متجدد مبهم إزالة لإبهامه عند المتكلمين، وجوهر مجرد عند بعض الفلاسفة، وعرض غير قار الذات عند جمهورهم أو هو الفلك الأعظم أو حركته أو مقدار تلك الحركة عند طوائف منهم، وقول الناظم لا يطابق واحداً منها والكلام في الزمان والمكان طويل الذيل مبسوط في موضعه، فكان الناظم يريد أن يقول: إن الزمان كان موجوداً قبل هذه السموات بدليل تلك الأحاديث فلا مانع من وجود حوادث لا أول لها متعاقبة في الماضي في آنات متعاقبة لا أول لها، وهو قول الدهرية نفاة الصانع. فيا ترى ماذا يريد من كون العرش قبل القلم فإن كان أراد أن يجعل لله عرشًا يستقر عليه أزلاً إما بقدم العرش قدما نوعيًا، كما روى الدواني عن ابن تيمية أو قدمًا شخصيًا لورود (أول ما خلق الله القلم) فحاشاه أن يستقر على عرش استقرار تمكن حادثًا كان العرش أو غير حادث. تعالى الله عن هذا وذاك. ولأهل العلم كلام واف في الأحاديث الواردة في أول ما خلق الله تعالى ولا غرض لنا يتعلق بذلك هنا والعرش هو المخلوق الثالث عند محققي أهل العلم بالحديث.

(٢) القول بدوام فعله تعالى في جانب الماضي قول بحوادث لا أول لها، وقد سبق تسخيف ذلك مرات، قال القاضي أبو يعلى الحنبلي: «لا يجوز وجود موجدات لا نهاية لعددها سواء كانت قديمة أو محدثة خلافًا للملحدة والدلالة عليه أن كل جملة لو ضممنا إليها خمسة أجزاء مثلا لعلم ضرورة أنها زادت، وكذلك عند النقص، وإذا كان كذلك وجب أن تكون متناهية بجواز قبول الزيادة والنقصان عليها، لأن كل ما يأتي فيه الزيادة والنقصان وجب أن يكون متناهيًا من جهة العدد اهـ» راجع المعتمد المحفوظ تحت رقم ٤٥ من التوحيد في ظاهرية دمشق وهذا بالنظر إلى الماضي كما سبق فتبا لمن يكون أسوأ حالا في هذه المباحث من أبي يعلى المذكورحاله في دفع شبه التشبيه لابن الجوزي.

وقد صرح بقبائح منها إمكان التسلسل ومنها نسبة أكابر علماء الأشعرية إلى التلبيس ومنها نسبة ذلك القرآن والسنة وأنه لم يجيء أثر ينص على العدم المتقدم وقد جاء (كان[١] الله ولا شيء معه) والشيء يشمل الجسم والفعل والنوع والآحاد.

فصل

قال: «هذا[٢] الدليل هو الذى أرداهم ما زال أمر الناس معتدلا إلى أن دار فى الأوراق فرفعت لوازمه قواعد الإيمان وتركوا حق الأدلة وهى فى القرآن ودليلهم لم يأت به الله ولا رسولهﷺ بل حدث على لسان جهم وحزبه».

ينبغى أن يقال لهذا الردى انتصب للدليل حتى يرى ما عنده.

فصل

قال: فى الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش إله يُعْبَدُ ولا فوق السموات إله يُصَلَّى له ويُسْجَد».

هذا المدبر يأخذ الكلام يقلبه كما يقلب الحقائق، فإنه جعل مصب كلام خصومه إلى نفى الإله وهم أثبتوا الإله ونفوا كونه فوق العرش وقوله (المعطلة) يوهم به أنهم معطلة العالم من الصانع وهو يريد به معطلة الخالق من قيام الفعل الحادث به فما أكثر تلبيسه[٣] وتدليسه ومراده بالجهمية (المعتزلة والأشعرية) وليس أحد من المعتزلة اليوم عندنا ظاهراً فلا كلام له إلا مع الأشعرية الذين أكثر الخلق يقتدون بهم، يريد تنقيصهم والطعن فيهم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

---

(١) أخرجه ابن حبان والحاكم وابن أبى شيبة عن بريدة وفى رواية ولا شيء غيره.

(٢) وهو القول بأن الجسم لا يخلو من حادث فى الاحتجاج على حدوث العالم وانتهائه إلى محدث واجب الوجود منزه عن الجسمية والجسمانيات، وهو حجة الله التى آتاها إبراهيم مهما تقولت المجسمة وهذت فى ذلك، وقد اعترف بتلك الحجة مثل ابن حزم مع كونه ظاهريّا فما للناظم لا يتابعه فى ذلك وهو يتابعه فى شواذه الباطلة؟ فلعله اتخذه قدوة فى الباطل دون الحق.

(٣) وكيف يرضى العاقل أن يعد من العلماء - وهم أمناء الله فى أرضه - رجلا كثير الغش لأمة محمد ﷺ كثرة يتعجب منها أئمة الإسلام وليس هذا الغش فى أمر من أمور الدنيا ولو كان هذا لهان الأمر ولكنه غش فى صميم الإسلام فليعرف ذلك المغرورون بابن القيم ثم ليعرفوه.

قال: «والله كان وليس شىء[١] غيره وخلق البرية، فسل المعطل هل هى خارج ذاته أو فيها أو هو عينها لا رابع، ولذلك قال محقق القوم الذى رفع القواعد هو عين الكون فهو الوجود بعينه إن لم يكن فوق الخلائق إذ ليس يعقل بعد إلا أنه فيها كمقالة النصرانى فاحكم على من قال ليس بخارج ولا داخل بأنه أوقع عليه[٢] حد المعدوم، فإن زعم أن ذاك فى الجسم، والرب ليس كذلك فيقال هذا دعوى واصطلاح اليونان».

إن أراد بالدعوى نفى الجسمية عن الرب وبالاصطلاح ذلك فقد أظهر ما فى نفسه، وإن أراد أن النفى إنما يصدق فى الأجسام والظاهر أنه مراده فلا يقال فيه اصطلاح.

قال: «والشىء يصدق نفيه عن قابل وسواه ولذا ينفى عنه الظلم المحال والنوم والسِّنة والطعم والولادة والزوجة، والله وصف الجماد بأنه ميت أصم، ونفى عنه الشعور والنطق والخلق وهو لا يقبل، ولو سلم أن هذا شرط كان فى الضدين لا فى النقيضين ونفيكم لقبولهما يزيل الإمكان وهو كنفى قيامه بالنفس أو بالغير فإذا المعطل قال إن قيامه بالنفس أو بالغير باطل إذ ليس يقبلهما إلا جسم أو عرض

---

(١) وهذا يتناقض القول بحوادث لا أول لها ودوام الفعل فى جانب الماضى، والناظم كم ينقض غزله وله هوى فى إكفار الأمة بكل وسيلة، ولا أدرى ماذا يكسب هذا المتهوس إذا لم يبق من الأمة مسلم سوى مكسرى الحشوية. وبين الصوفية أتقياء أبرار يراعون أدق أوامر الشرع فى جميع شئونهم ويرون فى الوجود ما لا يتنافى مع التكاليف الشرعية كما أن بين المتصوفة زنادقة إباحية، وإجراء الكلام فى حق الفريقين بمجرى واحد ليس من الإنصاف فى شىء وكفى أن ينسب إليهم بعض بدع بدون تسرع فى إكفارهم، وقال العلامة يوسف البحرى من أجلة أصحاب السيد مرتضى الزبيدى فيما علقه على (المجموع فى المشهود والمسموع): إن الواجب له عز الوجوب والعظمة والكبرياء فهو منزه عن اللواحق المادية والتعطيلات الإلحادية وإن الممكن له ذل الإمكان وحقارة الاحتياج إليه محقور مقهور محتاج إليه تعالى فى وجوده وبقائه وجميع أطواره فلا ينقلب الواجب ممكنا ولا الممكن واجبًا، بل الواجب خالق قادر غنى والممكن مخلوق عاجز محتاج، فلا يكون أحدهما عين الآخر، وهذا بدهى وبه نزلت الكتب السماوية وجاء به الأنبياء والمرسلون ودعوا الناس إلى اعتقاده وقامت عليه البراهين واتحدت كشوف الأولياء مع طريق النظر فى هذا المطلب اهـ ثم شرح كيف يضمحل الوجود الإمكانى فى نظر المقبل إلى الله بكليته.

(٢) من يعلم هذا البجباج النفاج أنواع التقابل والفرق بين الضدين والنقيضين؟ ومن يفهمه أن الخروج والدخول ضدان لا نقيضان قد يرتفعان عما ليس بجسم بخلاف النقيضين؟.

فكلاكما ينفى الإله حقيقة مـاذا يرد عليه من هو مثله فى النفى صرفًا والفرق ليس بممكن لك والخصم يزعم أن ما هو قـابل لهما كقابل لمكان فـافرق أو اعط القوس باريها وخل الفشرة وكثرة الهذيان».

فهذا فشار كبيـر ممن لا يعرف الضدين ولا النقيضين ولا الإمكان ولا الامتناع، يا سبـحان الله الدخول والخروج نقـيضان أو نفى الوصف بهـما يزيل الإمكان أو ينفى الإله؟ هذا خلط.

فصل

قال:

فى سيـاق هذا الدليل على وجه آخر إن نفى المعطل كـون الإله خارج الأذهان بالغ فى الكفر وإن أقـر، فإن قال إنه عين الأكـوان قال بالاتحاد وجـحد ربه، وإن قال غيرها، فإن قال الخلق فى ذاته أو ذاته فيـهم فهو قول النصارى، وإن قال قائم بنفسه فهو وغيره مثلان أو ضدان أو غيران وعلى التقادير[١] الثلاثة لولا التباين لم يكن شيئان فلذا قلنا إنكم باب من الاتحاد».

أسمع جـعجعة ولا أرى طحنا آخـره مطالبة بأن ما ليس فى حيـز كيف يكون موجودًا.

---

(١) يلوك لسانه مصطلحات أهل المعـقول من غير أن يفهم مرادهم ليظهر عند الحمـقى بأنه جامع بين المعقول والمنقول، فالغيران إذا اشتركا فى تمام الماهية فهـما مثلان، وإلا فإن كانا وجوديين أمكن تعقل أحدهما مع الذهول عن الآخر فهما ضدان، والتباين عندهم باعتبار الصدق أو التحقق لا بمعنى البينونة المفيدة إشغال هذا حيزا غير حيز ذاك، والحاصل أنه جعل القسم قسيما وحمل التباين على التباعد بالمسافة وإشغال كلّ حيزًا غـير حيز الآخر، وحاول أن يسـتنتج من الدعوى المجردة ما يدعـيه، ولو كان المسكين درس الطوالع مثلاً قبل أن يخوض فى هذه المبـاحث عند عالم كالأصـبهانى لما فضح نفـسه بهذيان المحـمومين، وحق للمصنف أن يقول فى ثرثرة الناظم أسمع جعجعة ولا أرى طحنًا. لأن معنى كلام الناظم: إن نفى المعطل الإله فى خارج الأذهان فهـو كافر، وأن أقر بوجـوده بأن قال إنه عين الكون فهو اتحـادى ملحد، وإن قال إنهمـا مثلان أو ضـدان أو غيران بدون اختـلاف فى الجهات فـهو قائل بالاتحـاد أيضًا. فيـا ترى هل لهذا التخريف من معنى عند أهل البصيرة؟

«فصل»

نصوص عن ابن تيمية فى الفوقية الحسية

قال: «ولقد أتانا عشرة أنواع مـن المنقول فى فوقية[١]. الرحمن مع مثلها أيضًا يزيد بواحد، ها نحن نسردها بلا كتمان».

أخذ هذا الخلف السوء يذكر ما قاله شيخه فى كتاب العرش وكأنه المقصود بهذا النظم فإنه أطال فيه.

قال: «هذا ومن عـشرين وجهـا يبطل التفـسير بـ (اسـتولى) لذى العرفـان قد أفردت بمصنف لإمام هذا الشأن بحر العالم[٢] الحرانى».

---

(١) شيخ الناظم يريد بالفوقية الفوقية الحسيـة كما صرح به فيما رد به على الرازى حيث قال: «إن العرش فى اللغة السـرير وذلك بالنسبة إلى مـا فوقه كالسـقف بالنسبة إلى مـا تحته، فـإذا كان القرآن جعل لله عـرشًا وليس هو بالنسبـة إليه كالسقـف علم أنه بالنسبة إليه كـالسرير بالنسبـة إلى غيره وذلك يقتـضى أنه فوق العرش ا هـ». ومثل هذه الفوقية لا يقول به إلا مجسم، ونقل البيهقى فى مناقب أحمد عن رئيس الحنابلة وابن رئيسهـا أبى الفضل التميمى أنه قال: «أنكر أحـمد على من قال بالجسم وقال: إن الأسـماء مأخوذة من الشـريعة واللغـة وأهل اللغة وضـعـوا هذا الاسم على ذى طول وعرض وسـمك وتركيب وصـورة وتأليف والله تعالى خارج عن ذلك كله فلم يجز أن يسمى جسمـا لخروجه عن معنى الجسمية ولم يجىء فى الشريعة ذلك فبطل» انتهى.
فالناظم وشـيخه متقولان علـى الشرع وعلى اللغة وعلى إمـامهمـا فضلاً عن بـاقى الأئمة، عاملهـما الله بعدله.

(٢) بل هو وارث علوم صابئة حران حقًا، والمستلف من السلف ما يكسوها كسوة الخيانة والتلبيس. وعن هذا الحرانى - الذى اتخذه الناظم إمامًا - يقول ابن حجر فى الدرر الكامنة فى ترجمته: «واستشعر أنه مجتهد فصار يرد علـى صغير العلماء وكـبيرهم، قديمهم وحـديثهم، حتى انتهى إلى عـمر بن الخطاب رضى الله عنه] فخطأه فى شىء فبلغ الشيخ إبراهيم الرقى الحنبلى فأنكر عليه فذهب إليه واعتذر واستغفر وقال فى حق علىّ [كرم الله وجهه] أخطأ فى سبعة عشر شيئًا ثم خالف فيها نص الكتاب، منها اعتداد المتوفى عنها زوجها أطول الأجلين، وكـان لتعصبه لمذهب الحنابلة يـقع فى الأشاعرة حتى إنه سب الغزالى فـقام عليه قوم كادوا يقتلونه. وذكروا أنه ذكر حـديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال: كنزولي هذا، فنسب إلى التجسيم. وافترق الناس فيه شيعا، منهم من نسبه إلى التجسيم لما ذكر فى العقيدة الحموية [التى رد عليها ابن جهبل] والواسطية وغيرهما من ذلك، كقوله: إن اليد والقـدم والساق والوجه صفات حقيقية لله وأنه مستوٍ على العـرش بذاته فقيل له يلزم من ذلك التحيـز والانقسام فقال: أنا لا أسلم أن التحـيز والانقسام من خَواص الأجسـام فألزم بأنه يقول بالتحيز فى ذات الله تعالى، ومنهم من ينسبـه إلى الزندقة لقوله: إن النبى ﷺ لا يُسـتـغـاث به. لأن فى ذلك تنقـيـصًـا ومنعـا من تعـظيم رسـول الله ﷺ، وكـان أشـد=

....

= الناس عليه فى ذلك النور البكرى، فإنه لما عقد له المجلس بسبب ذلك، قال بعض الحاضرين يعزر فقال البكرى لا معنى لهذا القول فإنه إن كان تنقيصًا يقتل وإن لم يكن تنقيصًا لا يعزر، ومنهم من ينسبه إلى النفاق لقوله فى على [كرم الله وجهه] ما تقدم، ولقوله إنه كان مخذولاً حيثما توجه وإنه حاول الخلافة مرارا فلم ينلها وإنما قاتل دون الرياسة لا للديانة، وأن عثمان [رضى الله عنه] كان يحب المال. ولقوله أبو بكر [رضى الله عنه] أسلم شيخًا لا يدرى ما يقول وعلى [كرم الله وجهه] أسلم صبيًا والصبى لا يصح إسلامه على قول. ونسب قوم إلى أنه كان يسعى فى الإمامة الكبرى فإنه كان يلهج بذكر تومرت ويطريه فكان ذلك مؤكدًا لطول سجنه وله وقائع شهيرة، وكان إذا حوقق وألزم يقول لم أرد هذا إنما أردت كذا فيذكر احتمالا بعيدًا ا هـ».

والدرر الكامنة من محفوظات دار الكتب المصرية وقد طبعت حديثًا بمعرفة دائرة المعارف بحيدر آباد الدكن وليس بين هؤلاء من ذكره بالإمامة والقدوة فى الدين ومن اتخذه إمامًا إنما اتخذه إمامًا فى الزيغ والشذوذ من غير أن يتهيب ذلك اليوم الذى يدعى فيه كل أناس بإمامهم، فليعتبر بذلك من ظن أن ابن حجر العسقلانى فى صف المثنين على إمامته على الإطلاق. وهذا كلام ابن حجر فى هذا الزائغ مع أنه لم يطلع على جميع مخازيه. ومن أثنى عليه من أهل السنة فى مبدأ أمره قبل انكشاف الستر عن بدعه الطامة إنما أثنى عليه تشجيعًا له على العلم لما كانوا يرون فيه فى مبدأ نشأته من القابلية للعلم كما كانوا يفعلون مثل ذلك مع كل ناشىء لكن لما تشعبت هموم ابن تيمية وتوزعت مواهبه فى مختلف الأهواء وضاع صوابه بين أمواج البدع التى ارتضاها لنفسه تراجع كل من أثنى عليه من هؤلاء على توالى فتنه بين الأمة وتعاقب أهوائه المخزية وانقلبوا ضده، ولولا مغامراته فى شتى العلوم التى يكفى واحد منها ليختص فيه أذكى العلماء لربما برع فى علم يتفرغ له بعزيمة صادقة لكن جنى على نفسه بتشتيت مساعيه وراء أهواء بشعة فأصبح فى موضع هزء البارعين كلما اختبروه فى علم من العلوم التى يدعى الإمامة فيها ومن أمثلة ذلك أن صفى الدين الأرموى المشهور كان طويل النفس فى التقرير إذا شرع فى وجه يقرره لا يدع شبهة ولا اعتراضا إلا وقد أشار إليه فى التقرير بحيث لا يتم التقرير إلا ويعز على المعترض مقاومته، وكان حضر حينما جمعت العلماء لأجل النظر فى المسألة الحموية، ولما عقد المجلس لأجل امتحان ابن تيمية عما أورده فى الحموية أخذ الصفى الأرموى يقرر المسألة على طريقته البارعة ليقطع الطرق على ابن تيمية من جميع الوجوه فبدأ ابن تيمية يعجل عليه على عادته ويخرج من شىء إلى شىء على أمل أن ينفق عليه تشغيبه لكن سقط فى يده حيث قال له الصفى الأرموى:

ما أراك يا بن تيمية إلا كالعصفور حيث أردت أن أقبضه من مكان يفر إلى مكان آخر ا هـ. وما ابن تيمية فى نظر مثل الأرموى إلا كعصفورة فى العلم وإن اتخذه الجهلة الأغرار إمامًا بأن نبذوا الأئمة المتبوعين وراء ظهورهم حيث راجت عليهم ثرثرته الفارغة، ولا غرو فإن لكل ساقطة لاقطة والطير على أشكالها تقع.

والمسألة الحموية هذه تتضمن القول بالجهة وحبس ابن تيمية بعد هذا المجلس بسبب هذه المسألة ونودى عليه فى البلد وعلى أصحابه وعزلوا من وظائفهم، وهذه المسألة هى التى رد عليها العلامة ابن جهبل ردًا مشبعًا، وقد علمت بذلك قيمة علم ابن تيمية عند البارعين من أهل العلم. وههنا لابد من التنبيه على شىء وهو أنى كنت كتبت فيما علقت على دفع الشبه لابن الجوزى فى (ص٤٧): (بل يروى عنه نفسه

قول أبي حيان في ابن تيمية

المصنف المذكور هو كتاب العرش لابن تيمية[١] وهو من أقبح كتبه، ولما وقف

= أعني ابن تيمية) أنه نزل درجة وهو يخطب على المنبر في دمشق وقال: «ينزل الله كنزولي هذا» على ما أثبته ابن بطوطة من مشاهداته في رحلته. وقال الحافظ ابن حجر في (الدرر الكامنة): ذكروا أنه ذكر حديث النزول فنزل عن المنبر درجتين فقال: «كنزولي هذا» فنسب إلى التجسيم ا هـ. وهنا انتهى ما علقته على الموضع المذكور.

وأما ما زاد على ذلك وهو: «ويقول بعض علماء دمشق بأنه رأى هذه الخطبة في مخطوط قديم بزيادة (لا) قبل (كنزولي) والله أعلم. فزيادة من الأستاذ الناشر اعتماداً على ما سمعه من الشيخ بدران الدوماني كأنه لم يكن يعرف مبلغ اجترائه على المجازفات وإرسال الكلام بدون ميزان ولم تكن الجماعة تعتقد أن نزول الله كنزول ابن تيمية حتى يكون لهذا الكلام معنى ما ولأجل ما زيد في كلامي هنا نكت الشيخ خضر الشنقيطي رحمه الله علي في (استحالة المعية) وأنا بريء من تلك الزيادة، سامحه الله.

صيغة استتابة ابن تيمية في الاستواء والصوت
وخطوط كبار العلماء

(١) وقد استتيب مرات في أمور خطرة وهو ينقض مواثيقه وعهوده في كل مرة وأوردت هنا صورة من صيغ استتابته كما هي مسجلة في (نجم المهتدي) لتكون عبرة للمعتبر وهي هذه:

«الحمد لله. الذي أعتقده أن القرآن معنى قائم بذات الله وهو صفة من صفات ذاته القديمة الأزلية وهو غير مخلوق وليس بحرف ولا صوت وليس هو حالاً في مخلوق أصلاً، لا ورق ولا حبر ولا غير ذلك، والذي أعتقده في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] أنه على ما قال الجماعة الحاضرون وليس على حقيقته وظاهره، ولا أعلم كنه المراد به، بل لا يعلم ذلك إلا الله، والقول في النزول كالقول في الاستواء أقول فيه ما أقول فيه، لا أعرف كنه المراد به بل لا يعلم ذلك إلا الله وليس على حقيقته وظاهره كما قال الجماعة الحاضرون، وكل ما يخالف هذا الاعتقاد فهو باطل، وكل ما في خطي أو لفظي مما يخالف ذلك فهو باطل، وكل ما في ذلك مما فيه إضلال الخلق أو نسبة ما لا يليق بالله إليه فأنا بريء منه، فقد برئت منه وتائب إلى الله من كل ما يخالفه. كتبه أحمد بن تيمية، وذلك يوم الخميس سادس شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعمائة.

وكل ما كتبته وقلته في هذه الورقة فأنا مختار في ذلك غير مكره. كتبه أحمد بن تيمية حسبنا الله ونعم الوكيل».

وبأعلى ذلك بخط قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ما صورته: اعترف عندي بكل ما كتبه بخطه في التاريخ المذكور، كتبه محمد بن إبراهيم الشافعي. وبحاشية الخط: اعترف بكل ما كتب بخطه، كتبه عبد الغني بن محمد الحنبلي، وبآخر خط ابن تيمية رسوم شهادات هذه صورتها: كتب المذكور بخطه أعلاه بحضوري واعترف بمضمونه، كتبه أحمد بن الرفعة.

صورة خط آخر: أقر بذلك، كتبه عبد العزيز النمراوي.

صورة خط آخر: أقر بذلك كله بتاريخه، علي بن محمد بن خطاب الباجي الشافعي.

صورة خط آخر: جرى ذلك بحضوري في تاريخه، كتبه الحسن بن أحمد بن محمد الحسيني. =

عليه الشيخ أبو حيان[١] ما زال يلعنه حتى مات بعد أن كان يعظمه. قال: «منها استوى[٢] فى سبع آيات بغير لام ولو كانت بمعنى استولى لجاءت فى موضع باللام».

= وبالحاشية أيضًا ما مثاله: كتب المذكور أعلاه بخطه واعترف به، كتبه عبد الله بن جماعة.
مثال خط آخر: أقر بذلك وكتبه بحضورى، محمد بن عثمان البوريجى.
وكل هؤلاء من كبار أهل العلم فى ذلك العصر، وابن الرفعة وحده له (المطلب العالى فى شرح وسيط الغزالى) فى أربعين مجلداً وفى ذلك عبر. ولولا أن ابن تيمية كان يدعو العامة إلى اعتقاد ضد ما فى صيغة الاستتابة هذه بكل ما أوتى من حول وحيلة لما استتابه أهل العلم بتلك الصيغة وما اقترحوا عليه أن يكتب بخطه ما يؤاخذ به إن لم يقف عند شرطه، وبعد أن كتب تلك الصيغة بخطه توج خطه قاضى القضاة البدر ابن جماعة بالعلامة الشريفة وشهد على ذلك جماعة من العلماء كما ذكرنا، وحفظت تلك الوثيقة بالخزانة الملكية الناصرية، لكن لم تمض مدة على ذلك حتى نقض ابن تيمية عهوده ومواثيقه، كما هى عادة أئمة الضلال، وعاد إلى دعوته الضالة ورجع إلى عادته القديمة فى الإضلال وكم له من فتن فى مختلف التواريخ * فى سنى ٦٩٨ و٧٠٥ و٧١٨ و٧٢١ و٧٢٢ و٧٢٦ وهى مدونة فى كتب التواريخ وفى كتب خاصة، ومجرد تصور شواذه التى ألممنا ببعضها فى هذا الكتاب يدل المسترشد المنصف على ما ينطوى عليه من الزيغ وإضلال الأمة، والله سبحانه ينتقم منه.
والغريب أن أتباع هذا الرجل يسيرون وراءه ويتشبهون به فى إثارة القلاقل والفتن بين الأمة بمواجهتها بالحكم على أفرادها بالشرك والزيغ والكفر وعبادة الأوثان والطواغيت، يعنون أحباب الله الأنبياء والأولياء يقولون إن من يزورهم يكون عابد الأوثان والطواغيت ومن هذا الطراز فى زمننا كثير نراهم بأعيننا ونسمعهم بآذاننا، طهر الله الأرض منهم وأراح العباد من شرهم.

(١) قال أبو حيان الأندلسى الحافظ فى تفسير قوله تعالى ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقد قرأت فى كتاب لأحمد بن تيمية هذا الذى عاصرناه وهو بخطه سماه كتاب العرش «إن الله يجلس على الكرسى وقد أخلى مكانًا يقعد معه فيه رسول الله ﷺ، تحيل عليه محمد بن عبد الحق وكان من تحيله أنه أظهر أنه داعية له حتى أخذ منه الكتاب وقرأنا ذلك فيه» كما ترى فى النسخ المخطوطة من تفسير أبى حيان وليست هذه الجملة بموجودة فى تفسير البحر المطبوع، وقد أخبرنى مصحح طبعه بمطبعة السعادة أنه استفظعها جدًا وأكبر أن ينسب مثلها إلى مسلم فحذفها عند الطبع لئلا يستغلها أعداء الدين، ورجانى أن أسجل ذلك هنا استدراكًا لما كان منه ونصيحة للمسلمين.
وقد علمت العواتق فى خدورهن حكاية هجر أبى حيان لابن تيمية لهذا السبب بعد أن كان تسرع فى إطرائه، وإطراؤه مدون فى الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقى وأما تقول بعض المداهنين بأنه إنما كان هجره لوقوعه فى سيبويه حيث قال: أكان سيبويه نبى النحو وقد غلط فى كيت وكيت، فرجم بالغيب أمام تصريح أبى حيان صاحب القصة، نعم هذا تهور وقلة أدب من ابن تيمية وما هى قيمة نحوه فى جانب استبحار سيبويه وأبى حيان فى النحو، وإن كان لكل إمام غلطات معدودة فى علمه لكن وقوعه فى سيبويه فى جنب الوقوع فى الله سبحانه ليس بشىء مذكور فحمل هجره الدائم على خلاف ما ذكره الهاجر ليس شأن من يخاف الله، ويتوخى مراضيه. بل ذلك شأن المخدوعين المفتونين.

(٢) ويقال لهذا المتعلم بل لو كان (استوى) بمعنى (جلس) لأتى لفظ (جلس) فى أحد المواضع السبعة.
ومما يقصر المسافة فى الرد على الحشوية التى تدعى التمسك بالظاهر أن قوله تعالى ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ﴾=

وهذا الذى قاله ليس بلازم فالمجاز قد يطرد وحسنه أن لفظ استوى أعذب وأخصر وليس هذا من الاطراد الذى يجعله بعض الأصوليين من علامة الحقيقة، فإن ذلك هو الاطراد فى جميع موارد الاستعمال والذى حصل هنا اطراد استعمالها فى آيات فأين أحدهما من الآخر، ثم إن استوى وزنه افتعل فالسين فيه أصلية واستولى وزنه استفعل فالسين فيه زائدة ومعناه من الولاية فهما مادتان متغايرتان فى اللفظ والمعنى، والاستيلاء قد يكون بحق وقد يكون بباطل والاستواء لا يكون إلا بحق والاستواء صفة للمستوى فى نفسه بالكمال والاعتدال، والاستيلاء صفة متعدية إلى غيره فلا يصح أن يقال استولى حتى يقول على كذا، ويصح أن يقول استوى ويتم الكلام، فلو قال استولى لم يحصل المقصود، ومراد المتكلم الذى يفسر الاستواء بالاستيلاء التنبيه على صرف اللفظ عن الظاهر الموهم للتشبيه واللفظ قد يستعمل مجازًا فى معنى لفظ آخر ويلاحظ معه معنى آخر فى لفظ المجاز لو عبر عنه باللفظ الحقيقى لاختل المعنى وقد يريد المتكلم أن الاستواء من صفات الأفعال كالاستيلاء المتمحض للفعل من كل وجه ويكون السبب فى لفظة الاستواء عذوبتها واختصارها فقط دون ما ذكرناه ولكن ما ذكرناه أحسن وأمكن مع مراعاة معنى الاستيلاء، وانظر قول الشاعر:

قد استوى قيس على العراق ... من غير سيف ودم مهراق

ولو أتى بالاستيلاء لم يكن له هذه الطلاوة والحسن، والمراد بالاستواء كمال الملك هو مراد القائلين بالاستيلاء، ولفظ الاستيلاء قاصر عن تأدية هذا المعنى، فالاستواء فى اللغة له معنيان أحدهما استيلاء بحق وكمال فيفيد ثلاثة معان ولفظ الاستيلاء لايفيد إلا معنى واحدًا، فإذا قال المتكلم فى تفسير الاستواء الاستيلاء مراده المعانى الثلاثة وهو أمر يمكن فى حق الله سبحانه وتعالى فالمقدم على هذا

= [الأعراف: ٥٤] صيغة فعل مقرونة بما يدل على التراخى وذلك يدل على أن الاستواء فعل له تعالى متقيد بالزمن وبالتراخى شأن سائر الأفعال وعد ذلك صفة إخراج للكلام عن ظاهره وهذا ظاهر جدًا ولم يرد (المستوى) فى عداد أسماء الله الحسنى لا فى الكتاب ولا فى السنة حتى يصح إطلاقه على الذات العلية على أن يكون صفة أو علمًا. وقد أجمعت الأمة على أن الله تعالى لا تحدث له صفة فلا مجال لعد ذلك صفة وقد ذكرت وجه حسن الاستعارة التمثيلية فى الآية (فى لفت اللحظ إلى ما فى الاختلاف فى اللفظ) ولعل القارىء المنصف يكاد يعد ذلك متعينًا ولا حاجة إلى إعادة من هناك، فليراجع ثمت.

التأويل لم يرتكب محذوراً ولا وصف الله تعالى بما لا يجوز عليه والمفوض المنزه لا يقدم على التفسير بذلك لاحتمال أن يكون المراد خلافه وقصور أفهامنا عن وصف الحق سبحانه وتعالى مع تنزيهه عن صفات الأجسام قطعًا، والمعنى الثانى للاستيلاء فى اللغة الجلوس والقعود، ومعناه مفهوم من صفات الأجسام لا يعقل منه فى اللغة غير ذلك والله تعالى منزه عنها، ومن أطلق القعود وقال إنه لم يرد صفات الأجسام قال شيئًا لم تشهد به اللغة فيكون باطلاً وهو كالمقر بالتجسيم(١) المنكر له فيؤاخذ بإقراره ولا يفيد إنكاره واعلم أن الله تعالى كامل الملك أزلاً وأبدًا، ولكن العرش وما تحته حادث، فإن قوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ لحدوث العرش لا لحدوث الاستواء.

فصل

قال: «وثانيها لفظ العلى والأعلى(٢) والعلو بمطلقه عام ونفيه نقص وعلوه فوق الخليقة كلها فطرت عليه الخلق» فيقال أسماء الله قديمة فإن لزم من العلى والأعلى كونه فوق جسم لزم قدم العالم والذى فطرت عليه والبديهة التعظيم إلى أعلى غاية.

---

(١) والإقرار بتجويز الجسمية بكل صراحة موجود فى كلام شيخه فيما رد به على الفخر الرازى كما سبق، بل لصاحب الفرج بعد الشدة الشيخ محمد المنبجى الحنبلى من أخص تلاميذ الناظم رسالة فى الرد على من ينفى المماسة بكل وقاحة، وما تخفى صدور هؤلاء أكبر فالمؤمن الرشيد يجب عليه أن يتوقى من الوقوع فى هاويتهم والمسألة مسألة كفر وإيمان وسننقل نصوصًا من الكتابين المذكورين فى مواضع تحذيراً للمغترين.

(٢) العلو مشتقاته من صفات التنزيه تعالى الله عما يصف به المجسمة، والحمل على علو المكان نزعة وثنية، قال ابن تيمية فى التأسيس: «والبارى سبحانه وتعالى فوق العالم فوقية حقيقية ليست فوقية الرتبة كما أن التقدم على الشىء قد يقال إنه بمجرد الرتبة كما يكون بالمكان مثل تقدم العالم على الجاهل وتقدم الإمام على المأموم فتقدم الله على العالم ليس بمجرد ذلك بل هو قبلية حقيقية وكذلك العلو على العالم قد يقال إنه يكون بمجرد الرتبة كما يقال العالم فوق الجاهل وعلو الله على العالم ليس بمجرد ذلك بل هو عال عليه علواً حقيقيًا وهو العلو المعروف والتقدم المعروف اهـ». فهل يشك عاقل أن ابن تيمية يريد بذلك الفوقية الحسية والعلو الحسى، تعالى الله عما يأفكون، واستعمال العلو ومشتقاته فى اللغة العربية بمعنى علو الشأن فى غاية من الشهرة رغم تقول المجسمة.

فصل

كلمة ابن تيمية فى العلو والفوقية والرد عليه

قال: «وثالثها صريح الفوق(١) مصحوبًا بمن وبدونها أحدهما قابل للتأويل والأصل الحقيقة والمجرور لا يقبل التأويل وأصخ لفائدة جليل قدرها إن الكلام إذا أتى بسياقه يبدى المراد أضحى كنص قاطع».

فيقال المجرور أولى بالتأويل لأن قوله تعالى ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] يحتمل أن المراد خوفًا من فوقهم وليس فى سياق الكلام ما يبدى المراد الذى ادعاه فأين الفائدة؟. والفوقية بمعنى القهر وعلو القدر متفق عليها والجهة هى عين النزاع ويلزم منها قدم الجهة.

فصل

قال: «ورابعها عروج الروح والملائكة فى سورتى السجدة والمعارج قالوا هما بزمان وعندى يوم واحد عروجهم فيه إلى الديان فالألف مسافة نزولهم وصعودهم إلى السماء الدنيا والخمسون ألف من العرش إلى الحضيض الأسفل».

فيقال له فى الآيتين ﴿إليه﴾ فعلى قوله يكون الله فى مكانين أحدهما فى السطح التحتانى من السماء الدنيا لأنه نهاية الألف والثانى فى العرش ثم إن المسافة إذا فصلت على أن بين السماء والأرض خمسمائة عام وكذا ثخانة كل سماء وما بين كل سماء وسماء لا يبلغ هذا المقدار وهذا لا يتعلق بغرضنا، والمتعلق بغرضنا

---

(١) ينص شيخه فى كتابه المذكور على أن المراد بالفوقية الفوقية الحسية فكأنه لم يتل فى كتاب الله ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] و﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦] والمراد بالفوقية فوقية العزة والقهر والتنزه. (والله فوق ذلك) فى حديث الترمذى بمعنى أنه يعلو عن مدارك البشر بدليل ما فى سنن الترمذى أيضًا من حديث (لو دليتم) قال ابن جهبل: الفوقية ترد لمعنيين: أحدهما نسبة جسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل بمعنى أن أسفل الأعلى من جانب رأس الأسفل، وهذا لا يقول به من لا يجسم، وثانيهما بمعنى المرتبة كما يقال الخليفة فوق السلطان والسلطان فوق الأمير، وكما يقال: جلس فلان فوق فلان والعلم فوق العمل والصياغة فوق الدباغة قال تعالى ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الزخرف: ٣٢] ولم يطلع أحدهم فوق أكتاف الآخر وقال تعالى عن القبط ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧] وما ركبت القبط أكتاف بنى إسرائيل ولا ظهورهم ا هـ. فظهر بذلك بطلان التمسك بكلمة فوق فى الآيات والأحاديث فى إثبات الجهة له تعالى الله عن مزاعم المجسمة.

إلزامه بظاهر قوله ﴿إليه﴾ مع التزامه أن الغاية فى المكان وكون ما بين السماء والأرض خمسمائة عام روى بطرق ضعيفة وفى الترمذى من رواية العباس فى حديث الأوعال إما واحدة وإما اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة وهو يوافق قول أهل الهيئة وهذا يرجح أنهما يومان: أحدهما فى الدنيا إلى العرش ألف سنة والثانى يوم القيامة خمسون ألف سنة من الشدة وقد جاء أن فى الجنة مائة درجة بين كل درجتين مائة عام فى رواية وفى رواية كما بين السماء والأرض (وكلاهما فى الترمذى والفردوس أعلى الجنة وفوقه العرش فهذه المسافة أكثر من عشرة آلاف سنة[1]).

فصل

قال: «وخامسها صعود كلامنا[2] والصدقة والحفظة والسعى والمعراج[3] وعيسى وروح المؤمنين ودعاء المضطر ودعاء المظلوم».

وقال فى المعراج: «وقد دنا منه إلى أن قدرت قوسان».

وقد علم كل واحد اختلاف المفسرين فى قوله تعالى ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨] فكيف يستدل به وعيسى فى السماء الرابعة ليس على العرش، ورفع الصدقة والكلام وشبههما من المعانى ليس بالانتقال من مكان إلى مكان لأن المعانى لا تنتقل.

فصل

حديث النزول

قال: «وسادسها وسابعها النزول[4] والتنزيل». أ.

---

(١) ما بين القوسين فى هامش الأصل.

(٢) قال ابن جهبل: الصعود كيف يكون حقيقة فى الكلام؟ مع أن الصعود فى الحقيقة من صفات الأجسام فليس المراد إلا القبول ا هـ وهذا ظاهر جداً.

(٣) قال ابن جهبل: لم يرد فى حديث المعراج أن الله فوق السماء أو فوق العرش حقيقة ولا كلمة واحدة من ذلك وهو لم يسرد حديث المعراج ولا بين وجه الدلالة منه حتى نجيب عنه فلو بين وجه الدلالة لعرفنا كيف الجواب ا هـ.

(٤) قاتل الله الجهل، ما أفتكه، فمن الذى يجهل استمرار الثلث الأخير من الليل فى البلاد باختلاف المطالع=

وتنزيل القرآن لنزول جبريل به من جهة العلو.

فصل

قال: «وثامنها رفيع الدرجات وفعيل بمعنى المفعول».

ما بقى من تخلف هذا النحس إلا أن يجعل لله سلمًا يصعد وينزل فى درجاته، تعالى الله عما يقول. يحمل على اللفظ فوق ما يحتمله ويفهم منه غير مراده فسحقًا له.

فصل

«وتاسعها فوق السماء(١)».

فصل

قال: «وعاشرها الملائكة الذين هم عند الرحمن وكُتَّاب رحمته عنده فوق العرش وسائر الأشياء ليست كذلك».

من هم الملائكة الذين هم معه فى المكان وجبريل يتأخر عن المكان الذى وصل إليه النبى ﷺ؟.

فصل

الإشارة إلى رفع الأيدى إلى السماء

قال: «وحادى عشرها إشارة النبى ﷺ بأصبعه فى الموقف لله(٢)».

= حتى يحمل النزول إلى السماء الدنيا على النزول الحسى، وقد حمل حماد بن زيد النزول فى الحديث على معنى الإقبال ومن أهل العلم من حمل الحديث على أن الإسناد فيه مجازى من قبيل الإسناد إلى السبب الآمر ويؤيده حديث أبى هريرة فى سنن النسائى وفيه (ثم يأمر مناديًا يقول هل من داع فيستجاب له). وليس فى استطاعة من يخاف الله غير أن يفوض معنى النزول إلى الله مع التنزيه أو أن يحمل الحديث على المجاز فى الطرف أو فى الإسناد، بل الأخير هو المتعين لحديث النسائى المذكور فيخرج حديث النزول من عداد أحاديث الصفات بالمرة عند من فكر وتدبر تعالى الله عن النقلة التى يقول بها المجسمة.

(١) يريد حديث الرقية وفى لفظ الناظم تغيير للفظ الحديث وسيأتى بيان ذلك والرد عليه.

(٢) أين فى الحديث ذكر الإشارة إلى الله؟ وهكذا تكون أمانة مثل الناظم وشيخه فى النقل؟ وهل صدر منه ﷺ فى خطبة عرفات سوى أن رفع أصبعه ثم نكبها إليهم وهل فى ذلك دلالة على أن رفعه كان ليشير به إلى جهة الله سبحانه؟ تعالى الله عن ذلك. والخطيب يرفع يده وينكبها كيف يشاء فى أثناء خطبته.=

جوابه: إن القلب متوجه إلى الرب العالى قدرًا وقهرًا على كل شىء والإشارة إلى جهة العلو التى هى محل ملكه وسلطانه وملائكته والعليين عن خلقه، وقبلة دعائه ومنزل وحيه وهكذا رفع[١] الأيدى فى الدعاء.

فصل

قال: «وثانى عشرها وصفه تعالى بالظاهر وفسر فى الحديث (أنت الظاهر فليس فوقك شىء)».

يقال لهذا المدبر إن كان الظاهر يقتضى الفوقية الحسية فاسم الباطن يقتضى التحتية الحسية - تعالى الله.

فصل

دعوى الناظم فى الرؤية بدون مقابلة

قال: «وثالث عشرها إخباره أنا نراه فى الجنة وهل نراه إلا من فوقنا[٢] ودعوى سواها مكابرة ولذا قال محقق منكم للمعتزلة ما بيننا خلف فاحملوا معنا على المجسمة إذ قالوا يرى كما يرى القمران فيلزمهم العلو وليس فوق العرش رب هذا الذى والله مودع كتبهم».

= وجعل ذلك حجة فى شىء لا يصدر إلا ممن فى قلبه مرض على أن الأرض كرية فالواقف فى شرق الأرض تكون إخمصه فى مقابلة إخمص الواقف فى غرب الأرض، ومن ضرورة ذلك أن يكون سمتا رأسيهما إلى جهتين متعاكستين فتكون إشارة أحدهما إلى جهة تعاكس الجهة التى يشير إليها الآخر، وهكذا، وكرية الأرض منصوصة فى الكتاب والسنة كما فى فصل ابن حزم والمنكر لذلك ليس بمنكر لقول أهل الهيئة فقط، ولا للمحسوس فقط. ونسى الناظم الاستدلال فى هذا الصدد بالإشارة فى التشهد؟!

(١) ورفع الأيدى إلى السماء لأجل أن السماء منزل البركات والخيرات لأن الأنوار إنما تنزل منها والأمطار، وإذا ألف الإنسان حصول الخيرات من جانب مال طبعه إليه فهذا المعنى هو الذى أوجب رفع الأيدى إلى السماء وقال الله تعالى ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢] ذكره ابن جهبل فيما رد به على العقيدة الحموية لابن تيمية وهذا الرد يحق أن يكتب بماء الذهب، ومن حاول الرد عليه من الحشوية فقد وقع على أم رأسه وكتاب ابن جهبل حقه أن يفرد بالطبع من طبقات ابن السبكى - ونسخة مخطوطة من كتاب ابن جهبل هذا توجد بمكتبة (لا له لى) باسطنبول.

(٢) قال: «إذ رؤية لا فى مقابلة من الرائى محال ليس فى الإمكان». وهذا صريح فى أنه لا يرى رؤية لا يكون المرئى فيها فى مقابلة الرائى فلا يكون أصرح من هذا فى القول بالتجسيم ومن جملة ما يهذى به الناظم=

ينبغي أن يحضر هذا النحس ويلزم بأن يخرج من كتبهم أنه ليس فوق العرش رب ولن يجده في كتبهم أبداً وتوهمه أنه لا يرى إلا من فوق لقصور عقله. ونقله اتفاقنا مع المعتزلة لعدم فهمه بل بيننا وبينهم وفاق وخلاف فقوله: ما بيننا وبينكم خلف كذب علينا.

فصل

بسط الكلام في السؤال بـ «أين» في حديث الجارية

قال: «ورابع عشرها أين الله في كلام النبي ﷺ في حديث معاوية بن الحكم وفي تقريره لمن سأله رواه أبو رزين».

أقول: أما القول فقوله ﷺ للجارية «أين[1] الله؟ قالت في السماء» وقد تكلم

= في شفاء العليل (١٥٩): «كيف يصح عند ذي عقل، مرئي يرى بالأبصار عياناً لا فوق الرائي ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه ولا أمامه» اهـ وهذا مثل ما هنا وهو من أبعد الناس عن نفي الرؤية فيكون مجسماً صريحاً، ورؤية الله كما يرى القمر في ليلة البدر يقول عنها ابن قتيبة في (الاختلاف في اللفظ) لم يقع التشبيه فيها على حالات القمر من التدوير والمسير والحدود وغير ذلك وإنما وقع التشبيه في أن إدراكه يوم القيامة كإدراكنا القمر ليلة البدر لا يختلف في ذلك كما لا يختلف في هذا، والعرب تضرب بالقمر المثل في الشهرة والظهور اهـ فعار على الناظم وشيخه أن يغيب عنهما ما لم يغب عن مثل ابن قتيبة، لكن الهوى يعمي ويصم، وكلامهما ينبيء عن تشبيه المرئي بالمرئي بل عادة ابن تيمية تهوين شأن التشبيه حتى تجده يقول فيما رد به على الرازي (٢٤ - الكواكب) «ليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ﷺ ولا كلام أحد من الصحابة والتابعين ولا الأكابر من أتباع التابعين ذم المشبهة وذم التشبيه ونفى مذهب التشبيه ونحو ذلك وإنما اشتهر ذم هذا من جهة الجهمية اهـ» كأنه لم يتل قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقوله تعالى ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] وهو الذي يروى عن ابن راهويه في موضع آخر من ذلك الكتاب (من وصف الله فشبه صفاته بصفات أحد من خلقه فهو كافر بالله العظيم) ويروى أيضاً مثله عن نعيم بن حماد في موضع آخر وهو من أئمتهم بل يروى عن الإمام أحمد نفسه (لا يشبهه شيء من خلقه) في موضع آخر من كتابه المذكور وهذا مما يدل على وقاحته البالغة وقلة دينه، وهل أدل على قلة عقل الرجل من تناقضه في كتاب واحد؟ والله ينتقم منه.

(١) وراوي هذا الحديث عن ابن الحكم هو عطاء بن يسار وقد اختلفت ألفاظه فيه ففي لفظ له «فمد النبي ﷺ يده إليها وأشار إليها مستفهماً من في السماء...» الحديث، فتكون المحادثة بالإشارة على أن اللفظ يكون ضائعاً مع الخرساء الصماء فيكون اللفظ الذي أشار إليه الناظم والمؤلف لفظ أحد الرواة على حسب فهمه لا لفظ الرسول ﷺ. ومثل هذا الحديث يصح الأخذ به فيما يتعلق بالعمل دون الاعتقاد، ولذا أخرجه مسلم في باب تحريم الكلام في الصلاة - دون كتاب الإيمان - حيث اشتمل على تشميت العاطس في الصلاة ومنع النبي ﷺ عن ذلك، ولم يخرجه البخاري في صحيحه وأخرج في جزء خلق الأفعال ما يتعلق بتشميت العاطس من هذا الحديث مقتصراً عليه دون ما يتعلق=

الناس عليـه قديما وحديثـا والكلام عليه مـعروف ولا يقـبله ذهن هذا الرجل لأنه

= بكون الله فى السماء بدون أى إشارة إلى أنه اختصر الحديث وليس فى رواية الليثى عن مالك لفظ (فإنها مؤمنة).. وأما عدم صحة الاحتجاج به فى إثبات المكان له تعالى فللبراهين القائمة فى تنزه الله سبحانه عن المكان والمكانيات والزمان والزمانيات، قال الله تعالى: ﴿قُل لِّمَن مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُل لِّلَّهِ﴾ [الأنعام: ١٢] وهذا مـشعـر بأن المكان وكل ما فـيه ملك لله تعـالى. وقال تعـالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ١٣] وذلك يدل على أن الزمان وكل ما فيـه ملك لله تعالى، فهاتان الآيتان تدلان على أن المكان والمكانيات والزمـان والزمانيات كلها ملك لله تعـالى وذلك يدل على تنزيهه سبحـانه عن المكان والزمان، كمـا فى أساس التقديس للفـخر الرازى، ولأن الحديث فـيه اضطراب سنداً ومتنًا رغم تصحيح الذهبى وتهـويله راجع طرقـه فى كـتـاب العلو للـذهبى وشـروح الموطأ وتوحـيـد ابن خـزيمة حتى تعلم مـبلغ الاضطراب فيه سندا ومتنا، وحمل ذلك على تعدد القصة لا برضاء أهل الغوص فى الحديث والنظر معا فى مثل هذا المطـلب فالروايات على رجل مبـهم محـمولة على ابن الحكم، ولم يصح حـديث كعب بن مالك ولا حديث يروى عن امرأة، فمالك يرويه عن عمر بن الحـكم غير مقر بأن يكون غلطا فيه، ومسلم عن معـاوية بن الحكم ولفظهما كـما سبـقت الإشارة إليه مع نقـص لفظ (فإنها مـؤمنة) فى رواية مالك.
ولفظ ابن شـهاب فى مـوطأ مالك عن أنصـارى - وهو صاحب القـصة فى الرواية الأولـى- (فقال لـها رسول الله ﷺ: أتشـهدين أن لا إله إلا الله؟ قـالت: نعم، قالت: أتشـهدين أن محـمداً رسـول الله؟ قالت: نعم) وأين هذا من ذاك؟ وستعرف حال الذهبى فى أواخر الكتاب فلا تلتفت إلى تهويله وتحريفه فى هذا الباب فلعل لفظ (أين الله) تغيير بعض الرواة على حسب فهمه. والرواية بالمعنى شائعة فى الطبقات كلها وإذا وقعت الرواية بالمعنى من غير فقيه فهناك الطامـة، وصاحب القصة لم يكن من فقهاء الصحابة ولا له سوى هـذا الحديث فى التـحقـيق، بل كان أعـرابيًا يتكلـم فى الصلاة، على أن (أين) تكون للسـؤال عن المكان وللسؤال عن المكانة حقيقة فى الأول ومجازاً فى الثانى أو حقيقة فيهما. قال أبو بكر بن العربى فى شرح حديث أبي رزين فى العارضة: المراد بالسؤال بأين عنه تعالى المكانة، فإن المكان يستحيل عليه، وأين مستعملة فيه، وقيل إن استعمالها فى المكان حقـيقة وفى المكانة مجاز وقيل هما حقيقتان، وكل جار على أصل التحـقيق مستعـمل على كل لسان وعند كل فريقـال. هـ. وقال أبو الوليد الباجى فى المنتـقى: يقال مكان فلان فى السماء بمعنى علو حاله ورفعتـه وشرفه، فلعل الجارية تريد وصفه بالعلو، وبذلك يوصف كل من شأنه العلو ا. هـ فيكون معنى (أين الله) ما هى مـكانة الله عندك ومعنى (فى السماء) أنه تعالى فى غاية من علو الشأن، يتحد هذا المعنى مع معنى (أتشهدين أن لا إله إلا الله قالت نعم) فإن قيل فليكن لفظ الرسول ﷺ هو (أين الله ولفظ الراوى هو (أتشهدين...) رواية بالمعنى على الصـورة السابقة فالجواب أنه لم يصح عن النبى ﷺ فى تـلقين الإيمان طول أداء رسالتـه السـؤال بأين أو ذكـر ما يوهم المكان ولا مـرة واحدة فى غير هذه القصة المضطربة بل الثابت هو تلقين كلمـة الشهادة، فاللفظ الجارى على الجادة أجدر بأن يكون لفظ الرسول ﷺ ، على أن المحـقق السيد الشـريف الجرجانى أجـاز فى شرح المواقف أن يكون السؤال للاستكشاف عن معتقد الجارية هل هى عابدة وثن أرضى أم هى مؤمنة بالله رب السموات.
ومن أهل العلم من يعـد العامى معـذوراً فى اللفظ الموهم اعتـداداً بأصل اعتقـاده بالله سبـحانه وإن أوهم بعض إيهـام فى وصفه تـعالى ﷺ وإليـه يشير القـرطبى فى المفـهم فى شرح حـديث الجارية فى صـحيح مسلم، قال ابن الجوزى: قد ثبت عند العلمـاء أن الله لا تحويه السماء ولا الأرض، ولا تضمنه الأقطار،=

مشاء على بـدعة لا يقبل غيرها؟ وأمـا حديث أبى رزين[(١)] فى سنن الترمذى عنه

= وإنما عرف بإشارتها تعظيم الخالق جل جلاله عندها اهـ وعلى تقدير ثبوت لفظ (أين) فالمعنى الذى ذكره الباجى وابن العربى معنى لا حيدة عنه أصلا وجلالة مقدار هذين الإمامين فى الحديث واللغة وأصول الدين والفقه لا يجحدها إلا الجاهلون وقول ذلك الصحابى الذى كان يبغى فوق السماء مظهراً، من الأدلة على ما أشار إليه الباجى.

توهين حديث أبى رزين

(١) أما حديث أبى رزين ففى سنده حماد بن سلمة مختلط، وكان يدخل فى حديثه ربيباه ماشاءا وليس فى استطاعة ابن عدى ولا غيره إبعاد هذه الوصمة عنه، ويعلى بن عطاء تفرد به عن وكيع بن حدس أو عدس، وهو مجهول الصفة، وهو تفرد عن أبى رزين، ولا شأن للمنفردات والوحدان فى إثبات الصفات فضلا عن المجاهيل وعمن به اختلاط، فليتق الله من يحاول أن يثبت به صفة لله، وقد سئم أهل العلم من كثرة ما يرد بطريق حماد بن سلمة من الروايات الساقطة فى صفات الله سبحانه، وقد روى أبو بشر الدولابى الحافظ عن ابن شجاع عن إبراهيم بن عبدالرحمن بن مهدى أنه قال: «كان حماد بن سلمة لا يعرف بهذه الأحاديث حتى خرج خرجة إلى عبدان فجاء وهو يرويها، فلا أحسب إلا شيطانا خرج إليه فى البحر فألقاها إليه اهـ». وماذا يجدى تحمس ابن عدى فى الدفاع عنه والرد على محمد بن شجاع الإمام افتراء منه عليه؟ وابن شجاع هذا مات في صلاة العصر وهو ساجد ولا مغمز فى علمه وثقته وورعه إلا أنه كان يقف فى القرآن ولا يقول إنه مخلوق أو غير مخلوق لعدم ورود هذا وذاك نصّا فى الكتاب والسنة، وألف كتابًا فى الرد على المشبهة وهذا ذنب لا يغتفر عندهم وإنما يدل هذا التحمس على خبيء لابن عدى الذى لم يتعلم من العربية ما يقوم به لسانه ويصونه من اللحون الفاضحة، وأنى لمثله أن يقوم فكره حتى يتخذ قدوة؟ وكان ابن شجاع يحذر الرواة من الأخذ بروايات تالفة أدخلها الوضاعون على بعض شيوخ الرواية فيرد عليه عثمان بن سعيد الدارمى المجسم قائلا كيف يجد الوضاعون سبيلا إلى الإدخال على شيوخ فى الرواية؟ وابن عدى يعكس الأمر ويجعل الذى يدخل عليهم هو ابن شجاع بدون أى دليل وبدون سوق أى سند كما هو شأن المتقولين وله مع ثقات الرواة وأئمة الأمة فى الفقه الذين تكلم فيهم موقف في يوم القيامة، لا يغبط عليه، والعقيلى على تعنته لم يذكره فى كتابه - وحديث إجراء الخيل كان ذائعًا بين شيوخ الرواية من الحشوية حتى يشكو من ذلك ابن قتيبة مر الشكوى فى (الاختلاف فى اللفظ) وهو معاصر لابن شجاع، وكذلك خرجه أبو على الأهوازى بسنده بطريق حماد ابن سلمة، وقول الحاكم (أنبأنا إسماعيل بن محمد الشعرانى أنه قال: بلغت عن محمد بن شجاع عن حبان بن هلال عن حماد بن سلمة) لا يمكن اتخاذه حجة فى كون هذا الخبر مرويًا عن حماد بن سلمة بطريق ابن شجاع منفردا به لأن بين الشعرانى وبين ابن شجاع نحو مائة سنة فلا يقل الساقط من الرجال من بينهم عن نحو ثلاثة، هكذا يفضح الله من يتطاول على الأئمة. راجع ما علقناه على تبيين كذب المفترى فى (ص٣٦٩) ومن اطلع على كتاب (نقض عثمان بن سعيد على الجهمى العنيد) الجارى طبعه يعرف سبب مقت الحشوية لهذا الإمام الجليل، بل يكفى فى معرفة حال حماد بن سلمة الاطلاع على كتب الموضوعات المبسوطة، فى باب التوحيد منها خاصة فيرى فيها القارىء أخباراً تالفة رويت بطريقه بكثرة بل ما سرده ابن عدى نفسه فى الكامل فى ترجمة حماد هذا من الأحاديث التالفة المروية بطريقه كاف فى معرفة سقوط ما يروى بطريقه فى الصفات بل سقوط ابن عدى المتحمس دونه. =

قال: قلت: يا رسول الله، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه؟ قال: «كان فى عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء وخلق عرشه[١] على الماء» قال الترمذى قال أحمد يعنى ابن منيع راوى الحديث قال يزيد يعنى ابن هارون شيخ أحمد: العماء أى ليس معه شىء. انتهى كلام الترمذى.

وفى رواية (كان فى عما) بالقصر ومعناه ليس معه شىء وقيل هو كل أمر لا يدركه عقول بنى آدم ولا يبلغ كنهه الوصف والفطن، قال ابن الأثير ولابد فى قوله (أين كان ربنا) من مضاف محذوف فيكون التقدير أين كان عرش ربنا ويدل

= منها روايته عن قتادة عن عكرمة... أن محمداً رأى ربه فى صورة شاب أمرد ...) وفى لفظ (... جعداً أمرد عليه حلة خضراء...) إلى غير ذلك من الألفاظ الفاضحة، وقد روى ابن عساكر بطريق أبى القاسم السمرقندى عن قتادة (الأعمى): إنى ما حفظت عن عكرمة إلا بيت شعر، وهذا دليل على أنه لم يرض روايته الحديث، وأما ما يروى عن أحمد من سماع قتادة عن عكرمة عدة أحاديث فلا يثبت عن أحمد لأنه بطريق رواة من المجسمة القائلين بإقعاد الله ﷺ فى جنبه على العرش، تعالى الله عن ذلك، وقد توسع الفخر بن المعلم القرشى فى رد ما يروى عن عكرمة فى هذا الصدد ثم قال «فمعاذ الله أن يرى ربه على صورة أصلا فكيف على صورة قد ذكر مثلها أو أكثرها عن المسيخ الدجال» ا. هـ.

فمن التهور البالغ قول ابن صدقة (من لم يؤمن بحديث عكرمة فهو زنديق) بل من يقول به هو الزنديق، ويأسف المرء أن يرى بعض تلك الروايات التالفة مدونًا فى كتاب (أخبار الصفات) للدارقطنى. وابن المعلم القرشى يؤكد أنه مدسوس فى كتاب الدارقطنى وليس ببعيد بالنظر إلى أن راويه عنه العشارى والراوى عنه ابن كادش، وستعرف قيمتهما فى أواخر ما علقناه على هذا الكتاب. ويظهر مما رفعه أبو إسحاق الشيرازى وأصحابه إلى نظام الملك من المحضر.. فى فتنة الحشوية ببغداد ضد ابن القشيرى - اتخاذ رواية حماد هذه دينا فليراجع المحضر المذكور فى (تبيين كذب المفترى) لابن عساكر (ص ٣١٠) وفيه ما نصه «... وأبوا إلا التصريح بأن المعبود ذو قدم وأضراس ولهوات وأنامل، وأنه ينزل بذاته ويتردد على حمار فى صورة شاب أمرد بشعر قطط وعليه تاج يلمع وفى رجليه نعلان من ذهب...» تعالى الله عما يشركون وفى مرسوم الخليفة العباسى الراضى الذى أصدره فى فتنة البربهارى ما نصه «... وتارة إنكم تزعمون أن صورة وجوهكم القبيحة السمجة على مثال رب العالمين وهيئتكم الرذلة على هيئته وتذكرون الكف والأصابع والرجل والنعلين المذهبين والشعر القطط والصعود إلى السماء والنزول إلى الدنيا، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيراً...» كما فى الكامل لابن الأثير (٨-٩٨) إلى غير ذلك من الفضائح المكشوفة، وحديث أم الطفيل أنكره أحمد والنسائى فلا يمكن أن يصح مثل تلك الرواية لا يقظة ولا منامًا، راجع دفع الشبه لابن الجوزى و(نجم المهتدى) والله ولى الهداية.

(١) قال أبو بكر ابن العربى فى العارضة: والذى عندى أنه أراد بالعرش الخلق كله و(على الماء) بمعنى يمسكه بقدرته لا بعمد ترافده ولا أساس يعاضده، فإنها كانت تكون مفتقرة إلى أمثالها إلى غير نهاية وذلك غير محصول فترده أدلة العقول ا. هـ وهو معنى بديع جدًا لمن ألقى السمع وهو شهيد. واستعمال العرش بمعنى الملك شائع، راجع كتاب أصول الدين لعبد القاهر البغدادى.

عليه قوله تعالى ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧] قال الأزهرى نحن نؤمن به ولا نكيفه بصفة أى نجرى اللفظ على ظاهره من غير تأويل، وقوله من غير أن نكيفه بصفة صريح فى التنزيه والعلماء فى المتشابهات يؤمنون بها إما بأن يتأولوها وإما بأن يسكتوا مع التنزيه وهذا المدبر يصدق بعضها ببعض ليقوي الشبهة ويمكن الريبة من قوب الناس لعنه الله(١).

فصل

قال: «وخامس عشرها الإجماع من(٢) رسل الله، حكى إجماعهم عبدالقادر

(١) ولعن كل من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وأنت قد جربت أن الإمام السبكى رحمه الله لا يستنزل اللعنات على الناظم إلا عند كلماته الخطرة جدًا. عامله الله بعدله.

تفنيد زعم الإجماع على الفوقيه الحسية

(٢) فيا للعار والشنار على من يهون إجماع المسلمين فيما يستدلون به عليه من المسائل الفرعية كيف يزعم إجماع رسل الله على محال؟ وتجد فى الكتب المنسوبة إلى الشيخ عبدالقادر كثيراً مما يرده علماء أصول الدين فى الاعتقاد كما تجد فيها كثيرا من الأحاديث الملفقة الموضوعة فلا يعول على مثل تلك الكتب في مثل هذا المطلب، وقد قال ابن حجر المكى فى فتاويه إن ذكر الجهة ونحوها مدسوس فى كتب الشيخ عبدالقادر، وذكر مثله اليافعى قبله في نشر المحاسن، وكذلك النجم الأصفهانى قبل اليافعى، وهم لا يعتدون بروايات أمثال الذهبى والناظم وشيخه وابن رجب عنه في هذا الصدد لأنهم أظناء عندهم فيما يتعلق بالجهة، ومن المقرر عند أهل السنة أن أهل البدع لا تقبل رواياتهم فيما يؤيدون به بدعهم، فالقائلون بصلاح الشيخ عبدالقادر - وهم الجمهور - يبرئونه من تلك البدع ويعدونها مدسوسة فى كتبه ولا يوجد بين أهل الحق من يعترف له بالصلاح مع فرض ثبوت تلك المخازى عنه، فعلى فرض ثبوتها عنه فلا حب ولا كرامة، ومخارق حفيده عبدالسلام المتربى لديه تدعو الباحث إلى غاية من الاحتياط فى حقه، وقد أشار الحافظ أبو شامة المقدسى فى ذيل الروضتين إلى ما جرى بينه وبين أبى الفرج ابن الجوزى الحنبلى والوزير العالم ابن يونس الحنبلى نسأل الله السلامة، وبين المتصوفة من يلهج كثيراً بمرتبة الإطلاق ومراتب التنزل فى المظاهر أخذاً من مذهب السالمية لكن أئمة أصول الدين ليسوا على تصديق التجلى فى الصور الذى يقول به هؤلاء بل يعدون ذلك والحلول على حد سواء، فمن حاول الجمع بين أقوال المتكلمين والمتصوفة والحكماء والحشوية فى ذلك كالبرهان الكورانى فإنما حاول المحال والانسلاخ من قيد العقل والنقل معًا، نسأل الله العافية، وليس بقليل بين الأئمة من جاهر بإكفار القائلين بالجهة كما نقلت نص ذلك من شرح مشكاة المصابيح للعلامة ناصر السنة على القارى فيما علقته على «دفع شبه التشبيه» لابن الجوزى (ص ٥٧) وشأن من يخاف الله سبحانه أن ترتعد فرائصه فى موطن جاهر فيه بعض الأئمة المتبوعين فى أصول الدين: بالإكفار.

بسط الكلام فى رد القول بالجهة

ولم يرد لفظ الجهة في حديث ما بل قال أبو يعلى الحنبلى فى «المعتمد فى المعتقد»: ولا يجوز عليه الحد ولا النهاية ولا قبل ولا بعد ولا تحت ولا قدام ولا خلف لأنها صفات لم يرد الشرع بها وهى صفات=

....

= توجب المكان ا هـ ولعله آخر مؤلفاته بدليل أن امتحانه فى الصفات كان سنة ٤٢٩ قبل وفاته بنحو ثلاثين سنة فمن أثبت له تعالى جهة فقد أثبت له أمثالا وأشباها مع أنه لا مثل له ولا شبيه له تعالى ﷺ قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وقال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ﴾ [النحل: ١٧] فلعائن الله على من ثبت له تعالى ما لم يثبت له الكتاب ولا السنة من الجهة ونحوها، وأما ابن رشد الحفيد ففيلسوف ظنين يسعى فى إثارة وجوه من التشكيك حول آراء المتكلمين من أهل السنة لينتقم منهم بسبب ردودهم على الفلاسفة إخوانه ولا سيما من أبى المعالى الجوينى وأبى حامد الغزالى، فمن طالع فصل المقال ومناهج الأدلة لابن رشد وخاصة فى بحث قدم العالم قدما زمانيا وعلم الله بالجزئيات والبعث الجسمانى يتيقن ما قلنا فى حقه على أنه يقول فى فصل المقال (ص ١٣): إن ههنا ظاهراً من الشرع لا يجوز تأويله، فإن كان تأويله فى المبادى فهو بدعة، وههنا أيضا ظاهر يجب على أهل البرهان تأويله وحملهم إياه على ظاهره كفر فى حقهم، وتأويل غير أهل البرهان له وإخراجه عن ظاهره كفر فى حقهم، ومن هذا الصنف آية الاستواء وحديث النزولا هـ.
وهذا الكلام يهد على رأس ابن تيمية وتلميذه ما يريدان أن يبنيا على كلامه ولو علما مغزى كلامه لأبيا كل الإباء أن يحوما حول كلام فى مثل هذه الأبحاث. فما يكون كفراً فى حق طائفة عند ابن رشد يكون إيمانا فى حق طائفة أخرى عنده وبالعكس وهذا هو الذى يحتج ابن تيمية فى التأسيس وغيره بقوله فى الجهة من غيره أن يعقل مغزى كلامه الطويل فى مناهج الأدلة. وأما ما وقع فى كلام ابن أبي زيد وابن عبدالبر مما يوهم ذلك فمؤول عند محققى المالكية ولو كان ابن عبدالبر لم يكتف بالطلمنكى فى أصول الدين ورحل إلى الشرق كالباجى لم يقع فى كلامه ما يوهم ولم يقع ذكر الجهة فى حق الله سبحانه فى كتاب الله ولا فى سنة رسول ﷺ وسلم ولا فى لفظ صحابى أو تابعى ولا فى كلام أحد ممن تكلم في ذات الله وصفاته من الفرق سوى إقحام المجسمة وأتحدى من يدعى خلاف ذلك أن يسند هذا اللفظ إلى أحد منهم بسند صحيح فلن يجد إلى ذلك سبيلا فضلا عن أن يتمكن من إسناده إلى الجمهور بأسانيد صحيحة، وأول من وقع ذلك فى كلامه ممن يدعى الانتماء إلى أحد الأئمة المتبوعين - فيما أعلم - هو أبو يعلى الحنبلى المتوفى سنة ٤٥٨ حيث قال عند إثباته الحد له تعالى فى كتابه (إبطال التأويلات لأحاديث الصفات): «إن جهة التحت تحاذى العرش بما قد ثبت من الدليل والعرش محدود فجاز أن يوصف ما حاذاه من الذات أنه حد وجهة له وليس كذلك فيما عداه لأنه لا يحاذى ما هو محدود بل هو مار فى اليمنة واليسرة والفوق والأمام والخلف إلى غير غاية فلذلك لم يوصف واحد من ذلك بالحد والجهة وجهة العرش تحاذى ما قابله من جهة الذات ولم تحاذ جميع الذات لأنه لا نهاية لها ا. هـ» تعالى الله عما يقول المجسمة علوّاً كبيرا وهو عين ما ينسب إلى المانوية الحرانية من تلاقى النور من جهة الأسفل مع الظلمة وعدم تناهيه من الجهات الخمس - سبحانك ما أحلمك.. ثم تابعه أناس من الحنابلة فى نسبة الجهة إلى الله سبحانه منهم أبو الحسن على بن عبيد الله الزاغونى الحنبلى المتوفى سنة ٥٣٧ ووقع بعده فى غنية الشيخ عبدالقادر وقد سبق رده، وإثبات ذلك له تعالى ليس بالأمر الهين عند جمهور أهل الحق بل قال جمع من الأئمة إن معتقد الجهة كافر كما صرح به العلم العراقى، وقال إنه قول أبي حنيفة ومالك والشافعى والأشعرى والباقلانى ا. هـ فانظر قول ابن تيمية فى التسعينية (ص ٣): أما قول القائل، الذى نطلب منه أن ينفى الجهة عن الله والتحيز فليس فى كلامى إثبات لهذا اللفظ لأن إطلاق هذا اللفظ نفيًا=

....

= وإثباتا بدعه ا هـ وهذه مغالطة، فإن ما لم يثبته الشرع فى الله فهو منفى قطعًا، لأن الشرع لا يسكت عما يجب اعتقاده فى الله، وقوله سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] نص فى نفى الجهة عنه تعالى إذ لو لم تنف عنه الجهة لكانت له أمثال لا تحصى، تعالى الله عن ذلك - ثم انظر قوله فى منهاجه (١-٢٦٤): فثبت أنه فى الجهة على التقديرين ا.هـ» لتعلم كيف رماه الله بقلة الدين وقلة الحياء فى آن واحد.
وأما ما ينقله الذهبى وغيره من الحشوية من تفسير القرطبى فى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] من أنه قال: وقد كان السلف الأول رضى الله عنهم لا يقولون بنفى الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابه وأخبرت رسله فتساهل منه في العبارة، فإنه لم يرد لفظ الجهة فى عبارة السلف ولا فى كتاب الله، ولو أراد ورود هذا اللفظ لكذبه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ والآثار المروية عن السلف لأن الوارد لفظ ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨] و﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤] ونحو ذلك بدون تعرض للتكييف بالجهة، وهكذا الوارد فى السنة وآثار السلف ويعين قوله «كما نطق به كتابه» أن مراده الفوقية والعلو بلا كيف وذكر الجهة سبق قلم منه فلا يكون متمسك للحشوية فيما ذكره القرطبى فى تفسيره كيف وهو القائل فيه:
«متى اختص بجهة يكون فى مكان وحيز فيلزم الحركة والسكون ا. هـ» وهو القائل أيضا فى (التذكار فى أفضل الأذكار) ص ١٣: «يستحيل على الله أن يكون فى السماء أو فى الأرض إذ لو كان فى شىء لكان محصوراً أو محدوداً ولو كان ذلك لكان محدثا وهذا مذهب أهل الحق والتحقيق ا. هـ».

تناقض ابن تيمية فى الجهة وكذبه

وفى (ص ٢٠٧) من الكتاب المذكور: «ثم متبعو المتشابه لا يخلو اتباعهم من أن يكون لاعتقاد ظواهر المتشابه كما فعلته المجسمة الذين جمعوا ما فى الكتاب والسنة مما يوهم ظاهره الجسمية حتى اعتقدوا أن البارىء تعالى جسم مجسم وصورة مصورة ذات وجه وغير ذلك من يد وعين وجنب وأصبع، تعالى الله عن ذلك علواً كبيرًا، والصحيح القول بتكفيرهم إذ لا فرق بينهم وبين عباد الأصنام والصور، ويستتابون فإن تابوا وإلا قتلوا كما يفعل بمن ارتد. ا. هـ». فبذلك تبين أن تمسك الحشوية بقول القرطبى السابق من قبيل الاستجارة من الرمضاء بالنار وبه يظهر مذهب المالكية فيمن يقول بذلك كما يظهر قول الشافعية فيه من كفاية الأخيار للتقى الحصنى، حيث قال فيها بعد أن أشار إلى كلام الرافعى فى كتاب الشهادات:
«جزم النووى فى صفة الصلاة من شرح المهذب بتكفير المجسمة.
قلت: وهو الصواب الذى لا محيد عنه ا هـ».
ومن حذاق النظار من استدل على بطلان القول بالجهة بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ﴾ [المؤمنون: ٩١] باعتباره أن فيه استدلالا على بطلان التعدد ببطلان لازمه الذى هو انحياز الإله إلى جهة. راجع شعب الإيمان للحليمى. وفى الإكمال شرح مسلم للقاضى عياض «ثم من صار من دهماء الفقهاء والمحدثين وبعض متكلمى الأشعرية وكافة الكرامية إلى الجهة أول (فى) بـ(على). ومن أحال ذلك - وهم الأكثر - فلهم فيها تأويلات.. وقد أجمع أهل السنة على تصويب القول بالوقف من التفكر في ذاته تعالى لحيرة العقل هنالك، وحرمة التكييف، والوقف فى ذلك غير شك فى الوجود ولا جهل بالموجد فلا يقدح في التوحيد بل هو حقيقته. وقد تسامح بعضهم فى إثبات جهة تخصه تعالى أو شار إليه بحيز يحاذيه، وهل بين التكييفين [أى التكييف المحرم إجماعًا والتكييف بالجهة] فرق؟! وبين=

وأبو الوليد [ابن رشد الفيلسوف] وأبو العباس[1] الحرانى [ابن تيمية] وله اطلاع،

= التحديد في الذات والجهة فرق؟! وقد أطلق الشرع أنه القاهر فوق عباده وأنه استوى على العرش فالتمسك بالآية الجامعة للتنزيه الكلى الذى لا يصح فى العقل غيره وهى قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] «عصمة لمن وفقه الله تعالى» اهـ وقد تعقبه الأبى تعقبًا شديدا، وقال ما نسب من القول بالجهة إلى الدهماء ومن بعدهم من الفقهاء والمتكلمين لا يصح ولم يقع إلا لأبى عمر في الاستذكار [والتمهيد] ولابن أبى زيد في الرسالة وهو عنهما متأول. ثم نقل عن الفقهاء التونسيين كابن عبدالسلام وابن هارون والفاسيين كالسطى وابن الصباغ اتفاقهم على إنكار ذلك فى مجلس الأمير أبى الحسن ملك المغرب. راجع شرح مسلم (٢-٢٤١) للأبى.

أقول: إنما ذكر القاضى عياض من صار من الدهماء إلى القول بالجهة وأين في ذلك نسبة ذلك إلى الدهماء على أن لفظ الجهة لم يقع فى كلام أبى عمر ولا فى كلام ابن أبى زيد وإن كان ظاهر كلامهما يوهم ذلك وقد تأول كلامهما المالكية ليكونا مع الجمهور في هذه المسألة الخطرة ولو ترك كلامهما على الظاهر لهويا في هاوية التجسيم وذلك عزيز عليهم أيضًا، قول القاضى عياض ليس يشمل المشارقة حيث لم يرحل إلي الشرق وإنما قوله بالنظر إلى معنى كلام بعض الفقهاء والمحدثين والمتكلمين من أهل بلاده من أصحاب الطلمنكى وابن أبى زيد وأبي عمر بل لا أذكر وقوع لفظ الجهة فى كلام أحد منهم، وإنما جرى ابن رشد الفيلسوف في المناهج على التساهل بذكر ما لم يجر على لسانهم باعتباره معنى كلامهم كما سبق، والحاصل أن التكييف غير جائز إجماعًا.. ويمكن جمع جزء في الآثار الواردة فى المنع من التكييف والتشبيه.. ولا شك أن القول بالجهة تكييف لم يقع إلا فى عبارات أناس هلكى، وأما تأويل القائلين بالجهة ما يوهم كونه فى السماء بمعنى على السماء، كما ذكر القاضى عياض. فلا ينجيهم من ورطة التجسيم لأن (فى) فى قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: ٧١] لم تزل تفيد تمكين المصلوب في الجذع كتمكين المظروف في الظرف، وكذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [العنكبوت: ٢٠] فحمل لفظ (فى) على معنى (على) لا يجدى فى الإبعاد عن التمكن وإنما التأويل الصحيح ما أشار إليه الباجى من استعمال العرب لفظ (هو فى السماء) يعنون علو شأنه ورفعة منزلته بدون ملاحظة كونه فى السماء أصلا كقول الشاعر:

علونا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنبغى فوق ذلك مظهرا

وظاهر أنه لم يرد إلا علو الشأن. وليس قوله تعالى ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ﴾ [الملك: ١٦] من هذا القبيل بل الظاهر أن المراد خاسف سدوم وعد (فى السماء) بمعنى على السماء ثم جعل على السماء بمعنى (على العرش) باعتبار أن السماء مأخوذة من السمو، غفلة عن شمولها للسقف والسحاب علي هذا التقدير غير المتبادر وتخصيصها بالعرش عن هوى مجرد كما لا يخفى. وفيما ذكرناه كفاية لأهل التبصر.

مخالفات ابن تيمية

(١) يوجد من يذكره بلقب شيخ الإسلام.. وللمبتدعة افتتان بهذا التلقيب لزعمائهم - إيهاما للضعفاء فى العلم أن ما يدعو إليه هذا الزائغ هو الإسلام الصحيح ويخاف علي من يستمر على تلقيبه به بعد أن عرف مخالفاته لشرع الإسلام ومن ذكره بهذا اللقب من أهل السنة إنما ذكره قبل أن يجاهر ذلك المبتدع ببدعه المعروفة، وأما من استمر على هذا التقليب من المتأخرين فإنما استمر جهلا ببدعه التى نقلناها من أوثق المصادر أو ظنًا من أنه تاب وأناب وحافظ على عهوده وقد توسعنا فى بيان ذلك فيما علقناه على=

لم يكن من قبله لسواه من متكلم».

ونحن نقطع أيضا بإجماعهم (على التنزيه) أما يستحى من ينقل إجماع الرسل على إثبات الجهة والفوقية الحسية لله تعالى؟ وعلماء الشريعة ينكرونها؟ أما تخاف منهم أن يقولوا له إنك كذبت على الرسل؟

فصل

قال: «وسادس عشرها إجماع أهل العلم[1] ابن عباس ومجاهد ومقاتل

= ذيول طبقات الحفاظ. على ترجمة العلاء البخارى فليراجع هناك، ولعل فى كتبنا ولاسيما فى هذا الكتاب ما يقنع المنصف فى أمر هذا الزائغ.

ومما قال المصنف فى حقه فى فتاويه (٢-٢١٠) فى أثناء رده على فتيا له فى الوقف: «وهذا الرجل كنت رددت عليه فى حياته فى إنكاره السفر لزيارة المصطفى ﷺ وفى إنكاره وقوع الطلاق إذا حلف به ثم ظهر لى من حاله ما يقتضى أنه ليس ممن يعتمد عليه فى نقل ينفرد به لمسارعته إلى النقل لفهمه - كما فى هذه المسألة- ولا فى بحث ينشئه لخلطه المقصود بغيره وخروجه عن الحد جداً، وهو كان مكثراً من الحفظ ولم يتهذب بشيخ ولم يرتض فى العلوم بل يأخذها بذهنه مع جسارة واتساع خيال وشغب كثير، ثم بلغنى من حاله ما يقتضى الإعراض عن النظر فى كلامه جملة، وكان الناس فى حياته ابتلوا بالكلام معه للرد عليه، وحبس بإجماع العلماء وولاة الأمور على ذلك ولم يكن لنا غرض فى ذكره بعد موته لأن تلك أمة قد خلت ولكن له أتباع ينعقون ولا يعون ونحن نتبرم بالكلام معهم ومع أمثالهم ولكن للناس ضرورات إلى الجواب فى بعض المسائل كهذه المسألة..» ا. هـ. وهذا مما يزيدك معرفة بالرجل، ومن جملة هذيانات هذا الزائغ قوله فى (المحصل) للفخر الرازى:

محصل فى أصول الدين حاصله ... من بعد تحصيله أصل بلا دين

أصل الضلالات والشك المبين فما ... فيه فأكثره وحى الشياطين

هذا رأى الرجل في معتقد أهل السنة ولأهل العلم ردود عليه وكنت قلت فى معارضته:

محصل فى أصول الدين خصله ... من اهتدى فغدا محصن الدين

أس الهداية والحق الصراح فمن ... يرتاب فيه قفا إثر الشياطين

كما قلت فيما سبق فى معارضة بعضهم:

إن كان تنزيه الإله تجهما ... المؤمنون جميعهم جهمى

جل الإله عن الحوادث أن تحلـ ... ـل به وعن جهة وعن كم

بخلاف زعم زعيمكم سفها فإن ... تابعتموه فكلك تيمى

والله سبحانه ولى الهداية.

الرد على الناظم فى دعوى الإجماع على الفوقية المكانية

(١) الناظم يروى عن إمامه أحمد بن حنبل فى أعلام الموقعين أن من ادعى الإجماع فهو كاذب. فكيف ساغ له أن يروى هنا الإجماع على الفوقية على خلاف البراهين العقلية والنقلية القائمة. فابن عباس ومجاهد لم يرو عنهما ما يوهم ذلك إلا أناس هلكى لا تقبل أقوالهم فى حيض النساء فضلا عن المسائل=

والكلبي ورفيع وأبو عبيدة والأشعري والبغوي ومالك والشافعي والنعمان ويعقوب

= الاعتقادية، ومقاتل بن سليمان المروزي شيخ أهل التجسيم في عصره وقد أفسد جماعة من المراوزة والكلبي هالك عند أهل النقد، وأبو العالية رفيع الرياحي فسر الاستواء بالارتفاع، كما ذكره ابن جرير بطريق أبي جعفر الرازي، وهو متكلم فيه حتى عند الناظم. وروى الفريابي عن مجاهد تفسير استوى بقوله: علا بطريق ورقاء عن ابن أبي نجيح عنه. والكلام فيهما مشهور ولذا ذكر هذا وذاك البخاري من غير سند، ومع ذلك أين الدلالة في هذا وذاك على الفوقية المكانية؟ فما سبب طعن الحشوية كلهم فيه؟ وإنما له رأيان: أحدهما عدم الخوض في الصفات مع إثبات ما ثبت في الكتاب والسنة بدون تشبيه ولا تمثيل والآخر تأويل ما يجب تأويله بما يوافق التنزيه إذا عن ضرورة، وليس في هذا ولا في ذاك القول بالفوقية المكانية، وتأليف الإبانة كان في أوائل رجوعه عن الاعتزال لتدريج البربهاري إلى معتقد أهل السنة، ومن ظن أنها آخر مؤلفاته فقد ظن باطلا. وقد تلاحقت أقلام الحشوية بالتصرف فيها ولا سيما بعد فتن بغداد فلا تعويل على ما فيها مما يخالف نصوص أئمة المذهب من أصحابه وأصحاب أصحابه، وابن درباس غير مأمون في روايتها لأنه أفسده شيخه في التصوف مع تأخر طبقاته.. والبغوي الشافعي إنما نقل في تفسيره ما يروى عن مثل مقاتل بن سليمان والكلبي تعويلا على قول أهل النقد فيهما، ودلالة على أن هذا القول قول أهل الزيغ. ومالك قائل بالاستواء بلا كيف، وكذا الشافعي وأبو حنيفة وأبو يوسف وأحمد وابن المبارك، وهم براء مما يوجد في روايات عبدالله بن نافع الصائغ والعشاري والهكاري وابن أبي مريم ونعيم بن حماد والأصطخري وأمثالهم. (واعتقاد الشافعي) المذكور في ثبت الكوراني كذب موضوع مروي بطريق العشاري وابن كادس، وسيأتيان في أواخر اللكتاب، وابن خزيمة على سعته في الفقه والحديث جاهل بعلم أصول الدين وقد اعترف بذلك هو نفسه كما في الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٢٠٠) وكتاب التوحيد له يعده الرازي كتابًا في الشرك، ويستخف عقله وفهمه في تفسير قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] وينقل جزءا من سخفه ويرد عليه ردًا مشبعًا فيجب الاطلاع عليه، ومن الشافعية من يعد من الشافعية كل من تلقي بعض شيء من بعض الشافعية، وهذا ليس بصواب لأن كل متأخر يأخذ عمن تقدمه على أي مذهب كان المتقدم كما لا يخفى على من درس أحوال الرجال. وابن خزيمة هذا وإن تلقى بعض شيء من المزني في شبيبته لكن لم يكن شافعيًا بل ثبتت مساعدته لمحمد بن عبدالحكم في تزليفه ذلك الرد القاسي على الشافعي. وعلى فرض أنه شافعي لا محاباة في المعتقد أيا كان مذهب من زاغ عن السبيل. وهذا المسكين ممن إذا أصاب مرة في المعتقد يخطىء فيه مرات، فليسمح لي ساداتنا العلماء أن أعجب غاية العجب من طبع مثل كتاب التوحيد هذا بين ظهرانيهم بدون أن يقوم أحد منهم بالرد عليه كما يجب أيقظ الله أصحاب الشأن لحراسة السنة وابن خزيمة الذي يروي عنه الطحاوي غير ابن خزيمة صاحب كتاب التوحيد وليعلم ذلك.

والإجماع الذي يرويه ابن عبدالبر إنما يصح في العلو والفوقية بمعنى التنزه والقهر والغلبة لا بمعنى إثبات المكان له تعالى. وأبو بكر محمد بن وهب شارح رسالة ابن أبي زيد مسكين مضطرب بعيد عن مرتبة الحجة، وقد ذكرنا ما يتعلق بابن أبي زيد فيما علقناه على تبيين كذب المفتري وقد أغنانا ذلك عن تكرير الكلام، ورأي القاضي أبي بكر بن العربي فيه مدون في القواصم، وأبو الحسن محمد بن عبدالملك الكرجي الشافعي صاحب الفصول مجسم صريح كأبي الخير يحيى العمراني، وقد كفانا مؤنة الرد عليهما ما قاله فيهما ابن السبكي واليافعي الشافعيان. وعثمان الدارمي السجزي صاحب النقض وهو=

وأحمد وابـن المبارك وابن خزيمة وقال يقـتل من ينكره وحكى ابن عبدالبـر إجماع

= غير صاحب المسند - قد سبق القول فيه، وهو يثبت الحركة لله تعالى كحرب بن إسماعيل السيرجانى وقد نقلت فيما كتبت على شروط الأئمة الخمسة ما قاله الحافظ الرامهرمزى فى حرب السيرجانى هذا وخشيش بن أصرم صاحب كتاب الاستقامة يعرف أهل الاستقامة مبلغ انحرافه، ومن جملة ما هذى به قوله: فإن زعمت الجهمية فمن يخلفه إذا نزل؟ قيل لهم: فمن خلفه من الأرض حين صعد؟! هـ ولا ينجيه من ورطته كونه من مشايخ أبى داود كما لا ينجى عمران بن حطان كونه من رجال البخارى وعبدالله بن أحمد إذا ثبت عنه كتاب السنة المنسوب إليه فلا حب ولا كرامة. وابن أبى حاتم أقر على نفسه بأنه يجهل علم الكلام كما فى الأسماء والصفات للبيهقى (ص١٩٩) وحق مثله أن لا يخوض فى أمثال هذه المباحث وأن يهجر قوله إذا خاض، ومحمد بن أبى شيبة صاحب كتاب العرش مشبه كذاب، ومن جملة تخريفاته فى كتابه المذكور: أن الله تعالى أخبرنا أنه صار من الأرض إلى السماء ومن السماء إلى العرش فاستوى على العرش ا هـ تعالى الله عن تخريفات المجسمة وابن أبى داود كفانا مؤنة الرد عليه كلام أبيه فيه. وابن أسباط لا يحتج به فى الرواية فكيف يعول على مثله فى الصفات. سامح الله اللالكائى والطلمنكى وإسماعيل التيمى فإنهم تكلموا فى غير علومهم. والباقون كلهم بخير خلا ما أدخل على ابن سلمة ولن يثبت عن هؤلاء سوى أنهم كانوا يقولون: إنه تعالى استوى على العرش بلا كيف وإنه القاهر فوق عباده بلا كيف وأين هذا مما يدعو إليه الناظم؟

- تنبيه - روى الناظم فى أعلام الموقعين عن أحمد: أن من ادعى الإجماع فهو كاذب ثم حكى هو نفسه فى الكتاب نفسه فى (١-٥٦ و١١٤، ٢٧٥، ٣٨٩) وفى (٢--٣٢ و٤٨ و٥٣ و٢٤١ و٢٩٠) وغيرها الإجماع والقول بالإجماع فى مسائل عن أحمد وغيره ومثل هذا التناقض لا يصدر إلا من مثل الناظم وذكر أيضا فى عدة من كتبه فى صدد الرد على من يقول بإجماع الصحابة على وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد أنه لم يرو ذلك عن عشر الصحابة بل عن عشر عشرهم بل عن عشر عشر عشرهم بل لا تطيقون أن ترووه عن عشرين نفساً منهم، وهو يرمى بذلك إلى أن إجماع الصحابة لا ينعقد إلا برواية نص عن مائة ألف صحابي مات عنهم النبى ﷺ.. وهذا تخريف لم يقل به أحد قبل الناظم لأن الظاهرية يكتفون باتفاق فقهاء الصحابة إلا أنهم يكثرون عدد الفقهاء منهم ويبلغون عددهم إلى نحو مائة وخمسين صحابيًا على خلاف الواقع .. ثم يناقض نفسه فيقول فى أعلام الموقعين (٣-٣٧٩): «إن لم يخالف الصحابى صحابيًا آخر فإما أن يشتهر قوله فى الصحابة أو لا يشتهر، فإن اشتهر فالذى عليه جماهير الطوائف من الفقهاء أنه إجماع وحجة وقالت طائفة منهم هو حجة وليس بإجماع، وقالت شرذمة من المتكلمين (من أتباع النظام) وبعض الفقهاء المتأخرين لا يكون إجماعا ولا حجة، وإن لم يشتهر قوله أو لم يعمل هل اشتهر أم لا؟ فاختلف الناس هل يكون حجة أم لا فالذى عليه جمهور الأمة أنه حجة، هذا قول جمهور الحنفية، صرح به محمد بن الحسن وذكر عن أبى حنيفة نصًا وهو مذهب مالك وأصحابه، وتصرفه فى موطئه دليل عليه وهو قول إسحاق بن راهويه وأبى عبيد وهو منصوص الإمام أحمد فى غير موضع عنه واختيار جمهور أصحابه وهو منصوص الشافعى فى القديم والجديد أما القديم فأصحابه مقرون به، وأما الجديد فكثير منهم يحكى عنه فيه أنه ليس بحجة وفى هذه الحكاية عنه نظر ظاهر جدًا ا هـ» ثم ذكر وجه النظر.

وهذا القول هو الصواب لكن الناظم يناقض هذا حينما يؤول كلام أحمد المذكور على خلاف تأويل=

أهل العلم أن الله فوق العرش وابن وهب وحرب الكرمانى وحكى الإجماع ابن أبى زيد والكرجى فى التصنيف الذى شرحه وتفسير عبد بن حميد والنسائى وعثمان الدارمى وابن أصرم وعبدالله بن أحمد والأثرم (وأبو حاتم وابنه ومحمد ابن أبى شيبة) وابن أبى داود وابن أسباط وسفيان وحماد بن زيد وحماد بن سلمة والبخارى والطبرى واللالكائى الشافعى وإسماعيل التيمي والطبرانى والطلمنكى والطحاوى والباقلانى وابن كلاب والطبرى في التفسير والدوانى وابن سريج وأبو الخير العمرانى صاحب البيان وسواهم والله قطاع الطريق أئمة تدعو إلى النيران ما فى الذين حكيت عنهم آنفًا من حنبلى واحد بضمان، بل كلهم والله شيعة أحمد، فأصوله وأصولهم سيان، أتظنهم لفظية جهلية هم أهل العقول فتقذفون أولاء بل أضعافهم من سادة العلماء كل زمان بالجهل والتشبيه والتجسيم والتبديع والتضليل والبهتان، يا قومنا الله فى إسلامكم لا تفسدوه لنخوة الشيطان، يا قومنا اعتبروا بمصارع من مضى في هذه الأزمان لم يغن عنهم كذبهم ومحالهم وقتالهم بالزور والتدليس عند الناس والحكام والسلطان وبدا لهم أنهم على البطلان ما عندهم شكاية ما يشتكى إلا عاجز، لبستم معنى النصوص وقولنا أسأتم الظن بأئمة الإسلام ما ذنبهم ما الذنب إلا للنصوص لديكم إذا جسمت».

انتهى كلام هذا المدبر، وقد تقدم النقل عن مالك رحمه الله بخلاف ما قاله ولكنه اغتر هنا بما رواه الحسن بن إسماعيل الضراب[1] فى كتابه الذى صنفه فى فضائل مالك رضى الله عنه بأسانيده إلى مالك رضى الله عنه أنه أتاه رجل فقال يا أبا عبدالله، الرحمن على العرش استوى، كيف استوى[2] فأمسك عنه مالك حتى

= الجمهور فى (١-٣٣) من أعلام الموقعين وعندما يشذ عن الجماعة فى مسائل كالطلاق ونحوه فى كثير من كتبه ويهون أمر الإجماع بل ينكره ويتابعه الجهلة الأغرار من أبناء الزمن وفى ذلك عبرة بالغة نلفت إليها أنظار المنصفين والحق أن الناظم ليس له أصل يبنى عليه وإنما يلبس لكل ساعة لبوسها كما هو شأن أصحاب الأهواء والله ولى الهداية. والحق أن تكذيب أحمد لمن يدعى الإجماع على تقدير ثبوته عنه لابد من حمله على ادعاء من لم يتأهل لنقل الإجماع فى مسألة وإلا لتناقض كلامه وعمله.

(١) هو أبو محمد محدث مصر المتوفى سنة ٣٩٢. راجع إكمال ابن ماكولا، وأنساب ابن السمعانى، وحسن المحاضرة، والشذرات.

(٢) قال أبو بكر بن العربى فى القواصم والعواصم: المطلوب هنا ثلاثة معان: معنى الرحمن ومعنى استوى ومعنى العرش، فالرحمن معلوم والعرش فى العربية جاء لمعان ولفظ استوى معه محتمل خمسة عشر=

علاه الرحضاء ثم قال: الكيف منه غير معقول والاستواء فيه غير مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة وإنى لأحسبك ضالا، ثم أمر به فأخرج وفى رواية: فإنى أخاف أن يكون شيطانا.

رد المصنف على الناظم فى الفوقية

وهذا الكلام صحيح إن صح عن مالك، فإنه ليس فيه إلا الإيمان بآية استوى على العرش كما نطق به القرآن وأن كيفيته غير معقولة، والسائل عنها ضال مبتدع شيطان، وفى ذلك قطع بأن الاستواء على ظاهره المعلوم عند الناس من أنه القعود، فإن ذلك معقول وليس فيه تصريح بفوقية الذات ولا يلزم من قولنا استوى على العرش أن يكون هو على العرش إلا بعد أن نثبت أن الاستواء هو القعود والجلوس كما فى المخلوق، وجل الله عن ذلك، فهذا الرجل لم يفهم كلام مالك ولا كلام غيره من العلماء الكثيرين الذين حكى عنهم كلهم. وإنما يؤثر عنهم كلام مقتد بالكتاب يراد به معنى صحيح مع التنزيه، وما لا يوهم التشبيه ولا يقتضيه.

روايات الضراب عن مالك

وقد روى الضراب فى هذا الكتاب قال حدثنا عمر بن الربيع ثنا أبو أسامة ثنا ابن أبى زيد عن أبيه عن حبيب[1] كاتب مالك قال: سئل مالك بن أنس عن قول النبى ﷺ (ينزل ربنا تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة)

= معنى فى اللغة، فأيهما تريدون أو أيهما تدعون ظاهراً منهما، ولم قلتم إن العرش ههنا المراد به مخلوق مخصوص فادعيتموه على العربية والشريعة.. فقوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] إن علمنا معناه آمنا قولا ومعنى، وإن لم نعلم معناه قلنا كما قال مالك: الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة، فكيف لو رأى من يفسر تعلقه بالله لا يقال إنه بدعة بل أشد من البدعة عنده، فكيف لو سمع من يقول: إن الله فوقه، فكيف بمن يعين فوقية الذات فكيف بمن يقول إنه يحاذيه ويليه تبًا له ا هـ راجع (٢٤-٢٦) فى الجزء الثانى من الكتاب المذكور. وقد توسع ابن المعلم المحدث فى (نجم المهتدى) فى بيان محتملات الآية الخمسة عشر التى أشار إليها أبو بكر ابن العربى فليراجع هناك.

(١) وعلى روايته فى تفسير النزول عن مالك عول القاضى عياض فى المشارق، وقد تكلم فى حبيب هذا أهل النقد إلا أن مالكا رضى الله عنه كان شديد الانتقاد للرجال وقوله هو القول الفصل فى رجال المدينة فلا يطمئن القلب إلى أن يكون كاتبه وقارئ موطئه على جمهور المتلقين من مالك غير مرضى عنده.

قال: ينزل أمره كل سحر وأما هو فهو دائم لا يزول وهو بكل[١] مكان. وروى الضراب أيضًا فى هذا الكتاب بإسناده إلى عبد الرحمن بن القاسم قال سئل مالك عمن يحدث الحديث الذى قالوا: إن الله خلق آدم على صورته، وان الله؟ يكشف عن ساقه يوم القيامة، وإنه يدخل يده فى جهنم حتى يخرج من أراد، فأنكر ذلك إنكارًا شديدًا ونهى أن يتحدث بها أحد، فقيل له: إن ناسًا من أهل العلم يتحدثون بها، فقال: من هم؟ قيل: ابن عجلان عن أبى الزناد، فقال: لم يكن ابن عجلان يعرف هذه الأشياء ولم يكن عالمًا وذكر أبا الزناد فقال لم يزل عاملاً لهؤلاء حتى مات وكان صاحب عمل يتبعهم، ورواه الضراب أيضًا من طريق ابن وهب عن مالك. وروى أيضًا عن طريق الوليد بن مسلم قال سألت مالكًا والأوزاعى وسفيان وليثا عن هذه الأحاديث التى فيها ذكر الرؤية فقالوا: ارووها كما جاءت؟ فانظر كلام مالك وكلام غيره، لم يصرحوا ولم يبيحوا إلا روايتها لا اعتقاد ظاهرها الموهم للتشبيه ومالك شدد[٢] فى روايتها إلا ما يعلم صحته فيروى مع التنزيه كالقرآن، وهذا النحس وأمثاله يروون فى ذلك الجفلاء لأن لهم بدعة لا يبغون عنها حولاً، وكل هؤلاء الذين نقل عنهم كلامه إما متأول أراد به قائله معنى صحيحًا غير ما أراده هذا المبتدع، وإما مختلق عليه وحقه أن يسير، فمن سمى من

---

(١) وظاهر هذا الكلام غير مراد قطعًا، بل المراد أنه لا يوصف بمكان دون مكان حيث تنزه عن الأمكنة، ومن هذا القبيل ما يروى عن بعضهم أن علمه بكل مكان، وحاشا أن يكون المراد بهما حلول ذاته أو صفته. فى الأمكنة، تعالى الله عما يظن به الجاهلون. وأما قول الترمذى فى حديث لهبط على الله (وفسر بعض أهل العلم هذا الحديث فقالوا: إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه، وقدرته وسلطانه فى كل مكان وهو على العرش كما وصف فى كتابه) فقد تعقبه ابن العربى فى العارضة وقال: إن علم الله لا يحل فى مكان ولا ينتسب إلى جهة، كما أنه سبحانه كذلك لكنه يعلم كل شىء فى كل موضع وعلى كل حال فما كان فهو بعلم الله لا يشذ عنه شىء ولا يعزب عن علمه موجود ولا معدوم، والمقصود من الخبر أن نسبة البارى من الجهات إلى فوق كنسبته إلى تحت إذ لا ينسب إلى الكون فى واحدة منها بذاته اهـ.

وما يرويه سريج بن النعمان عن عبد الله بن نافع عن مالك أنه كان يقول: الله فى السماء وعلمه فى كل مكان. لا يثبت، قال أحمد: عبد الله بن نافع الصائغ لم يكن صاحب حديث وكان ضعيفًا فيه، قال ابن عدى: يروى غرائب عن مالك، قال ابن فرحون: كان أصم أميًا لا يكتب، راجع ترجمة سريج وابن نافع فى كتب الضعفاء وبمثل هذا السند لا ينسب إلى مثل مالك مثل هذا، وقد تواتر عنه عدم الخوض فى الصفات وفيما ليس تحته عمل كما كان عليه عمل أهل المدينة على ما فى شرح السنة للالكائى وغيره.

(٢) بل قال أبوبر ابن العربى فى العارضة: روى عن مالك وغيره أنه إذا روى هذه الأحاديث (أحاديث القبض ونحوه) لو أحد مثل بجارحة قطعت اهـ.

المتأخرين لم يكن له بصر بالحقائق فزل كما زل شيوخ[١] هذا المبتدع وقادته ممن لم يكن قدوة.

فصل

قال: «وسابع عشرها إخباره سبحانه فى القرآن عن موسى، وفرعون أنكر التكليم والفوقية العليا. ولنا مئتا دليل على أنه فوق السماء ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ [النساء: ٦٥] - بالله - هل حدثتكم قط أنفسكم بذا فسلوا أنفسكم عن الإيمان، لكن رب العالمين وجنده ورسوله ﷺ المبعوث بالفرقان هم يشهدون بأنكم أعداء من ذا شأنه أبدًا بكل زمان ولأى شئ كان أحمد[٢] خصمكم أعنى ابن حنبل الرضى الشيبانى ولأى شئ كان أيضًا خصمكم شيخ الوجود العالم الحرانى[٣].

قول اليافعى فى الحشوية

(١) من حشوية الحنابلة قال العفيف اليافعى فى (مرهم العلل المعضلة فى دفع الشبه والرد على المعتزلة) فى الجزء الثالث منه: «ومتأخرو الحنابلة غلوا فى دينهم غلوًا فاحشًا وتسفهوا سفهًا عظيمًا وجسموا تجسيمًا قبيحًا وشبهوا الله بخلقه تشبيهًا شنيعًا وجعلوا له من عباده أمثالاً كثيرة حتى قال أبوبكر بن العربى فى العواصم: أخبرنى من أثق به من مشيختى أن القاضى أبا يعلى الحنبلي كان إذا ذكر الله سبحانه يقول فيما ورد من هذه الظواهر فى صفاته تعالى: «ألزمونى ما شئت، فإنى ألترمه إلا اللحيةوالعورة». قال بعض أئمة أهل الحق وهذا كفر قبيح واستهزاء بالله تعالى شنيع وقائله جاهل به تع الى لا يقتدى به ولا يلتفت إليه ولا متبع لإمامه الذى ينتسب إليه ويتستر به بل هو شريك للمشركين فى عبادة الأصنام، فإنه ما عبد الله ولا عرفه، وإنما صور صنمًا فى نفسه، فتعالى الله عما يقول الملحدون والجاحدون علوًا كبيرًا أهـ».
ومثل ما نقله ابن العربى عن أبى يعلى هذا منقول فى كتب الملل والنحل عن داود الجواربى، تعالى الله عن ذلك.ثم قال اليافعى: «ولقد أحسن ابن الجوزى من الحنابلة حيث صنف كتابًا فى الرد عليهم، ونقل عنهم أنهم أثبتوا لله صورةكصورة الآدمى فى أبعاضها، وقال فى كتابه هؤلاء قد كسوا هذا المذهب شيئًا قبيحًا حتى صار لا يقال عن حنبلى إلا مجسم، قال: وهؤلاء متلاعبون وما عرفوا الله ولا عندهم من الإسلام خبر ولا يحدثون، فإنهم يكابرون العقول وكأنهم يحدثون الصبيان والأطفال، قال:وكلامهم صريح فى التشبيه وقد تبعهم خلق من العوام وفضحوا التابع والمتبوع.. انتهى». والكتاب الذى أشار إليه اليافعى هو (دفع شبه التشبيه) وهو مطبوع فليراجع.

(٢) وإنما خصوم أحمد هم الذين انتموا إليه كذبًا وخالفوه فى التنزيه، وقال الحافظ ابن شاهين (رجلاً صالحان بليا بأصحاب سوء: جعفر بن محمد الصادق وأحمد بن حنبل) رواه ابن عساكر بطريق أبى ذر الهروى راوية الجامع الصحيح يريد الروافض والمجسمة.

(٣) ونحن معاشر أهل الحق لا نبالى بعداء مثله من المبطلين ولا تزال تطن فى آذان رواد الحقائق شواذ ابن تيمية السخيفة باطلاعهم عليها فى مؤلفاته نفسه وفيما رواه ثقات أهل العلم عنه وكلمته فيما رد به=

وبالغ هذا الخبيث فى الإقذاع والسفاهة بما هو صفته ونسى قول فرعون: [كما

= على الرازى فى المجلد رقم ٢٥ من الكواكب الدرارى بظاهرية دمشق حيث قال: «لو شاء لاستقر على ظهر بعوضة فاستقلت به بقدرته فكيف على عرش عظيم» آية من آيات خرقه وحمقه فليصادق من شاء من الخرقى مثله على عدائه لأهل الحق والمراسيم الملكية الصادرة فى حقه بعد محاكمته أمام جماعة كبار العلماء فى عصره مسجلة فى كتب التاريخ وكتب خاصة مثل عيون التواريخ ونجم المهتدى ودفع الشبه وغيرها، ولا بأس أن أسجل هنا صورة منها بالنقل من خط الحافظ شمس الدين بن طولون وهى كما رأيتها بخطه رحمه الله: «نسخة مثال شريف سلطانى ملكى تاريخه ثامن عشرى رمضان سنة ٧٠٥.

أحد المراسيم الصادرة فى حق ابن تيمية

الحمد لله الذى تنزه عن الشبيه والنظير، وتعالى عند المثال فقال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] نحمده على أن ألهمنا العمل بالسنة والكتاب ورفع فى أيامنا أسباب الشك والارتياب، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير ونزه خالقه عن التحيز فى جهة لقوله تعالى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤] ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى نهج سبيل النجاة بما سلك طريق مرضاته وأمر بالتفكر فى آلائه ونهى عن التفكر فى ذاته - ﷺ وعلى آله وأصحابه الذين علا بهم منار الإيمان، رفع وشيد بهم قواعد الشرع وما شرع، وأخمد بهم كلمة من حاد عن الحق ومال إلى البدع. وبعد، فإن العقائد الشرعية وقواعد الإسلام المرعية وأركان الإيمان العلية ومذاهب الدين المرضية هى الأساس الذى يبنى عليه والموئل الذى يرجع كل أحد إليه والطريق الذى من سلكها فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليماً، فلهذا يجب أن تنفذ أحكامها ويؤكد دوامها وتصان عقائد هذه الملة عن الاختلاف وتزان بالائتلاف وتخمد نوائر البدع ويفرق من فرقها ما اجتمع، وكان التقى ابن تيمية فى هذه المدة قد بسط لسان قلمه ومد عنان كلمه وتحدث فى مسائل الصفات والذات، ونص فى كلامه على أمور منكرات وتكلم فيما سكت عنه الصحابة والتابعون وفاه بما تجنبه السلف الصالحون وأتى فى ذلك بما أنكره أئمة الإسلام وانعقد على خلافه إجماع العلماء والحكام، وشهر من فتاويه ما استخف به عقول العباد وخالف فى ذلك فقهاء عصره وعلماء شامه ومصره وبعث برسائل إلى كل مكان وسمى فتاواه بأسماء ماأنزل الله بها من سلطان فلما اتصل بنا أنه صرح فى حق الله بالحرف والصوت والتجسيم، قمنا فى الله مشفقين من هذا النبأ العظيم. وأنكرنا هذه البدعة وعز علينا أن يشيع عمن تضم ممالكنا هذه السمعة، وكرهنا ما فاه به المبطلون، وتلونا قوله سبحانه وتعالى عما يصفون، فإنه جل جلاله تنزه فى ذاته وصفاته عن العديل والنظير ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] وتقدمت مراسيمنا باستدعاء التقى ابن تيمية إلى أبوابنا عندما سارت فتاواه فى شامنا ومصرنا، وصرح فيها بألفاظ ما سمعها ذو فهم إلا وتلا ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] ولما وصل إلينا تقدمنا بجمع أولى العقد والحل وذوى التحقيق والنقل وحضر قضاة الإسلام وحكام الأنام وعلماء الدين، وفقهاء المسلمين وعقدوا له مجلس شرع فى ملأ من الأئمة وجمع، فثبت عند ذلك جميع ما نسب إليه بمقتضى خط يده الدال على سوء معتقده، وانفصل ذلك الجمع وهم عليه وعلى عقيدته منكرون وآخذوه بما شهد به قلمه قائلين ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] وبلغنا أنه استيب مراراً فيما تقدم وأخره الشرع لما تعرض إليه وأقدم ثم عاد بعد منعه ولم تدخل تلك النواهى فى سمعه ولما ثبت عليه ذلك فى مجلس الحكم=

حكى القرآن الكريم] ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] وتجرأ على علماء المسلمين بما لو نقلناه لطال ولا يحتمل الإبطال.

فصل

قال: «وثامن عشرهاتنزيهه سبحانه عن موجب النقصان، فلأى شىء لم ينزه نفسه عن الفوقية».

= العزيز المالكى حكم الشرع الشريف أنه يسجن هذا المذكور ويمنع من التصرف والظهور، ومن يومنا هذا نأمر بأن لا يسلك أحد مسلك المذكور من المسالك، وننهى عن التشبه به فى اعتقاده مثل ذلك، أو يعود له فى هذا القول متبعًا أو لهذه الألفاظ مستمعًا، وأن يسرى فى التجسيم مسراه، أو يفوه بحد العلو مخصصًا كما فاه أو يتحدث إنسان فى صوت أو حرف أو يوسع القول فى ذات أو وصف أو ينطق بتجسيم أو يحيد عن الصراط المستقيم أو يخرج عن رأى الأئمة وينفرد به عن علماء الأمةأو يحيز الله تعالى فى جهة أو يتعرض إلى حيث وكيف، فليس لمن يعتقد هذا المجموع عندنا إلا السيف، فليقف كل واحد على هذا الحد، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وليلزم كل الحنابلة بالرجوع عما أنكره الأئمة من هذه العقيدةوالخروج من هذه التشبهات الشريدة ولزوم ما أمر الله به والتمسك بأهل المذاهب الحميدة، فإنه من خرج عن أمر الله فقد ضل سواء السبيل، وليس له غير السجن الطويل مستقراً ومقيلاً، فقد رسمنا أن ينادى فى دمشق المحروسة والبلاد الشاميةوتلك الجهات مع النهى الشديد والتخويف والتهديد أن لا يتبع التقى ابن تيميةفى هذا الأمر الذى أوضحناه، ومن تابعه منهم تركناه فى مثل مكانه وأحللناه ووضعناه عن عيون الأمة كما وضعناه، ومن أعرض عن الامتناع وأبى إلا الدفاع أمرنا بعزلهم من مدارسهم ومناصبهم واسقاطهم من مراتبهم، وأن لا يكون لهم فى بلادنا حكم ولا قضاء ولا إمامةولا شهادةولا ولايةولا إقامة، فإننا أزلنا دعوة هذا المبتدع من البلاد وأبطلنا عقيدته التى ضل بها العباد أو كاد، ولتثبت المحاضر الشرعية على الحنابلة بالرجوع عن ذلك ولتسير إلينا المحاضر بعد إثباتها على قضاة الممالك، فقد أعذرنا حيث أنذرنا، وأنصفنا حيث حذرنا، وليقرأ مرسومنا هذا على المنابر ليكون أبلغ واعظ وزاجر وأجمل ناه وآمر، والاعتماد على الخط الشريف أعلاه، الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم».

انتهى مارأيته بخط الحافظ ابن طولون فى المجموعة الحسيبية التى كان فيها الدرة المضيةوالمقالة فى الرد على من ينكر الزيارة المحمدية للتقى الأخنائى والاعتبار فى بقاء الجنةوالنار ودفع شبه من شبه وتمرد وغيرها، ونص المرسوم المقروء على الجمهور على منبر جامع القاهرة بعد صلاة الجمعة وعلى منبر جامع الفسطاط بعد العصر سلخ رمضان مدون فى نجم المهتدى لابن المعلم القرشى. وما قرئ على منبر جامع دمشق بعد وصول ابن صصرى القاضى من مصر به فى اليوم السادس عشر من شهر ذى القعدة سنة سبعمائة وخمس مدون فى دفع الشبه للتقى الحصنى وما نقلناه هنا من المراسيم التى قرئت على منابر البلاد الشاميةوألفاظ تلك المراسيم كلها متقاربة فى المعنى وفى ذلك كله عبر بالغة، فماذا علينا من عداء مثل هذا الفاتن المفتون، ومن أحاط علمًا بما نقلناه فى هذا الكتاب وغيره من نصوص عباراته وتأكد من الأصول صدق النقل واستمر على مشايعته وعلى عده شيخ الإسلام فعليه مقت الله وغضبه، ومن اشتبه فى شىء مما نقلناه فنحن على استعداد أن نسهل عليه سبيل الاطلاع على الأصول إن كان لا يكفيه ما يراه بنفسه فى منهاجه ومعقوله ونحوهما من كتبه المطبوعة والله سبحانه هو الهادى إلى سواء السبيل.

فنقول قد قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

فصل

قال: «وتاسع عشرها إلزام المعطل لأى شئ لم يصرح النبى ﷺ بنفى هذا[١]».

ثم استمر هذا السفيه على سفهه.

فصل

قال: «والعشرون نصوص الاستواء[٢] سبع والفوق ثلاث والعلو خمسةوالنزول أكثرمن سبعين نصًا، والسمـاء منفطر به لم يسمح المتأخرون بنقله جبنًا[٣] وضعفًا بل قاله المتقدمون».

(١) ما للنقائص من آخر، فهل تدون مجلدات فى نفى كل نقيصة عنه تعالى بالرواية عن النبى ﷺ وكفى قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] والمحتاج إلى الإثبات هو المثبت دون المنفى، وكلمة هذا الرجل هذا تقول إن الله تعالى مثبت له من النقائص ملايين الملايين مما لم ينص النبى ﷺ على نفيه بلفظ خاص، وهل يقول هذا عاقل فضلاً عن فاضل فضلاً عن إمام يعتقد تابعوه أنه وحيد الأمة فضلاً وعلمًا.

(٢) ألفت نظر القارئ الكريم إلى أن الاستواء لم يذكر فى تلك الآيات إلا بصيغة الفعل المقرونة بأداة التراخى فى بعضها، وذلك نص على أن الاستواء فعل من أفعال الله سبحانه لا صفة ذات له تعالى، وجل الإله أن تحدث لـه صفة بـعد أن لم تكن ومن قـال إنه مستو نطق بما لم يأذن الله به كـائنًا من كان ومـن زاد وقال استوى بذاته بمعنى استقر فهو عابد وثن خيالى إن لم يكن عاميًا.

(٣) وروى الحشوية فى تفسيره ألفاظًا وهى (ممتلئ به) و(مثقلة به) و(مقلة به موقرة) و(ينط من ثقل الذات)وركبوا لها أسانيد فمن أثبت لله سبحانه ثقلاً لم يدع ما لم يفه به فى التجسيم، والناظم استنكر إمساك المتأخرين عن ذلك حتى باح بما فى نفسه، ويحاول شيخه أن يجعل قول كعب الأحبار فى ذلك ما يمكن أن يكون سمعه من الصحابة، فحاشاهم عن ذلك، وفى جزء المنبجى تلميذ الناظم فى هذا الصدد مخاز، ومن علم الحالة العامة عند مبعث النبى ﷺ من عراقة البيئة فى الوثنيةومنازع الأمم المحدقة بها فى التشبيه والتجسيم كما أشرت إلى بعض ذلك فى مقدمة تبيين كذب المفترى لا يصعب عليه معرفةوجه اندساس أعداء الدين بين الجمهور من عهد التابعين لبعث ما عندهم من صنوف الزيغ بين أعراب الرواةوبسطاء مواليهم حتى وجدت تلك الأساطير من يذيعها بين الأمة خلفًا عن سلف، قاتلهم الله، ولولا قيام علماء أصول الدين فى كل قرن بكشف الستار عن وجوه هؤلاء المخذولين لاستفحل أمرهم وله الحمد فى الآخرة والأولى، وهذا الناظم وشيخه قد جددا الكرة بسلاح جديد بتلبيس معتقدهما الزائغ بلباس النظر والتفلسف تارة على طريقة صاحب المعتبر أبى البركات البغدادى اليهودى وبلباس الروايةوالأثر تارةأخرى وأمرهما كما ترى مكشوف مفضوح فى الحالتين بفضل الله وتوفيقه ولا عذر للمنخدعين بهما بعد ما سردناه فى هذا الكتاب.

هذا الرجل كما قال الله تعالى ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧].

فصل

قال: «والحادى والعشرون إتيان رب العرش ومجيئه[١] من أين يأتى لا يأتى إلا من العلو».

ما كفاه إثبات الفوقية حتى أثبت الحركة فى الإتيان.

فصل

فى الإشارة إلى ذلك من[٢] السنة».

نص أحمد فى المجئ

(١) قال ابن حزم: روينا عن الإمام أحمد فى قوله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] إنما معناه وجاء أمر ربك كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ و[النحل: ٢٣] والقرآن يفسر بعضه بعضًا. وهكذا نقله ابن الجوزى فى تفسيره زاد المسير، وقال البيهقى فى مناقب أحمد أنبأنا الحاكم قال حدثنا أبو عمرو بن السماك قال حدثنا حنبل بن إسحاق قال سمعت عمى أبا عبد الله يعنى أحمد يقول: احتجوا على يومئذ -يعنى يوم نوظر فى دار امير المؤمنين -فقالوا تجيئ سورة البقرة يوم القيامة وتجيئ سورة تبارك فقلت لهم إنما هو الثواب قال الله تعالى ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾ [الفجر: ٢٢] إنما تأتى قدرته، وإنما القرآن أمثال ومواعظ. قال البيهقى وفيه دليل على أنه كان لا يعتقد فى المجيئ الذى ورد به الكتاب والنزول الذى وردت به السنة انتقالاً من مكان إلى مكان كمجيئ ذوات الأجسام ونزولها، وإنما هو عبارة عن ظهور آيات قدرته، فإنهم لما زعموا أن القرآن لو كان كلام الله وصفة من صفات ذاته لم يجز عليه المجيئ والإتيان فأجابهم أبوعبد الله بأنه إنما يجيئ ثواب قراءته التى يريد إظهارها يومئذ، فعبر عن إظهاره إياها بمجيئه اهـ.

وقال اليافعى بعد أن ساق ذلك: قال العلماء وقد يقتضى الحذف من التعظيم والتفخيم مالا يقتضيه الذكر، وشواهده من الكتاب كثيرة كقوله تعالى ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المائدة: ٣٣] و﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الأحزاب: ٥٧] وقد أجمع المسلمون على تقدسه تعالى على التأذى والضرر، أى يحاربون عباد الله وأولياءه ويوضحه قوله تعالى ﴿فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُم﴾ [النحل: ٢٦] ليس المراد الإتيان بذاته بالاتفاق وإنما هو أمره ويشهد له قوله تعالى ﴿أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَاراً﴾ [يونس: ٢٤] اهـ. والناظم وشيخه يدعيان الانتماء إلى أحمد ولا يتابعانه فى التنزيه كما رأيت نصوص أهل العلم عن أحمد فلا ينخدعن الموفق بثرثرتهما المفضوحة وتهويلهما المصطنع وإنما ذلك وقاحة منهما قاتلهما الله، ماأجرأهما على الله تعالى.

معنى كتب ربكم على نفسه بيده

(٢) قد أجمع أهل الحق على أنه لا يجوز إثبات صفة الله سبحانه بدون دليل يفيد العلم ولهم فى ذلك أدلة ناصعة قال أبوسليمان الخطابى فى (الناصحة) لا يجوز أن يعتمد فى الصفات إلا على الأحاديث المشهورة التى قد ثبتت صحة أسانيدها وعدالة ناقليها اهـ. ثم أقام النكير على قوم من أهل الحديث تعلقوا برواية=

قال: «لما قضى الله ربنا الخليقة كتبت يداه كتاب ذى إحسان

أين لفظ كتبت يداه؟

قال: ولقد أشار نبينا فى خطبة نحو السماء بأصبع وبنان

تقدم جوابه.

قال: «ولقد أتى فى رقية المرضى نص بأن الله فوق[1] سمائه وخبر رواه العباس أن الله فوق العرش[2].

= المفاريد والشواذ فى الصفات، ونكتفى بهذه الإشارة هنا. ولم يقع كتبت يداه فى الصحيح عند ذكر حديث «سبقت رحمتى غضبى»، وأما ما فى ابن ماجه فبطريق ابن عجلان وقد ضعفه البخارى ولم يكن مالك يرضاه فى الصفات فلا حجة فى رواية مثله على أن لفظه (كتب ربكم على نفسه بيده قبل أن يخلق الخلق رحمتى سبقت غضبى) قال الله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] فكتب إذا تعدى بلفظ على يكون بمعنى أوجب، فيكون معنى الحديث أوجب على نفسه بذاته لا بإيجاب على النفس أحد سواه، واستعمال (بيده) بمعنى بذاته شائع كثير، والإيجاب على النفس بمعنى الوعد والوجوب عن الله لا الوجوب على الله، فليس هناك خط ولا مخطوط، ومن الدليل على ما قلنا أن الخط حادث مخلوق فكيف يتصور أن يكون قبل الخلق خلق فلا تغفل مع الغافلين.

(١) ولفظ الحديث (ربنا الله الذى فى السماء تقدس اسمك) يدور هذا اللفظ بين أن يكون بمعنى أنه تقدم اسمه فى السماء لأن أهل السماء كلهم منزهون بخلاف أهل الأرض وبين أن يكون بمعنى أنه فى السماء واستحالة الثانى تعين الأول والناظم غير اللفظ وادعى أنه نص تحريفًا للكلم على أن فى سنده زيادة بن محمد وهو منكر الحديث والناظم يستدل بالمنكر فى الصفات مع تغيير نص الروايةوالحديث مخرج فى سنن أبى داود.

(٢) فى رواية عبد الرزاق (والله فوق ذلك) ولفظ فوق العرش إنما وقع فى بعض الروايات كما سبق على أن الحديث انفرد به سماك، وشيخه عبد الله بن عميرة لم يدرك الأحنف كما نص عليه البخارى فضلاً عن أن يدرك عباسًا مع كونه مجهول الصفة، وتحسين الترمذى باعتبار أنه مروى عن سماك بطرق لا بمعنى أنه محتج به حيث قال حسن غريب ثم ذكر وقفه عن شريك عن سماك فتكون فى رفعه علة أيضًا، ويحيى بن العلاء فى مسند عبد الرزاق متروك، هكذا تكون حجج الناظم فى السنة لا يبالى أن يكون الحديث من المفاريد أو أن يكون فيه منكر أو مجحهول أو انقطاع. دعنا من تخريج الضياء وقد عرف الناس مذهبه فى الصفات وقال ابن العربى فى العارضة عن حديث الأوعال هذا: وروى غير ذلك ولم يصح شىء منه وإنما هى أمور تلقفت من أهل الكتاب ليس لها أصل فى الصحةوقد روى أن النبى ﷺ أنشد قول أمية بن أبى الصلت:

رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد

ولم يصح اهـ.

واذكر حديث حصين[١] بن المنذر الثقة الرضى أعنى أبا عمران إذ قال: ربى فى السماء لرغبتى ولرهبتى أدعوه كل أوان، فأقره الهادى البشير ﷺ ولم يقل أنت المجسم قائل مكان واذكر شهادته لمن قال ربى فى السماء[٢] بالإيمان وشهادة المعطل

سخف عثمان بن سعيد فى التمسك بحديث حصين فى الفوقية

(١) غلط الناظم فى اسم والد حصين كما يظهر من الكتب المؤلفة فى الصحابة، وإسلام حصين صاحب القصةمختلف فيه ووصفه بالثقة الرضى مطلقًا مجازفةوأقل ما يقال فيه إنه لم يكن ثقة ولا رضى حين المحادثة على تقدير ثبوت الخبر ولسنا فى صدد ا ستقصاء جهالات الناظم ويريد بحديث حصين ما رواه أحمد بن منيع عن أبى معاوية عن شبيب بن شيبة عن الحسن عن عمران بن حصين قال قال النبى ﷺ لأبى: «كما تعبد اليوم إلهًا؟ فقال ستة فى الأرض وواحداً فى السماء، قال: فأيهم تعده لرغبتك ورهبتك؟ قال: الذى فى السماء. قال ياحصين، أما إنك لو أسلمت علمتك كلمتين ينفعانك، فلما أسلم قال يارسول الله علمنى الكلمتين، قال: «قل اللهم ألهمنى رشدى وأعذنى من شر نفسى». وأخرجه عثمان بن سعيد السجزى الدارمى عن ابن منيع إلى «الذى فى السماء» فقط فى كتاب النقض محتجًا به على إثبات الحد والنهايةوالمكان له تعالى حتى قال: فلم ينكر النبى ﷺ على الكافر إذ عرف أن إله العالمين فى السماء فحصين الخزاعى فى كفره يومئذ كان أعلم بالله؟ من المريسى وأصحابه... وقد اتفقت الكلمةمن المسلمين والكافرين أن الله فى السماء وحدوه بذلك.. وكل أحد بالله وبمكانه أعلم من الجهمية اهـ» راجع معقول ابن تيمية فى هامش منهاجه (٢ - ٣٠) تجده ينقل ذلك عنه بنصه وفصه بدون استنكار، والناظم أتبع له من ظله فى كل صغير وكبير ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠] وعثمان الدارمى هذا مجسم قح كما ترى وهو إمام الناظم وشيخه وإسلام عمران بن حصين أيام خيبر وهذه المحادثة وقعت قبل الهجرة وحصين مشرك ولا يكون من التقرير فى شىء ما يشاهده النبى ﷺ فى المشرك وسكت عليه، وكيف يتصور عاقل أنه أقره على ما يدعيه الناظم؟ إذ من المحال أن يقره على ستة فى الأرض، على أن عرضه الإسلام يدل على استنكار ما قاله حصين وعلى أنه كان على شروضلال فيما قال، وشبيب بن شيبة ضعفه النسائى وغيره وبمثل هذا السند لا يستدل فى الأعمال فضلاً عن الاستدلال به فى المعتقد، وأما ماأخرجه ابن خزيمة فى التوحيد فبلفظ آخر زيد فيه كلمةإنقاذاً للموقف لكن فى سنده عمران بن خالد وحاله أسوأ من أن يقال:إنه ضعيف بل هو مكشوف الأمر والروايتان مختلفتان فلا تجمعان ولا تلفقان ولا ينقذ هذا الموقف بمثل ذلك الترقيع، فليتق الناظم رب العالم من أن يسوق فى صفات الله سبحانه أمثال تلك الروايات.

(٢) وليس فى رواية يحيى الليثى عن مالك لفظ (فإنها مؤمنة) فى حديث الجاريةوقد سبق بيان اضطراب هذا الحديث سنداً ومتنًا وعدم صلاحية مثله للاحتجاج إلا فى الأعمال دون المطالب الاعتقاديةوقد حمل الشريف الجرجانى لفظ (أين) فى الحديث على السؤال الاستكشافى، ومن أهل العلم من قال إن العامى الذى يعلو عن مداركه التنزيه عن المكان يؤخذ بالرفق ويعذر لهذا الحديث بخلاف من عنده بعض إلمام بالعلم، وجعل ابن رشد الحفيد لصاحب البرهان شأنًا غير شأن العامى فى ذلك، وقد سبق بسط ذلك كله.

له بالكفران، وحديث(١) الأطيط، وحديث النزول(٢) وحديث(٣) ابن رواحة.
والمعراج(٤) وقريظة(٥)، وصعود الروح(٦) عند الموت.

---

(١) قال الذهبي في كتاب العلو: لفظ الأطيط لم يأت به نص ثابت اهـ. وقد ألف الحافظ أبوالقاسم بن عساكر جزءاً سماه (بيان التخليط في حديث الأطيط) بين فيه وجوه التخليط في روايات الأطيط فلا حاجة لتكلف التأويل بعد ثبوت بطلان تلك الروايات.

(٢) وقد سبق بيان ما فيه كفاية في هذا الصدد فلا نعيد الكلام بدون موجب.

الشعر المنسوب إلى ابن رواحة

(٣) يشير به إلى ما ينسب إلى عبد الله بن رواحة رضي الله عنه من أنه أنشد:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف ... وفوق العرش رب العالمينا

إيهامه لامرأته أنه يتلو القرآن دفعاً لما اتهمته به من نيله جارية له حتى قالت زوجته آمنت بالله وكذبت عيني اهـ وهذه قصة تذكر في كتب المحاضرات والمسامرات دون كتب الحديث المعتمدة ولم ترد في كتب أهل الحديث بسند متصل ولو من وجه واحد وأما ما وقع في الاستيعاب منقول ابن عبد البر (رويناه من وجوه صحاح) فسقط لفظ (غير) فتتابعت النسخ على السهو إذ لم يجد أهل الاستقصاء سنداً واحداً يحتج بمثله في هذه القصة بل كل ما عندهم في هذا الصدد أخبار منقطعة وما يكون في عهد ابن عبد البر مروياً بطرق صحيحة كيف لا يكون مروياً عند من بعده ولو بطريق واحد صحيح؟ وهذا يعين ما قلناه من سقوط لفظ (غير) في الكتاب. ولم يتمكن الذهبي بعد بذل جهده من ذكر سند واحد غير منقطع في القصة وأفعال الصحابة كلها جد، وجل مقدار مثل هذا الصحابي عن أن يوهم صحابية أنه يتلو القرآن بإنشاده الشعر لها. وإيهام كون الشعر من القرآن ليس مما يقر عليه النبي ﷺ فمتن الخبر نفسه يدل على البطلان. على أن الحافظ ابن الجوزي ذكر في كتاب الأذكياء أنه قال:

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... كما انشق مرموق من الصبح ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات أن ما قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

وأين هذا الشعر من ذاك الشعر والحكاية هي هي. ولا مجال لتعدد القصة لأن المرأة لا تخدع بمثل ذاك مرتين.

(٤) نحيل الناظم في حديث المعراج الذي يريد أن يستدل به هنا على ماكتبه هو نفسه في زاد المعاد في الأوهام الواقعة في حديث شريك في المعراج وقد بسط أهل العلم أغلاطه فيه.

حديث بني قريظة

(٥) يعني ما يروى عنه ﷺ أنه قال لسعد بن معاذ حين حكم في بني قريظة بأن يقتل مقاتلهم وتسبى ذراريهم: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبعة أرقعة» وفي سنده النسائي محمد بن صالح التمار ليس بقوي، قال أبوبكر بن العربي في القواصم: لم يصح اهـ. على أن حكم الله يطلع عليه الملائكة باطلاعهم على اللوح المحفوظ فيكون معنى كون حكمه في السماء كون حكمه في اللوح المحفوظ الذي هو في السماء.

(٦) أخرجه أحمد وابن خزيمة وفيه لفظ «حتى تنتهي إلى السماء التي فيها الرب». وليس السند إليهما=

وسخط الله(١) على المرأة التى تهجر زوجها، وحديث جابر فى أهل الجنةإذا بنور(٢) ساطع فإذا هو الرحمن.

وحديث فضل(٣) يوم الجمعة، وأمين(٤) من فى السماء، واذكر حديث أبى رزين(٥) وبطوله ساقه ابن إمامنا والطبرانى وأبوبكر بن زهير واذكر كلام مجاهد

= كالسند إلى الأصول الستة، وقد أعرض عن تخريجه أصحاب الأصول الستةوهذا اللفظ منكر والظاهر أنه من تغيير بعض الرواةوقد أجمع المسلمون على أن الله سبحانه لا تحويه السماء ولا الأرض وأنه منزه عن المكان، قال الخطيب البغدادى فى الفقيه والمتفقه: إذا روى الثقة المأمون خبراً متصل الإسناد بأمور أحدها أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه لأن الشرع إنما يرد بمجوزات العقول وأما بخلاف العقول فلا اهـ. وأما هذا فمخالف للكتاب والسنةوالمعقول فى آن واحد.

(١) ولفظ مسلم «كان الذى فى السماء ساخطًا عليها» وليس فى هذا اللفظ التصريح بما يرمى إليه الناظم، ومثل هذا الحديث من أخبار الأحاد يحمل على المحكمات وليس فى الحديث. ذكر الرب سبحانه وحمله عليه تقول وعلى فرض حمله عليه ليس معنى كونه فى السماء الاستقرار والتمكن فيها باتفاق بل معنى ذلك علو الشأن، كما سبق.

حديث جابر

(٢) أخرجه ابن ماجه بطريق العبادانى و هومنكر الحديث وفضل الرقاشى ممن لا يكتب حديثه وأورده ابن الجوزى فى الموضوعات وأقر الذهبى بكونه ضعيف الإسناد وبمثله يحتج الناظم!.

(٣) غير صالح للاحتجاج بالمرولا سيما فى مثل هذا المطلب ولابن عساكر الحافظ جزء سماه (القول فى جملة الأسانيد الواردةفى حديث يوم المزيد) وبين فيه وجوه الوهى فيها وقال إن لهذا الحديث عن أنس عدة طرق فى جميعها مقال. وفى بعض طرق الحديث ما يخيل إلى الناظر أنه فى احتفاء بأحد رجالات العرب تعالى الله عما اختلقه أعداء الدين وركبوا له أسانيد ما أنزل الله بها من سلطان.

(٤) وهو أمين من فى الأرض من المؤمنين وأمين سكان السماوات كلهم فماذا فى هذا الحديث مما يرمى إليه الناظم.

(٥) سبق الكلام فى حديث أبى رزين، ونود أن نعلم هل كان الناظم يعتقد صحة جميع ما فى كتاب السنة المنسوب إلى عبد الله بن أحمد، فإذا ذاك يسقط التابع والمتبوع وجل مقدار أحمد أن يصح عنه جميع ما فى الكتاب المذكور ومن طالعه من أهل العلم لا يتردد أنه ليس بكتاب يحتج بجميع ما فيه ومن جملة ما فيه: رآه على كرسى من ذهب يحمله أربعة: ملك فى صورة رجل، وملك فى صورةأسد وملك فى صورة ثور وملك فى صور نسر، فى روضة خضراء دونه فراش من ذهب. ومنها: كلمه بصوت يشبه الرعد. ومنها:أوحى الله إلى الجبال أنى نازل على جبل منك، ومنها: أن الرحمن ليثقل على حملة العرش من أول النهار إذا قام المشركون حتى إذا قام المسبحون خفف عن حملة العرش ومنها ﴿السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ﴾ [المزمل: ١٨] مثقل وممتلئ به. ومنها: أنه ليقعد عليه فما يفضل منه إلا قيد أربع أصابع. ومنها فأصبح ربك يطوف فى الأرض.. إلى آخر ما تجده فى النسخة المطبوعة من كتاب السنة. وقوله «نازل على جبل منك» يذكرنا ما أخرجه أبوإسماعيل الهروى فى الفاروق عن كعب: إن الله نظر إلى الأرض فقال إنى واطئ على بعضك فاستبقت له الجبال وتضعضعت الصخرة فشكر لها ذلك فوضع عليها قدمه فقال=

فى قوله تعالى ﴿أقم الصلاة. . .﴾ فى سبحان فى ذكر تفسير المقام لأحمد[1] إن كان تجسيمًا، فإن مجاهدًا هو شيخهم بل شيخه الفوقانى ولقد أتى ذكر الجلوس به».

هذه الأحاديث كلها قد ذكرها الأئمة وذكروا تأويلاتها من قديم الزمان وإلى الآن.

= هذا مقامى... اهـ. وهذا الهروى المخرف يروى فى ذم الكلام عن بعض قادته أنه لا تحل ذبائح الأشعريةلأنهم ليسوا بمسلمين ولا بأهل كتاب اهـ والله ينتقم منه. وأما الطبرانى فمن المعروف عند أهل النقد أنه من الذين يروون الحديث الموضوع والضعيف بدون بيان كونه موضوعًا أو ضعيفًا بل ينسب إليه تصحيح حديث عكرمةفى الرؤية على صورة شاب أمرد... فلا حب ولا كرامة.

(١) مروى عنه بطرق ضعيفة وتفسيره بالشفاعة متواتر معنى عن النبى ﷺ فأنى يناهضه قول تابعى على تقدير ثبوته عنه؟ ومن يقول إن الله سبحانه قد أخلى مكانًا للنبى ﷺ فى عرشه فيقعده عليه فى جنب ذاته فلا - نشك فى زيغه وضلاله واختلال عقله رغم تقول جماعة البربهارية من الحشوية وكم آذوا ابن جرير حتى أدخل فى تفسيره بعض شىء من ذلك مع أنه القائل:

سبحان من ليس له أنيس ولا له فى عرشه جليس

ولو ورد مثل ذلك بسند صحيح لرد وعد أن هذا سند مركب فكيف وهو لم يرفع إلى النبى ﷺ أصلاً بل نسب إلى مجاهد بن جبر، نعم لا مانع من أن يكون الله سبحانه يقعده على عرش أعده لرسوله ﷺ فى القيامة إظهارًا لمنزلته لا أنه يقعد ويقعده فى جنبه، تعالى الله عن ذلك. إذ هو محال يرد بمثله خبر الآحاد على تقدير وروده مرفوعًا فكيف ولم يرد ذلك فى المرفوع حتى قال الذهبى: لم يثبت فى قعود نبينا ﷺ على العرش نص بل فى الباب حديث واه. وقال أيضًا، ويروى مرفوعًا وهو باطل فما ذكره ابن عطية من التأويل وسايره الآلوسى فليس فى محله لأن أصحاب الاستقراء لم يجدوه مرفوعًا حتى نحتاج الى محاولة التأويل بما يمجه الذوق ومن ظن أنه يوجد فى مسند الفردوس ما يصح فى ذلك لم يعرف الديلمى ولا مسنده وأرسل الكلام جزافًا. جزى الله الواحدى خيرًا حيث رد تلك الأخلوقة ردًا مشبعًا وكذا ابن المعلم القرشى وأما ما يروى عن أبى داود أنه قال من أنكر هذا الحديث فهو عندنا متهم. فبطريق النقاش صاحب شفاء الصدور وهو كذاب عند أهل النقد وقال ابن عبد البر إن لمجاهد قولين مهجورين عند أهل العلم أحدهما تأويل المقام المحمود بهذا الإجلاس والثانى تأويل ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٣] بانتظار الثواب. وفتنة أبى محمد البربهارى ببغداد فى الإقعاد وصمة عار يأبى أهل الدين أن يميلوا إليها لاستحالة ذلك وتضافر الأدلة على تفسير المقام المحمود بالشفاعة وإنماهذه الأسطورة تسربت إلى معتقد الحشوية من قول بعض النصارى بأن عيسى عليه السلام رفع إلى السماء وقعد فى جنب أبيه، تعالى الله عن ذلك فحاولوا أن يجعلوا للنبى ﷺ مثل ما جعله النصارى لعيسى عليه السلام كسابقة لهم، تعالى الله عن ذلك، فعليك أن تتهم من يقول إنى أتهم من ينفى حديث الإقعاد فى جنب الله عز وجل.

«فصل»

بحث ممتع فى التأويل

فى جناية التأويل[1] على ماجاء به الرسول».

---

(١) من كلام العرب ما يفهم منه مراد المتكلم بمجرد سماعه بدون احتياج إلى التدبر ومنه ما لا يفهم المراد منه إلا بعد التأمل فيما يؤول إليه ذلك الكلام والتأويل تبيين ما يؤول إليه الكلام بعد التدبر فمن نفى التأويل جملة وتفصيلاً فقد جهل الكتاب والسنة ومناحى كلام العرب فى التخاطب . وأبو يعلى الحنبلى المسكين – من أئمة الناظم – ألف كتابًا سماه (إبطال التأويلات فى أخبار الصفات) أتى فيه بكل طامة حتى قال عنه أبو محمد رزق الله التيميمى الحنبلى: لقد بال أبو يعلى على الحنابلة بولة لا يغسلها ماء البحار. كما ذكره سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان، ولفظ ابن الأثير فى الكامل أفظع وأما لفظ ابن الجوزى فى دفع الشبه فرواية بالمعنى، وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزى الحنبلى فى دفع شبه التشبيه كثيراً من مخازيه فى تأسيس ابن تيمية نقول كثيرة من كتاب (إبطال التأويلات) منها إثبات الحد له تعالى من الجانب الأسفل، تعالى الله عن ذلك. ويأسف الإنسان كل الأسف أن يضل مثل أبى يعلى هذا الضلال وما ذلك إلا من عدوى خلطائه، فلو كان والده الذى كان من أخص أصحاب أبى بكر الرازى الجصاص رأى ما آل إليه أمر ابنه اليتيم عنه لبكى بكاء مرًا وتبرأ منه ومن عقائده. ومما زاد فى ويلات الكتاب اعتداده بكل خبر غير مميز ممن بين المختلق وغيره. ولأبى يعلى هذا كتاب المعتمد فى المعتقد وهو قريب إلى السنة ،نرجوا أن يكون هذا آخر مؤلفاته ليكون قاضيًا على ما سلف منه وإلا فيا للعار والنار من مسايرة الأشرار، فمن أول فى كل موضع فهو قرمطى كافر، ومن أبى التأويل فى كل آية وحديث فهو حجرى زائغ كابن الفاعوس الحنبلى الذى لقب بالحجرى حيث كان يقول إن الحجر الأسود يمين الله حقيقة قال أبو بكر بن العربى عن الظاهرية:

قالوا الظواهر أصلا لا يجوز لنا ... عنها العدول إلى رأى ولا نظر

بينوا عن الخلق لستم منهم أبدًا ... ما للأنام ومعلوف من البقر

وقد قال ابن عقيل الحنبلى «هلك الإسلام بين طائفتين: الباطنية والظاهرية والحق بين المنزلتين وهو أن نأخذ بالظاهر ما لم يصرفنا عنه دليل ونرفض كل باطن لا يشهد به دليل من أدلة الشرع» وللغزالى جزء لطيف سماه قانون التأويل وهو يقول فيه عند البحث فيما إذا كان بين المعقول والمنقول تصادم فى أول النظر وظاهر الفكر : «والخائضون فيه تحزبوا إلى مفرط بتجريد النظر إلى المنقول وإلى مفرط بتجريد النظر إلى المعقول وإلى متوسط طمع فى الجمع والتلفيق والمتوسطون انقسموا إلى من جعل المعقول أصلاً والمنقول تابعًا وإلى من جعل المنقول أصلاً والمعقول تابعًا وإلى من جعل كل واحد أصلاً»: ثم شرح هؤلاء الأصناف الخمسة شرحًا جيداً لا يستغنى عنه باحث، حفظنا الله سبحانه من الإفراط والتفريط وسلك بنا سواء السبيل وفى الاطلاع على جزء الغزالى هذا فوائد فى هذا الصدد.

قول ابن حجر فى التأويل

وأما قول ابن حجر فى فتح البارى: «إنه لم ينقل عن النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم ولا عن أحد من الصحابة بطريق صحيح التصريح بوجوب تأويل شىء من ذلك – يعنى المتشابهات – ولا المنع من ذكره ومن المحال أن يأمر الله نبيه ﷺ بتبليغ ما أنزل إليه ربه وينزل عليه ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾=

فذكر أن التأويل أصل كل بلية ثم قال: «والتأويل الصحيح هو تفسيره وظهور

= [المائدة: ٣] ثم يترك هذا الباب فلا يميز ما يجوز نسبته إليه تعالى وما لا يجوز مع حثه على التبليغ عنه بقوله ﷺ (ليبلغ الشاهد الغائب) حتى نقلوا أقواله وأفعاله وأحواله وما فعل بحضرته فدل على أنهم اتفقوا على الإيمان بها على الوجه الذى أراده الله تعالى منها ووجب تنزيهه عن مشابهة المخلوقات بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] فمن أوجب خلاف ذلك بعدهم فقد خالف سبيلهم وبالله التوفيق اهـ».

فليس مما يستطيع الحشوى أن يتخذه سنداً فى ترويج مزاعم المشبهة - رغم محاولة بعضهم ذلك لأن فى سياق كلامه ما يحتم التفويض مع التنزيه وهو مذهب جمهور السلف وليس أحد من أهل العلم يمنع من إجراء المتشابه فى الكتاب والسنة المشهورة على اللسان بدون خوض فى المعنى فمن خاض وحمل على ما ينافى التنزيه فهو الذى خالف سبيلهم، بل الصحابة كلهم أجمعوا على تنزيه الله سبحانه عن مشابهة المخلوقات فى ذاته وصفاته وأفعاله ومن ضرورة ذلك صرف الألفاظ المستعملة فى الخلق عن معانيها المتعرفة بينهم إلى معان تتسامى عنها عند نسبة تلك الألفاظ إلى الله سبحانه على مقتضى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وهو تأويل إجمالى وأما تعيين تلك المعانى المتسامية تفصيلاً بقرائن قائمة فمما يختلف مبلغ انتباه أهل العمل إليه على اختلاف ما آتاهم الله من الفهم فمن بان له وجه الكلام كوضح الصبح يسلك طريق التبيين بل يدخل هذا المتشابه فى حقه فى عداد المحكم - وذلك كالنظرى بالنسبة إلى الحدسى وكم من نظرى مستصعب عند أناس يكون حدسيًا مكشوفًا عند أناس آخرين - فأحاديث النزول مثلاً إبعادها عن معان توجيه التشبيه والنقلة موضع اتفاق بين أهل الحق سلفًا وخلفًا وحملها على المجاز فى الطرف أو على الإسناد المجازى استعمال عربى صحيح وموافق للتنزيه وقد يترجح عند بعضهم الأول وعند بعضهم الثانى، ولكن الذى صح عنده رواية الإنزال أو اطلع على صحة حديث أبى هريرة فى سنن النسائى (إن الله عز وجل يمهل حتى يمضى شطر الليل ثم يأمر مناديًا يقول هل من داع فيستجاب له) يجزم بإرادة الإسناد المجازى فى باقى الروايات فيخرج حديث النزول فى نظره من عداد المتشابه ويدخل فى عداد المحكم حيث رده إليه.

تحقيق ابن دقيق العيد

قال الإمام المجتهد ابن دقيق العيد: «إن كان التأويل من المجاز البين الشايع فالحق سلوكه من غير توقف. أو من المجاز البعيد الشاذ فالحق تركه، وإن استوى الأمران فالاختلاف فى جوازه مسألة فقهية اجتهادية والأمر فيها ليس بالخطر بالنسبة للفريقين اهـ».

وهذا كلام نفيس جداً ينبئ عن علم جم، وصراحة فى بيان الحق، وتوسط حكيم بخلاف كلام الذين يسعون فى إرضاء الطوائف بكلام معقد متشابه يفتح باب التقول لمن يعدهم من الزائغين فى المتشابهات، وأين هؤلاء من ابن دقيق العيد فى التروى والأمانة والصراحة والتحقيق والجمع بين الأصلين والفقه والحديث؟. وعن ابن دقيق العيد هذا يقول ابن المعلم: (كان مبارزاً لأهل البدع من الحشوية والصوتية والقائلين بالجهة... منكراً عليهم بيده ولسانه ولفظه وجنانه يغرى ويؤلب عليهم ولا يدع لهم رأسًا قائمة إلا اقتطعها ولا شجرة يخشى شرها إلا اقتلعها) فتبين من ذلك أن المسلم فى سعة من التفويض والتأويل فالأول فى حينه أسلم والثانى بشرطه أحكم فلا يتصور أن ينقل التصريح بوجوب التأويل التفصيلى عن الصحابة لأنه لو نقل لوجب التأويل التفصيلى على العالم والجاهل على حد سواء وهذا مما يبرأ منه=

معناه كقول عائشة يتأول القرآن وحقيقة التأويل معناه الرجوع إلى الحقيقة لا خلف

= الشرع الحنيف.

صنيع الصحابة فى التأويل

وقد كانت الصحابة رضى الله عنهم لا يخوضون فى المعضلات حرصًا منهم على معتقد الذين قرب عهدهم بالجاهلية وتدريبًا لهم على الأعمال النافعة دون المماحكات الفارغة، لأن الخوض فيها يضر ولا ينفع فى شخص دون شخص فى وقت دون وقت - وعمل الفاروق رضى الله عنه فى صبيغ معروف - ولم يتقاعس الصحابة عن الإجابة عند حدوث ضرورة كما فعل ابن عباس رضى الله عنهما مع نافع بن الأزرق فلا يكون المؤول بشرطه مخالفًا للصحابة رضى الله عنهم بل مقتديًا بهم، وقد سرد المحدث النظار الفخر بن المعلم القرشى الشافعى فى (نجم المهتدى) فى باب خاص منه نماذج كثيرة من التأويلات المروية عن الصحابة والتابعين وقد اكتظت كتب التفسير بالرواية بما روى عنهم فى هذا الصدد، وكانت الصحابة يفهمون بسليقتهم كلام الله وكلام رسوله ﷺ ولم يكن يصعب عليهم فهم ما يستعصى فهمه على كثير ممن تأخر زمنه عن زمن الوحى، ولم يقع فى كلام أحد منهم شىء ينافى التنزيه أصلاً وأما ما وقع فى بعض الروايات مما يوهم ذلك تغيير أعراب الرواة وأعاجمهم والرواية بالمعنى من غير فقهاء الرواة فى حاجة إلى التنقيب والنظر وحيث كان غالب الروايات ألفاظ الرواة - على حسب فهمهم المعانى - لا يعول محققو علماء العربية فى اللغة على ألفاظ الحديث المروى بالمعنى فكيف يتصور أن يتخذ علماء أصول الدين ألفاظ هؤلاء الرواة -على حسب أفهامهم - حجة فى دين الله من غير نظر فيما إذا كان مخالفًا للتنزيه والبراهين القائمة؟. والحاصل أن التفويض مع التنزيه مذهب جمهور السلف لانتفاء الضرورة فى عهدهم والتأويل مع التنزيه مذهب جمهور الخلف حيث عَنّ لهم ضرورة التأويل لكثرة الساعين فى الإضلال فى زمنهم، وليس بين الفريقين خلاف حقيقى لأن كليهما منزه ومن أهل العلم من توسط بين هؤلاء وهؤلاء كما أشرت إليه.

وأما المشبهة فتراهم يقولون : نحن لا نؤول بل نحمل آيات الصفات وأخبارها على ظاهرها. وهم فى قولهم هذا غير منتبهين إلى أن استعمال اللفظ فى الله سبحانه بالمعنى المراد عند استعماله فى الخلق تشبيه صريح وحمله على معنى سواه تأويل على أن الأخبار المحتج بها فى الصفات إنما هى الصحاح المشاهير دون الوحدان والمفاريد والمناكير والمنقطعات والضعاف والموضوعات مع أنهم يسوقون جميعها فى مساق واحد فى كتب يسمونها التوحيد أو الصفات أو السنة أو العلو أو نحوها.

اضطراب الحشوية

ومن الأدلة القاطعة على رد مزاعم الحشوية فى دعوى التمسك بالظاهر فى اعتقاد الجلوس على العرش خاصة قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ١٨٦] وقوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] وقوله تعالى: ﴿وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩] وقوله تعالى: ﴿أَلا إِنَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] إلى غير ذلك مما لا يحصى فى الكتاب والسنة المشهورة مما ينافى الجلوس على العرش وأهل السنة يرونها أدلة على تنزه الله سبحانه عن المكان كما هو الحق فلا يبقى للحشوية أن يعملوا شيئًا إزاء أمثال تلك النصوص غير محاولة تأويلها مجازفة أو العدول عن القول بالاستقرار المكانى فأين التمسك بالظاهر فى هاتين الحالتين؟.

وهكذا سائر مزاعمهم على أن من عرف أقسام النظم باعتبار الوضوح والخفاء وأقر بكون آيات=

....

= الصفات وأخبارها من المتشابه كيف يتصور فى هذا المقام ظاهراً يحمل المتشابه عليه؟وإنما حقه أن يحمل المتشابه فى الصفات على محكم قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] بالتأويل الإجمالى ومن الحشوية من يزعم أن الآية المذكورة متشابهة ليتنكب الحمل المذكور، بل منهم من بلغ به الكفر إلى حد أن يقول (له ساق كساقى هذه والمراد بالآية نفى المماثلة فى الإلهية لا فى كل أمر) كما تجد ذلك فى ترجمة العبدرى الظاهرى فى تاريخ ابن عساكر. وهذا كفر بواح، فتلاوة المشبه الآية المذكورة لا تفيد بمجردها التنزيه بالمعنى الذى يفهمه أهل الحق من الآية فلا تغفل ولا تنخدع فمن المضحك المبكى تمسكهم مرة فى نفى العلم بالتأويل بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٧] باعتبار الوقف على الاسم الكريم مع دعوى الحمل على الظاهر، وزعمهم أخرى أن التأويل بمعنى التفسير مع الوقف على ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٧] مدعين أنهم يعلمون تأويل المتشابه باعتبار أنهم من الراسخين فى العلم ومجترئين على النطق بكلمات فى المتشابهات لا ينطق بمثلها من يخاف مقام ربه، وأما أهل الحق فلا يدعون معرفة جميع التأويل بل يفوضون علمه إلى الله ويردون المتشابه إلى المحكم جملة وتفصيلاً ولا يحملون لفظ التأويل فى تلك الاية على خلاف معناه المعلوم من السياق بل يحمل بعض المحققين منهم النفى فى الآية - بالوقف على لفظة ﴿اللَّهُ﴾ كما هو المؤيد دراية ورواية.. على سلب العموم دون عموم السلب بالنظر إلى أن التأويل مصدر مضاف فيكون من ألفاظ العموم فبانصباب النفى على العموم يكون المعنى: ما يعلم غيره تعالى بنفسه جميع التأويل وهذا لا يمانع معرفة الرسول ﷺ جميع التأويل بتعليم الله سبحانه وحيًا ولا يمنع أهل العمل من الأمة من السعى فى معرفة ما دون الجميع من التأويل كما هو حكم رفع الإيجاب الكلى، ومنهج كثير من السلف الذين اختاروا الوقف على لفظة ﴿اللَّهُ﴾ فضلاً عن الخلف وبهذا تعرف قيمة ما أطال به ابن تيمية الكلام فى تفسير سورة الإخلاص متظاهراً بالمسايرة مع الخلف مخادعة منه فى صدد توهين الوقف على لفظة ﴿اللَّهُ﴾مع إخراج التأويل عن معناه ليتمكن من حمل المتشابهات على معتقد الحشوية، فإذا تدبرت كلامه الطويل هناك تحت نور هذا البيان تجده يضمحل ويذهب هباء ومن الطريف تأويل التأويل ممن ينكر التأويل ويدعى الأخذ بالظاهر.

ثم إنى أوصى الشحيح بدينه ألا يلتفت إلى كلام مثل البرهان الكورانى (وله أمثال) ممن ضاع صوابه بين نزعات متضاربة من حشوية وتصوف وفلسفة وكلام حيث أطلق عنان الهذيان فى التلفيق بينها من غير أن يستبحر فى علم منها والكلام بعد الاستطراف المجرد موقع فى التخريف ومصداق ذلك فى (الأمم لإيقاظ الهمم) له فى (ص ٢٣- ٢٦) منه فما يرويه فيه عن كتب تنسب إلى الأشعرى على خلاف ما هو مدون فى كتب أصحابه وأصحاب أصحابه ليس بموضوع تعويل لمنافاته لنقل الكافة ولإبادة الحشوية لكتبه فى فتن بغداد ولتصرفهم فى البقية الباقية التى يذيعونها بما يخالف نقل الكافة ولعدم روايتها سماعًا بطريق أهل السنة، كما بينت ذلك فى موضوع آخر. وأما ما يرويه عن عبد الغنى المقدسى بسنده عن الشافعى من الاعتقاد فباطل موضوع وفى سنده العشارى وأبو العز بن كادش وسيأتى حالهما فى أواخر الكتاب وعبد الغنى نفسه ليس ممن يقبل قوله فى الصفات، راجع ذيل الروضتين. فلا يعول على مثل هذا السند إلا مثل الكورانى.

التجلى فى الصور

وقول الكورانى بالتجلى فى الصور مجون فى مجون وجنون ليس فوقه جنون، وقال أبو بكر العربى فى=

بين أئمة التفسير فى هذا، تأويله هو عندهم تفسيره بالظاهر[١] ما قال منهم قط شخص واحد تأويله صرف عن الرجحان ولا نفى الحقيقة».

قال الله تعالى فى المتشابه ﴿ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧] فكيف يكون تأويله تفسيره بالظاهر والمتشابه لا ظاهر له وقوله ما قال منهم أحد أن التأويل صرف عن الرجحان: كذب بل خلق قالوا ذلك ويطلق التأويل أيضًا على تدبر القرآن وتفهم معناه.

«فصل»

فيما يلزم مدعى التأويل»

ثم قال: «دليل صارف واحتمال اللفظ وتعيين المقصود»

هذا كثرة كلام فى أمر سهل مفروغ منه.

= القواصم والعواصم (٢-٢٨) فيمن يحمل حديث (... فيأتيهم فى صورة ثم يأتيهم فى صورة أخرى...) على التبدل والانتقال والتحول: إنه ليس من أهل القبلة بل حكم بخروجه أصلاً وفرعًا من الملة. وحمل الصورة على ظاهرها فضيحة ليس فوقها فضيحة.. والله هو الهادى.

(١) وحمل التأويل على معنى التفسير فى باب المتشابهات تحريف للكلم عن مواضعه وملاحظة ظاهر للمتشابه جهل يأباه كثير من العامة فضلاً عن الخاصة وقد رضى الناظم لنفسه بهذا الجهل وأنى يتصور ظاهر فى متشابه؟ فالظاهر فى اللغة يقابل الخفى فلا يتصور حيث لا يكون المدلول عليه واضحًا فلا يعقل أن يلاحظ هذا المعنى فى المتشابه الذى هو غاية فى الخفاء، وأما فى أصول الفقه فهو بمعنى الراجح من الاحتمالين بالوضع أو بالدليل وهو من أقسام الوضوح المقابل للخفاء الذى من أقسامه المتشابه فلا يتصور اجتماعهما فى لفظ ويطلق الظاهر أيضًا على ما يدل على المراد بإحدى الدلالات المعتبرة عند أهل اللسان فيكون مقابلاً للباطن الذى ابتدعه القرامطة، ولا شأن لهذا المعنى فى هذا المبحث، وقد يطلق الظاهر بمعنى المستفيض المشهور وهو مراد من يقول من أهل السنة (بإجراء أخبار الصفات على ظاهرها) حيث يريد إجراء اللفظ المستفيض عن النبى ﷺ فى صفات الله على اللسان كما ورد مع التفويض أو التأويل على ما سبق، وهذا المعنى هو المراد فى قول الفقهاء (هذا ظاهر الرواية) يعنون أنه المروى عن صاحب المذهب بطريق الاستفاضة والشهرة. وفيما علقت على الاختلاف فى اللفظ (ص ٤٥): «أما ما يروى عن بعض السلف من إجراء أحاديث الصفات وإمرارها على ظاهرها فليس بمعنى الظاهر المصطلح فى أصول الفقه الذى يبقى حين ترجح الاحتمال الآخر بالدليل كالنجم عند شروق الشمس ولا بمعنى ما يظهر للعامة من اللفظ بل بالمعنى المقابل للغريب الذى ينفرد بلفظه راو فى إحدى الطبقات فيكون بمعنى تجويز إمرار اللفظ على اللسان وإجرائه عليه إذا كان اللفظ مرويًا بطريق الظهور والشهرة فى جميع الطبقات كما وقع إطلاق الظاهر بهذا المعنى فى كلام الإمام مالك رضى الله عنه وغيره وقد يغالط بعضهم فى ذلك فيُضل ويَضل فلزم التنبيه على ذلك اهـ».

«فصل»

«فى طريقة ابن سينا[١] وذويه من الملاحدة فى التأويل».

ذكر ابن سينا والملاحدة هنا للتنفير وإلا لما جاء بابن سينا والملاحدة معنا.

قال: «ويقول تأويلى كتأويل الفوقيةوالصفات والعلو تأويله أشد من تأويل القيامةوحدوث العالم».

ليس مقصود هذا الناظم إلا أن يفظع مقالات خصومه من الفقهاء وأهل العلم ويجعلها فى قلوب العامة أقبح من مقالات الفلاسفة لتشتد نفرتهم عنها واندفع فى مخارق وسفه ودعاوى لا حقيقة لها.

«فصل»

قال: «هذا وثَمَّ بلية مستورة ورث المحرف من اليهود وأنى إلى حزب الهدى وأعطاهم شبه اليهود قال استوى استولى وذا من جهله عشرون[٢] وجهًا تبطله أفردت بتصنف تصنيف حبر عالم ربانى وشبه النون التى زادتها اليهود فى حطة بلام تعطيل الجهمية».

وهذا من الخرافات.

تبديع الفلاسفة وإكفارهم

(١) ذكر الغزالى مخالفته لما عليه أهل الحق فى نحو عشرين مسألة أكفره بثلاث منها وبدعه فى الباقى فى كتاب التهافت فقدم العالم وإنكار الحشر الجسمانى ومسألة العلم بالجزئيات هى المكفرات عنده لكن الناظم وشيخه قائلان بالقدم النوعى ولا يقولان بإعادة الأجزاء المعدمة بل ولا بجمع الأجزاء المفرقة -راجع تفسير سورة الإخلاص لشيخه - وقولهما فى العلم بالمتجددات معروف - راجع ما سننقله من مفردات ابن تيمية من ذخائر القصر - فهما من أوقع الناس فى شبكة التفلسف عن جهل، على أن أقوال ابن رشد فى تهافت التهافت ومناهج الأدلة وقول الرازى فى المطالب العالية وقول الدوانى فى شرح العضدية مما يثير اهتمام الباحث بتلك المسائل. وقد صرح ابن سينا فى بعض كتبه بأن العقل لا يدرك غير الحشر الروحانى وأما البعث الجسمانى فطريق معرفته وحى الرسل وليس فى هذا إنكار للبعث الجسمانى.

(٢) وقد سبق إبطال جميع تلك الوجوه، والمصنف ذكر فيما سبق وجه حسن استعمال استوى مجازاً عن استولى بحيث لا يدع لقائل مقالاً، على أن الاستعارة التمثيلية فى هذا المقام أقعد وأوقع فيكون المجاز على هذا التقدير فى المركب دون أن يسرى فى مفرداته كما هو مدون فى محله وقد أشرت إلى اختيار ذلك فيما علقته على الاختلاف فى اللفظ لابن قتيبة (ص٤١).

«فصل»

قال: «ومن العجائب قولهم فرعون مـذهبه العلو وفرعون قال إن موسى كاذب إذ ادعى فوقية الرحمن».

أين ادعى موسى فوقية الرحمن؟.

«فصل»

قال: «تركيب استوى مع حرف الاستعلاء نص فى العلو بوضع كل لسان».

نص فى العلو أمـا فى الذات فلا، فـقـولك: استـوى قيس على العـراق. لا يستلزم أن يكون إذ ذاك فى العراق بل ملكه فيها وعليها.

«فصل»

كله دعاوى وفقاقيع فارغة.

«فصل»

فيه إنكار المجردات[1].

«فصل»

سوى فيه بينهم وبين المنـافين والقرامطة وجعل المجسمة مقـابل الجميع، وأن ما ثَم إلا التجسيم أو التعطيل وقد تقـدم مثله، وإنما زاد التكرير والتفظيع ليزرع الريبة فى القلوب.

«فصل»

قال: «الاستواء ونحوه والمشيئة ونحـوها كلاهما من صفات الأجسام - وطلب الفرق بينهما - والله لو نشرت شيوخك كلها لم يقدروا أبدًا على فرقان».

تجرد الروح

(١) القـول بتـجـرد الروح مما ذهب إلـيـه إمـام الهـدى أبو منصـور الماتريدى والحليـمـى والراغب والغـزالى والبيـضاوى وغيـرهـم من كبار علـماء السنة وبه يزول كثـير من الإشكالات، وإن خفـيت أدلة ذلك على جمهور المتكلمين فضلاً عن مكسرى الحشوية.

انظر هذا الجلف الجارى على ما لا يعلم، وكل عاقل يعلم أن الاستواء بمعنى القعود أقرب إلى صفات الأجسام من المشيئة والقدرة.

قال «قال زعيمهم فى الفرق هذه الصفات بالعقل والقرآن فيقال إن نفى العقل التجسيم فانفوها وانسلخوا من القرآن وإن أثبته فلم الفرار؟ وإن نفاه فى وصف وأثبته فى وصف فما الفرق؟.

انظر هل بعد هذا الكلام شىء فى التجسيم(١)؟.

«فصل»

كله سفاهة.

«فصل»

حكى مذاهب خصومه بأقبح ما يكون ثم قال: «جربت هذا كله ووقعت فى تلك الشباك وكنت ذا طيران حتى أتاح لى الإله بفضله من ليس تجزيه يدى ولسانى حبر أتى من أرض حران فيا أهلا بمن قد جاء من حران(٢)».

نص من ابن تيمية فى الحد والجسم

(١) وشيخه أصرح منه وأجهر صوتًا فى ذلك حيث يقول فيما رد به على أساس التقديس: «ومن المعلوم بالاضطرار أن اسم الواحد فى كلام الله لم يقصد به سلب الصفات - يريد ما يشمل المجىء ونحوه - ولا سلب إدراكه بالحواس ولا نفى الحد والقدر ونحو ذلك من المعانى التى ابتدع نفيها الجهمية وأتباعهم، ولا يوجد نفيها فى كتاب ولا سنة ا هـ». وهذا صريح جداً لعلك لا تحوجنى إلى شرح ذلك، راجع الكواكب الدرارى لابن زكنون الحنبلى المحفوظ بظاهرية دمشق ففى المجلد رقم ٢٤ و ٢٥ و٢٦ منه رده على أساس التقديس وفيه فوق ما تقدم التصريح بأنه يمكنه التزام قدم بعض الأجسام يريد البارى سبحانه فهل يتصور أن ينطق مبتدع مارق بأصرح من هذا فى وسط المسلمين والناظم متقلد مذهبه بدون تفكير والله سبحانه ينتقم منهما بما أثارا من الفتن بين العوام.

(٢) وكم أضل من خلطائه ولهم معه موقف يوم القيامة لا يغبط عليه وهو الذى جاهر بقيام الحوادث بذاته تعالى - بعزو ذلك إلى أئمة أبرياء من مثل هذا الإلحاد - وبالقدم النوعى، وبالجهة والحركة والثقل وتجويز الجسمية والاستقرار فى جانب الله سبحانه مع التطاول على كثير من الأئمة والشذوذ عما عليه جمهور أهل العلم فى كثير من المسائل الفرعية، والرد على كبير العلماء وصغيرهم حتى الصحابة وتلبيس ذلك بمذهب السلف خيانة وكذبًا، ومما يجب التنبه إليه أن من وجوه تحيل الناظم وشيخه ومن على شاكلتهما من المتشبعين بما لم يعطوا تتبع ما دون ضد الأئمة المتبوعين من مؤاخذات فى مسائل واتخاذ تلك المؤاخذات وسيلة للتهجم عليهم كلما شاءوا لأجل أن يظهروا بمظهر أنهم من السعة فى العلم بحيث تضيق علوم الأئمة عن علومهم ويجب هجر آراء هؤلاء إلى أهوائهم، هذا شأنهم فى أئمة=

....

= علوم الشرع وهكذا صنيعهم مع علماء باقى العلوم بدون تفرغ للعلم، ولا شك أن كل عالم مهما علت منزلته فى علمه لابد وأن تقع منه هفوات تكون مدونة فى كتاب لأحد نقاد هذا العلم المتفرغين للتمحيص فيه خاصة إذ لا عصمة لغير الأنبياء عليهم السلام، فمن تعود أن يجمع تلك المؤاخذات من مظانها كالباب الخاص فى مصنف ابن أبى شيبة فى مخالفات أبى حنيفة لأحاديث صحيحة صريحة فى نظر صاحب المصنف، وكتاب إبراهيم ابن علية فى مالك وكتاب محمد بن عبد الحكم فى حق الشافعى، وكتاب الكباهراسى فى مفردات أحمد وكتاب الأهوازى فى الأشعرى ونحوها، وأخذ يتحامل على الأئمة بتوجيه تلك المؤاخذات إليهم متظاهراً بأنها من بنات أفكاره داسًا فى غضون كلامه ما شاء من الأباطيل يظن به من لا بصر له بالحقائق من العامة أن له من العلم ما يجعله فوق الأئمة فهما وتحقيقًا وإحاطة مع أنه لابس ثوبى زور، وقد رد على غالب تلك المؤاخذات فى كتب خاصة بحيث لا تقوم لها قائمة لكن الذى يجهل ذلك ينخدع بخزعبلاته ويقع فى المهالك إذا تقاعس علماء أهل الحق عن البحث والتنقيب والرد على الشذاذ بمثل أسلحتهم كما يجب، والله سبحانه يتولى هدانا بمنه وكرمه وأيقظنا جميعًا من رقدتنا وألهمنا طريق حراسة مذاهب أهل الحق فى الأصول والفروع وأشعرنا عظم المسئولية فى الآخرة ووقانا شر التساهل فى ذلك إنه سميع مجيب.

قال الحافظ ابن طولون فى «ذخائر القصر فى تراجم نبلاء العصر» عند ذكره سبب انتقال الشيخ عبد النافع بن عراق من المذهب الحنبلى إلى المذهب الشافعى بعد أن جعله والده حنبليا: «قال الحافظ صلاح الدين العلائى [وقل من أفضله عليه من متأخرى الشافعية فى الجمع بين الفقه والحديث كما يجب] ذكر المسائل التى خالف فيها ابن تيمية الناس فى الأصول والفروع. فمنها ما خالف فيها الإجماع، ومنها ما خالف فيها الراجح فى المذاهب: فمن ذلك يمين الطلاق قال بأنه لا يقع عند وقوع المحلوف عليه بل عليه فيها كفارة يمين، ولم يقل قبله بالكفارة فيها واحد من فقهاء المسلمين ألبتة ودام إفتاؤه بذلك زمانًا طويلاً وعظم الخطب ووقع فى تقليده جم غفير من العوام وعم البلاء، وأن طلاق الحائض لا يقع وكذلك الطلاق فى طهر جامع فيه زوجته، وأن الطلاق الثلاث يرد إلى واحدة، وكان قبل ذلك قد نقل إجماع المسلمين فى هذه المسألة على خلاف ذلك، وإن من خالفه فقد كفر، ثم إنه أفتى بخلافه وأوقع خلقًا كثيراً من الناس فيه، وأن الصلاة إذا تركت عمدًا لا يشرع قضاؤها، وأن الحائض تطوف فى البيت من غير كفارة وهو مباح لها، وإن المكوس حلال لمن أقطعها، وإذا أخذت من التجار أجزأتهم عن الزكاة وإن لم يكن باسم الزكاة ولا على رسمها، وأن المايعات لا تنجس بموت الفأرة ونحوها فيها، وأن الجنب يصلى تطوعه بالليل بالتيمم ولا يؤخره إلى أن يغتسل عند الفجر وإن كان بالبلد. وقد رأيت من يفعل ذلك ممن قلده فمنعته منه، وسمعته حين سئل عن رجل قدم فراشًا لأمير فيجنب بالليل فى السفر ويخاف إن اغتسل عند الفجر أن يتهمه أستاذه فأفتاه بصلاة الصبح بالتيمم وهو قادر على الغسل [ومسألة أبى يوسف غير هذه]، وسئل عن شرط الواقف قال غير معتبر بالكلية بل الوقف على الشافعية يصرف إلى الحنفية وعلى الفقهاء إلى الصوفية وبالعكس، وكان يفعل هكذا فى مدرسته فيعطى منها الجند والعوام ولا يحضر درسًا على اصطلاح الفقهاء وشرط الواقف بل يحضر فيها ميعاداً يوم الثلاثاء ويحضره العوام ويستغنى بذلك عن الدرس، وسئل عن جواز بيع أمهات الأولاد فرجحه وأفتى به.

ومن المسائل المنفرد بها فى الأصول مسألة الحسن والقبح التى يقول بها المعتزلة [بل أربى عليهم بتحكيم=

....

= العقل فى الخلود راجع المعتمد لأبى الحسين البصرى المعتزلى فى المسألة وكلام ابن تيمية فيها حتى تعلم مبلغ مجازفته وتهوره] فقال بها ونصرها وصنف فيها وجعلها دين الله بل ألزم كل ما يبنى عليه كالموازنة فى الأعمال (فيالته حينما حكم العقل حكم العقل السليم ولم يحكم عقل نفسه الظاهر اختلاله جداً بما فاه به فى ذات الله وصفاته، تعالى الله عما يقول الجاهلون).
وأما مقالاته فى أصول الدين فمنها أن الله سبحانه محل للحوادث، تعالى الله عما يقول علواً كبيراً، وأنه مركب مفتقر إلى (اليد والعين والوجه والساق ونحوها) افتقار الكل إلى الجزء، وأن القرآن محدث فى ذاته تعالى، وأن العالم قديم بالنوع ولم يزل مع الله مخلوق دائمًا فجعله موجبًا بالذات لا فاعلاً بالاختيار - سبحانه ما أحلمه - ومنها قوله بالجسمية والجهة والانتقال - وهو منزه عن ذلك - وصرح فى بعض تصانيفه بأن الله بقدر العرش لا أكبر ولا أصغر تعالى الله عن ذلك، وصنف جزءاً فى أن علم الله لا يتعلق بما لا يتناهى كنعيم أهل الجنة وأنه لا يحيط بغير المتناهى وهى التى زلق فيها الإمام [يعنى ابن الجوينى فى البرهان] ومنها أن الأنبياء غير معصومين وأن نبينا عليه وعليهم الصلاة والسلام ليس له جاه ولا يتوسل به أحد إلا وأن يكون مخطئًا، وصنف فى ذلك عدة أوراق، وأن إنشاء السفر لزيارة نبينا ﷺ معصية لا تقصر فيها الصلاة وبالغ فى ذلك، ولم يقل به أحد من المسلمين قبله، وإن عذاب أهل النار ينقطع ولا يتأبد (وجزء التقى السبكى فى الرد عليه مطبوع) ومن أفراده أيضًا أن التوراة والإنجيل لم تبدل ألفاظهما بل هى باقية على ما أنزلت وإنما وقع التحريف فى تأويلهما وله فيه مصنف (هذا يخالف كتاب الله والتاريخ الصحيح، وما فى البخارى عن ابن عباس من الكلام الطويل فى ذلك بين صدره وعجزه كلام مدرج، ما أسنده أحد وفيه الإيهام فلا يصح أن يتمسك به أحد على خلاف كتاب الله وخلاف ما صح عن ابن عباس نفسه فى البخارى نفسه) آخر ما رأيت وأستغفر الله من كتابة مثل هذا فضلاً عن اعتقاده انتهى ما نقله ابن طولون عن الصلاح العلائى». وصاحب هذه الطامات هو الذى يرحب به الناظم ويتخذه قدوة فتبًا لهذا التابع وهذا المتبوع. ومما ذكره ابن رجب فى مفرداته ارتفاع الحدث بالمياه المعتصرة كماء الورد ونحوه، وجواز المسح على كل ما يحتاج فى نزعه من الرجل إلى معالجة باليد أو بالرجل الأخرى، وعدم توقيت المسح على الخفين مع الحاجة، وجواز التيمم خشية فوت الوقت لغير المعذور وفوت الجمعة والعيدين وأنه لا حد لأقل الحيض ولا لأكثره ولا لسن الإياس، وأن قصر الصلاة يجوز فى قصير السفر وطويله، وأن البكر لا تستبرىء ولو كانت كبيرة وأنه لا يشترط الوضوء لسجود التلاوة، وأنه يجوز المسابقة بلا محلل، واستبراء المختلعة بحيضة وكذا الموطوءة بشبهة والمطلقة آخر ثلاث تطليقات وغيرها اهـ فكم له من شواذ نحو ما تقدم. وقد ذكر ابن حجر الهيثمى فى الفتاوى الحديثية كثيراً من شواذ ابن تيمية وقال عنه: «عبد خذله الله وأخزاه وأصمه وأعماه» وقد حاول الشيخ نعمان الآلوسى - بإشارة صديق خان الذى كان له به صلة مادية متينة الرد عليه فى (جلاء العينين) متوخيًا تبرئة ساحة ابن تيمية من غالب تلك الشواذ لكن سقط فى يده حيث فضحت هذه المرحلة من الدعاية لابن تيمية بطبع كتب له فيما بعد تصرح بما نفى هو عنه بل ربما تطبع له كتب أخرى مثل (التأسيس فى رد أساس التقديس) بالنظر إلى أن بعض صنائع الحشوية نقله حديثًا فيخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المسلمين وفيما ذكرناه كفاية فى لفت النظر إلى نماذج من مفرداته والشيخ نعمان المذكور ناقض نفسه حيث يناقض كلامه فى الكتاب المذكور ما سطره هو فى (غالية المواعظ) لكن قاتل الله المادة ما دخلت =

«فصل»

قال: «ومن العجائب قولهم حشوية[(١)] سمى به ابن عبيد» فيه سفه.

«فصل»

قال: «كم ذا مجسمة، وإذا سببتم بالمحال فسبنا بأدلة وحجاج ذى برهان فحقيقة التجسيم إن يك عندكم وصف الإله بصفاته العليا فتحملوا عنا الشهادة واشهدوا فى كل مجتمع وكل مكان أنا مجسمة بفضل الله وليشهد بذلك معكم الثقلان».

نقول له أنت أبديت لنا اعتقادك ووصفت بأمور يمتحن فيها كل عاقل منصف إذا عرضت على خال من الأغراض كلها من امرأة أو صبى أو أعجمى أو عربى عامى وعموم الناس هل يفهمون من الاستواء والقعود والنزول والمجيء والإتيان والوجه[(٢)] واليد والساق والقدم والجنب والعين والانتقال فى الدرجات وغير ذلك مما قد ذكرته معنى الجسم ويرسم ذلك فى نفسه أولاً فإن قال إنه لا يفهم منها إلا معنى الجسم فيكفيك إثمًا عند الله إضلال مثل هؤلاء وحملهم على اعتقاد التجسيم الذى تزعم أنت بلسانك أنك لا تقول به فالمحقق منك إضلال أكثر

= فى شىء إلا أفسدته وهو ليس بأمين على طبع تفسير والده ولو قابله أحدهم بالنسخة المحفوظة اليوم بمكتبة راغب باشا باسطانبول – وهى النسخة التى كان المؤلف أهداها إلى السلطان عبد المجيد خان – لوجد ما يطمئن إليه – نسأل الله السلامة.

(١) فهل تلقيب عمرو بن عبيد لابن عمر رضى الله عنه بالحشوى إفكا وزوراً على تقدير ثبوت ذلك عنه يمنع من تلقيب الحسن البصرى لطوائف المجسمة حشوية حقًا وصدقًا، فاضحك ثم اضحك على عقل من يأبى هذا التلقيب وهو متلبس بهذه الوصمة الشنيعة بشهادة نفسه.

(٢) ليس بخاف على ملم باللغة العربية وبمناحى الكلام فى اللسان العربى المبين أن لكل كلمة مع صاحبتها شأنًا ليس لها مع كلمة أخرى، فمن جمع ما فرقه الله سبحانه فى كتابه من الصفات العليا أو فرق ما جمعه فقد خان الله حيث جعل صفات الله سبحانه عرضة لتقولات المتقولين من أصحاب الأهواء وكذلك ما ورد فى السنة من الصفات والأفعال، وكم بين المجسمة من ألف فيما يسمونه التوحيد أو السنة أو الصفات أبوابًا فى اليد والعين والساعد والأصبع واليمين والذراع والكف والجنب والقدم والحقو والصدر ونحوها. جمعًا لما تفرق فى الروايات المختلفة لمختلف الرواة لهوى فى نفوسهم، وليس تفريق المجموع وجمع المفرق فى هذا الباب من شأن من يخافه سبحانه، وأنت علمت معانى تلك الصفات على مذهب أهل الحق.

العالم، وأما أنت فى نفسك فإن كذبت فى إنكارك التجسيم فقد جمعت إلى فساد الاعتقاد الكذب، وإن صدقت فى زعمك فقد لبست عليك نفسك وخيلت لك فرقًا أو كان عندك فرق الله أعلم به، هذا فى الباطن الذى أمره إلى الله فى الآخرة وإما فى الدنيا فإن فى قبول قولك عندنا نظرًا فإن قبل أو لم يقبل - وإن كنا لم نقل بالتكفير ولا بالقتل - فلا أقل من القدر الذى ينكف به ضررك عن المسلمين.

وهذه الأشياء التى ذكرناها هى عند أهل اللغة أجزاء لا أوصاف، فهى صريحة فى التركيب والتركيب للأجسام، فذكرك لفظ الأوصاف تلبيس وكل أهل اللغة لا يفهمون من الوجه والعين(١) والجنب والقدم إلا الأجزاء ولا يفهم من الاستواء بمعنى القعود إلا أنه هيئة وضع المتمكن فى المكان ولا من المجىء والإتيان والنزول

قول السلف فى العين واليد

(١) ومن ذكر من السلف أن العين واليد صفتان تبرأ بهذا اللفظ عن القول بالجارحة بل يكون قائلاً بأن المراد بالعين معنى قائم بالله وكذلك اليد لكن لا أعين ذلك المعنى المراد بأن أقول إنه الرؤية أو الحفظ، والقدرة أو النعمة أو العناية الخاصة لكون تعيين المراد من بين المحتملات الموافقة للتنزيه تحكمًا على مراد الله وتسميته لهما صفتين تدل على أنه جازم بأنهما ليستا من قبيل أجزاء الذات تعالى الله عن ذلك، ومن قال وله يد بها يبطش وعين بها يرى جعلهما من قبيل الجوارح وخالف السلف الصالح. وقد قال الترمذى عند الكلام على حديث (يمين الرحمن ملأى سخاء...) وهذا حديث قد روته الأئمة نؤمن به كما جاء من غير أن يفسر أو يتوهم، هكذا قال غير واحد من الأئمة منهم الثورى ومالك بن أنس وابن عيينة وابن المبارك أنه تروى هذه الأشياء ويؤمن بها فلا يقال كيف ا هـ».

خداع الناظم وشيخه

وأين هذا من عمل الناظم وشيخه؟. نعم قد يقع فى كلامهما ذكر الوجه والعين واليد وغيرها بأنها صفات لكن السياق والسباق فى كلامهما يناديان أنهما أرادا بها أجزاء الذات لا المعانى القائمة بالله سبحانه كما يقول السلف، واصطلحا فى الصفة على معنى، يجامع الجزء على خلاف المعروف بين أهل العلم وإلا لما بقى وجه لتشددهما ضد أهل الحق.

وشيخ الناظم يقول فى الأجوبة المصرية: «إن الله يقبض السموات والأرض باليدين اللتين هما اليدان» فماذا يجدى بعد هذا التصريح أن يسميها صفات؟ والله سبحانه هو الهادى.

معنى القبضة عند الخلف

وأهل العلم من الخلف يحملون القبض على أنه مجاز عن إخراج السموات من الإظلال والأرض من الإقلال وإيقافهما عن أن تكونا صالحتين لتناسل المتناسلين كما يشير إلى ذلك البيضاوى وهو القابض الباسط أى الموقف عن المسير متى شاء والمجرى للأمور كما يشاء. راجع العارضة فى شرح الأسماء الحسنى. والسلف يفوضون مع التنزيه، وأما حمل القبض على القبض الحسى فقول بالتجسيم والجارحة، تعالى الله عن ذلك.

إلا الحركة الخاصة بالجسم، وأما المشيئة والعلم والقدر ونحوها فهى صفات ذات وهى فينا ذات أمرين أحدهما عرض قائم بالجسم، والله تعالى منزه عنه، والثانى المعانى المتعلقة بالمراد والمعلوم والمقدور وهى الموصوف بها الرب سبحانه وتعالى وليست مختصة بالأجسام فظهر الفرق.

فصل

قال: «يا وارد القلوط»[1].

فأتى ببضعة عشر بيتا من هذا القبيل فهل سمع أحد بأن هذا كلام أهل العلم، وما دعانى إلى الوقوف على هذا الوسخ؟. ينبغى أن يأتى له (مجلى) مثله يتكلم معه زيبق المشاعلى أو غرير المرقد أو أهل جعفر أو عماد فكيف بابن حجاج؟.

«فصل»

فيه أكثر من تسعين بيتًا... وقال فى أواخره:

من قال بالتعطيل فهو مكذب ... بجميع رسل الله والفرقان
إن المعطل لا إله له ... سوى المنحوت فى الأذهان
وكذا إله المشركين نحتته الأيـ ... ـدى هما فى نحتهم سيان
لكن إله المرسلين هو الذى ... فوق السماء مكون الأكوان

المعطل فى الأصل من ينفى الصانع

وهذا الرجل يسمى خصومه معطلة لأنهم نفوا الصانع الذى يقول هو به ويصفه بتلك الصفات بزعمه ويجعلهم يعبدون إلهًا آخر ويكفرهم كالمشركين العابدين للأصنام، فياخيبة المسلمين إن كان يكفر بعضهم بعضًا، ولم لا يقول هذا الجاهل إن الكل يقرون بالله ووحدانيته ويغلط بعضهم فى وصفه ولا يخرجهم ذلك الغلط عن الإسلام؟ وإن كان ولابد من الإخراج فن أولى به؟ ومن أولى بعبادة ما نحته ذهنه؟ من ركب أجزاء مقصودة معقولة أو من قال أعبد إلهًا واحدًا أنا عاجز عن

(١) لفظة عامية لا ينطق بها من العوام إلا من هو بالغ الوقاحة فضلاً عن أهل العلم فنأبى شرح هذه الكلمة القذرة المنتنة.

معرفته وعن كنه ذاته فهو كما وصف به نفسه، وفوق ما يصف به عباده، وعقلى يقصر عن سبحات وجهه وعلمى يضل فى علمه ويتضاءل دون عظمته وملكوت سلطانه وقدرته وقهره لا شريك له سبحانه وتعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] كل ما تصوره الذهن فالله بخلافه لو اجتمعت عقول العالمين كلها لم تبلغ معرفة حقيقة ذاته ولا كنه صفاته، وإنما علموا منها ما دلهم على التوحيد وأمر السيد العبيد وأنعم عليهم بالرسول أرشدهم إلى ما فيه صلاحهم وأنزل عليهم كتابًا كلفهم فيه بتكاليف إن عملوا بها وصلوا إلى دار السلام. فلا ينبغى لهم الاشتغال بغيرها - فاشتغالهم بغيرها فضول - وإن فكروا فكروا فى آلائه لا فى ذاته، فإن هناك تضل العقول، وانظر إلى هذه الصفات التى يثبتها هذا المبتدع لم تجىء قط فى الغالب مقصودة وإنما فى ضمن كلام يقصد منه أمر آخر وجاءت لتقرير ذلك الأمر، وقد فهمها الصحابة ولذلك لم يسألوا عنها النبى ﷺ لأنها كانت معقولة عندهم بوضع اللسان وقرائن الأحوال وسياق الكلام وسبب النزول ومضت الأعصار الثلاثة التى هى خيار القرون على ذلك حتى حدثت البدع والأهواء فيجىء مثل هذا المتخلف يجمع كلمات وقعت فى أثناء آيات أو أخبار فهم الموفقون معناها بانضمامها مع الكلام المقصود فجعلها هذا المتخلف فى أمثاله مقصودة وبالغ فيها فأورث الريب فى قلوب المهتدين، وانظر إلى أكثرها لا تجده مقصودًا بالكلام بل المقصود غيره إما بسياق قبله أو بسياق بعده، أو بأن يكون المحدث عنه معنى آخر والمحدث به ويكون ذلك مذكورًا على جهة الوصف المقوى لمعنى ما سيق الكلام لأجله، وما مثل المشتغلين بذلك وبالكلام إلا مثل سرية أتاها كتاب السلطان يأمرهم بما يعتمدونه فى الغزاة التى ندبهم لها ويوصيهم بأمور مهمة لما بين أيديهم وينهاهم عن أمور وينبههم على مكان لعدوهم وعدوه حتى يحترزوا عن غوائلها فأخذوا يتأملون فى ذلك الكتاب ويفكرون فيمن كتبه وفى حروفه ومتى كتب وأين كان السلطان حين كتبه وعلم عليه، وهل كان فى القلعة أو فى غيرها وربما كان فيهم من لم ير السلطان قط فصار يسأل عن صفته وشغلوا الزمان بذلك وبسؤال حامل الكتاب عنه وبالفكرة فيه واشتغلوا به عما هم بصدده من الجهاد الذى أمرهم به وعن تلك الأمور التى

وصاهم بهـا فى الكتاب وأمرهم بـها ونهاهم عنهـا وما كفـاهم ذلك حتى أداهم اختلافـهم فى صفة السلطان وفى أين كان لما كتب ومـن كتب الكتاب عنه إلى أن قال كل فـريق منهم عن الآخر الذى وصفـه بخلاف ما وصـفه به رفيـقه إنه أنكر السلطان وقـال إنه لا سلطان له فهل يكون لهـؤلاء عقل، اللهم إنا نـسألك أن لا تضل عقولنا ولا تزيغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وتحفظ علينا ديننا يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك.

«فصل»

أكثر من مائة بيت كلها إغراء بخـصومه والله ينتقم لهم منه ثم إنه يناقض قوله فينكر على خصومه تكفيره فلم لا ينكر على نفسه تكفيرهم بعين ما كفروه به.

«فصل»

مختصر فى معناه.

«فصل»

قريب منه.

«فصل»

قال:

اسـمـع سـراً عـجـيـبًـا كـا	ن مكتـومًـا منذ زمـان[1]
جـيم وجـيم ثـم جـيم مـعـهـا	مـقـرونة مع أحـرف بوزان
فـيهـا لدى الأقـوام طلسم متى	تحلله تحلل ذروة العـرفـان
فـإذا رأيت الثـور فيـه تقـارن الـ	جـيمـات بالتـثليث شر قـران
دلت على أن النحوس جميعها سهـ	ـم الـذى قـد فـاز بالخـذلان
جبـر وإرجـاء وجـيم تجـهـ	ـم فـتـأمـل المجمـوع فى الميـزان
فـاحكم لـطالعـهـا لمن حـصلت له	بخـلاصـه من ربقـة الإيمان

(١) هذا من الدليل على أنه من ورثة علوم الصابئة عبدة الأجرام العلوية كاد أن يبوح بما عنده من عزائم الكواكب كما فعل عبد السلام الجيلى، راجع ترجمته من طبقات ابن رجب وذيل الروضتين لأبى شامة الحافظ.

وأخذ يذكر مفاسد المذاهب الثلاثة «وقياد الجبر[1] إلى الكفر والبهتان والإرجاء كذلك بالجد فى العصيان وشتم الرسل ومن أتوا من عنده والسجود للصنم، فإذا أضفت إلى الجيمين جيم تجهم أين الصفات والجهم أصلها جميعًا والوارثون له أصحابها لا شيعة الإيمان لكن نجا أهل الحديث المحض أتباع الرسول وتابعوا القرآن».

فصل

قال: «وسل المعطل ماذا يقول لربه».

وساق ما يقولونه كله بقبح وأنهم يخاطبون به الله يوم القيامة، وعن طائفته ما يولونه ومخاطبتهم به وهاتان طائفتان من المسلمين يعرفون عظمة الله تعالى، وكل أحد قد بذل جهده وطاقته فيما اعتقده ويخاف ويفرق، ويوم القيامة يكون أشد خوفًا يوم لا يتكلم إلا الرسل ويود كل من دونهم أن ينجو كفافًا، فتصوير مخاطبة الله تعالى بذلك فى ذلك الموقف العظيم إنما يصدر عن قلب فارغ.

«فصل»

فى تحميل أهل الإثبات للمعطلين شهادة تؤدى عند رب العالمين» قال: «يا أيها الباغى على أتباعه قد حملوك شهادة فاشهد بها إن كنت مقبولاً لدى الرحمن فاشهد عليهم إن سئلت بأنهم قالوا إله العرش والأكوان فوق السموات العلى حقًا على العرش استوى والأمر ينزل منه وإليه يصعد ما يشاء وإليه صعد الرسول ﷺ وعيسى ابن مريم والأملاك تصعد دائمًا من هنا إليه وروح العبد بعد الموت وأنه

(١) والجبر الذى يريده الناظم هو قول الأشعرى إن العبد كاسب والرب سبحانه هو الخالق وحده، وأين الجبر فى ذلك؟ نعم جهم بن صفوان كان يقول بالجبر، لكن ليس له من يتابعه بعده، وأما الإرجاء الذى يريده فهو القول بأن الإيمان هو الاعتقاد الجازم كما نص عليه الحديث الصحيح (الإيمان أن تؤمن بالله...) ومن جعل الأعمال من أركان الإيمان حقيقة فقد تابع الخوارج من حيث يعلم أو لا يعلم - راجع (ص ٢٧، ٢٨) - وأما التجهم الذى يذكره فمراده به نفى حلول الحوادث فى الله سبحانه وتنزيهه تعالى عن قيام الحوادث به سبحانه كما هو مذهب أهل الحق فظهر أنه ينبز بتلك الألقاب السيئة جمهور أهل الحق افتراء منه عليهم وإلا فلا وجود للجبرية حقيقة ولا للإرجاء بالمعنى البدعى ولا للجهمية فى عصر الناظم والله سبحانه ينتقم منه.

متكلم بالقرآن سمع الأمين كلامه منه هو قول رب العالمين حقيقة لفظًا[١] ومعنى وأنهم وصفوا الإله بكل ما جاء فى القرآن وأن قول الرسول ﷺ نص[٢] يفيد علم اليقين».

فمن ينازع فى ذلك؟ وإن أراد الآحاد أو الذى جوزت اللغة احتمال لفظه فحكمه عليه بإفادة علم اليقين جهل منه.

قال: «وإنهم قابلوا التعطيل والتمثيل بالنكران أن المعطل والممثل ما هما متيقنين عبادة الرحمن ذا عابد المعدوم لا سبحانه أبدًا وهذا عابد الأوثان وأنهم يتأولون حقيقة التأويل وأن تأويلاتهم صرف عن المرجوح[٣] للرجحان وأنهم حملوا

---

(١) قد سبق إبطال القول بالفوقية الحسية والنزول الحسى والجلوس على العرش ونحوها مما هو معتقد المجسمة إبطالاً لا مزيد عليه، وقوله هنا فى الكلام إعادة لزعمه الحرف والصوت فى كلام الله وقد سبق إبطال ذلك أيضًا ومن الغريب أن يؤلف مثل الموفق بن قدامة (الصراط المستقيم فى إثبات الحرف القديم) وكفى ما سبق فى إبطاله. وابن بطة صاحب الإبانة فضح نفسه بأن يزيد فى رواية حديث موسى عليه السلام (من ذا العبرانى الذى يكلمنى من الشجرة؟) ليجعل كلام الله من قبيل كلام الخلق فجمع بين الاختلاق وسوء المعتقد وابن بطة هذا من أئمة الناظم ولست فى صدد استقصاء أهل الكذب والزيغ من أئمته وبين هذا المتأخر زمنًا وعلمًا كلمات جوفاء في تزويق مزاعم الحشوية فى تلك المسائل، ومن ظن به أنه أتى بشىء جديد غير الجمع بين الحشوية والتصوف السالمى الهاذى بالتجلى فى الصور فقد ولى فهمه وأدبر علمه وكم من مصاب فى عقله ودينه يتكلم فى هذه الأبحاث بدون علم ولا فهم ولا تقى، نسأل الله المعافاة.

(٢) قول الرسول القطعى الثبوت والقطعى الدلالة نص يفيد علم اليقين من غير خلاف، وأما ما هو ظنى الدلالة منه فلا، كما تقرر فى الأصول ودعوى إفادة خبر الآحاد العلم من هواجس الظاهرية إلا إذا كان محتفًا بقرائن، وقد بينا الحق فى ذلك فى تعليقاتنا المهمة على شروط الأئمة فليراجع هناك. والحشوية يحشرون فى كتبهم فى المعتقد المنقطعات والوحدان وروايات المجاهيل والضعفاء والوضاعين ويقولون عنها إنها قول الرسول ﷺ مع إنها مما لا يحتج به فى باب الاعتقاد أصلاً بل لا يتمسك بها فى باب الأعمال أيضًا، وتوثيق مثل ابن حبان لرجل لا يخرجه من الجهالة عند من يعرف مصطلح ابن حبان فى التوثيق. وإنما الحجة فى باب الاعتقاد هى الكتاب المنزل والصحاح المشاهير من الحديث.

(٣) صرف اللفظ عن الاحتمال المرجوح إلى الراجح مما لا معنى له لأن اللفظ منصرف بنفسه إلى الراجح من الاحتمالين، واللفظ ظاهر بالنسبة إلى الراجح مطلقًا سواء كان بالوضع أو بالدليل كما ذكره أبو الخطاب فى التمهيد فى أصول الحنابلة فما يرى مرجوحًا بالنظر إلى الوضع فقط قد يكون راجحًا بالنظر إلى الدليل فيكون اللفظ حينذاك ظاهرًا في احتمال قد ترجح بالدليل حيث لا يكون هذا الاحتمال مرجوحًا عند قيام الدليل على الرجحان فقولهم بالظهور فى جانب الوضع إنما هو بالنظر إلى حالة عدم قيام دليل مرجح للاحتمال المقابل. والحاصل أن الظاهر بالوضع هو ما لا يقارنه دليل يرجح الاحتمال الآخر فلا =

النصوص على الحقيقة لا على المجاز إلا إذا اضطروا للمجاز بحس أو برهان وأنهم لا يكفرونكم بما قلتم من الكفران إذ أنتم أهل الجهالة عندهم لستم أولى كفر ولا إيمان[1]».

فالبالغ المكلف الذى بلغته الدعوة إما كافر وإما مؤمن فكيف ينتفيان عنه والجهل ليس عذرًا فى ذلك.

قال: «لا تفرقون حقيقة الكفران بل لا تفرقون حقيقة الإيمان إلا إذا عاندتم ورددتم قول الرسول ﷺ لأجل قول فلان فهناك أنتم أكفر الثقلين وأشد عليهم أنهم فاعلون حقيقة والجبر عندهم محال هكذا نفى القضاء».

قد أشهد على نفسه بالفوقية وباللفظ والله يعلم ما تصوره قلبه منهما وبمعنى التأويل وأين هذا من التابعين الذين قيل فيهم ما منهم إلا من يخاف النفاق على نفسه كانوا مع صحة الاعتقاد والاجتهاد فى العمل يخافون النفاق، ونحن اليوم مع البعد - وشتان ما بيننا وبينهم - بيننا من يتجاسر هذه الجسارة ويدل هذا الإدلال.

فصل

فى عهود المثبتين مع الله رب العالمين

قال: «يا ناصر الإسلام اشرح لدينك صدر كل موحد وانصر به حزب الهدى فوحق نعمتك التى وليتنى وأريتنى البدع المضلة لأجاهد لك عداك ما أبقيتنى ولأجعلن لحومهم ودماءهم فى يوم نصرك أعظم القربان».

هذا يقتضى أنه يعتقد كفرهم وسفك دمائهم، وقد حملهم فى الفصل الذى قبل هذا شهادة أنه لا يكفرهم فيناقض كلامه وقال هناك إنهم جهال لا كفار ولا مؤمنون فلعله يرى أنهم كالبهائم لكنه صرح هنا بأنهم أعداء الله وغير الكافر ليس عدو الله.

= ظاهر بالوضع عند ترجح الاحتمال الثانى بالدليل، فإطلاق الظاهر على ما بالوضع عند قيام الدليل المرجح للاحتمال الثانى ما هو إلا تسامح فليعرف ذلك.

(١) وهذا بظاهره قول بالمنزلة بين المنزلتين كما هو معتقد المعتزلة الذين هم من أبغض خلق الله إليه. وإخراج أهل الحق من الإيمان محض هذيان.

فصل

افتراؤهم المثلث على الأشعرية

قال:

إنا تحملنا الشهادة بالـ ـذى قلتم نؤديها لدى الرحمن

ما عندكم فى الأرض[١] قرآن كلام الله حقًا يا أولى العدوان

كلا ولا فوق السموات العلى رب[٢].

مطاع ولا فى القبر[٣] عندكم من يرسل فالروح عندكم عرض قائم بجسم الحى، وكذا صفات الحى قائمة به مشروطة بالحياة، فإذا انتفت الحياة انتفى مشروطها ورسالة المبعوث مشروطة بها كصفاته بالعلم والإيمان فإذا انتفت تلك الحياة فكل مشروط بها عدم».

قوله ما فى الأرض قرآن شهادة زور ونحن نطلق القرآن على ما فى المصحف وهو إن كان لا يطلقه عليه لزمه ما ألزمنا وإن كان يقول إنه فى المصحف حقيقة فهو قد قال فيما تقدم إن الصوت من العبد مخلوق فالخط بطريق الأولى وعندنا أن القرآن مكتوب فى المصاحف ولهذا يحرم على المحدث حمل المصحف ومتلو بالألسنة ومحفوظ فى الصدور.

---

(١) تلك الثلاثة هى أقانيم اختلافهم على الأشعرى وأصحابه، لهج بها أبو نصر الوائلى السجزى صاحب الإبانة وابن مت صاحب ذم الكلام ومن تابعهما فى البهت على أئمة الدين. ومن قال إن القرآن القائم بالله فى الأرض فهو حلولى زائغ هذا ظاهر جدًا.

(٢) نعم هم لا يعتقدون صنمًا متمكنًا بمكان وإنما يؤمنون بإله العالمين الذى ليس كمثله شىء، وله الأسماء الحسنى، تعالى الله عما يقول الجاهلون من الجاهلية بعد الإسلام.

(٣) وقال إمام الحرمين فيما رد به على السجزى، السابق ذكره فى مقدمة المصنف: ما كنت أظن أن هذا الجاهل يبلغ حمقه وخرقه هذا المبلغ [وهو زعمه أن من مذهب الأشعرية أن النبوة عرض لا يبقى زمانين وإذا مات النبى زالت نبوته] وهذا الذى حكاه لم يقل به قائل ولم ينقله قبله ناقل ولو سئل هذا الأحمق عن النبوة ليست عرضًا ثم قال - فبطل المصير إلى أن النبوة عرض ووجب القضاء بأن النبوة هى حكم الله تعالى برسالة رسول وإخباره عن سفارته وأمره إياه بتبليغ الشرائع وشرع الأحكام وقد حكم الله تعالى بنبوة الأنبياء عليهم السلام فى حياتهم وبعد مماتهم وكونهم مرسلين، وعلم ذلك منهم فى السابقة والعاقبة فهذا مذهب أهل الحق ودينهم، فعلى من يصفهم بغير ذلك لعنة الله ولعنة الملائكة والناس أجمعين. انتهى ما ذكره إمام الحرمين وهو نص ما نقله اللبلى عنه.

«فصل»

فى حياة الأنبياء

قال:

ولأجل هذا رام ناصر قو لكم ترقيعه يا كثرة الخلقان

قال الرسول بقبره حي[(١)].

(١) الناظم وشيخه ينفيان التوسل بالنبى ﷺ باعتبار تفرقتهما بين حالتيه ﷺ حال حياته وحال وفاته وبإخراجهما للحديث الصحيح فى التوسل عن دلالته الصريحة بالرأى عن هوى وقد أقام قاضى قضاة الشافعية العلامة علاء الدين القونوى الشافعى النكير على ابن تيمية بعنف فى هذه المسألة فى كتابه (شرح التعرف) وهو من محفوظات التيمورية، وعد ذلك مأخوذًا من اليهود مع أنه كان من المثنين عليه قبل هذه الحادثة، وفى الاطلاع على شرح التعرف هذا تنوير للمسألة وقد أغنانا عن بسط ذلك هنا ما نقله التقى الحصنى منه فى كتاب (دفع الشبه) وهو مطبوع، وفى كتاب الروح للناظم كثير مما ينافى ما ذكره هنا، والتناقض شأن من أصيب فى عقله أو دينه، نسأل الله السلامة والمعافاة، وأما كلمة ابن حزم فى الفصل فاغترار منه بتقولات الرواة من الحشوية فى حق الأشعرى كما بينت ذلك فيما علقته على تبيين كذب المفترى لابن عساكر.

فتيا الأئمة فى إنكاره شد الرحل لزيارته ﷺ

وقد بلغ بالناظم وشيخه الغلو فى هذا الصدد إلى تحريم شد الرحل لزيارة النبىﷺ وعد السفر لأجل ذلك سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة فأصدر الشاميون فتيا فى ابن تيمية وكتب عليها البرهان ابن الفركاح الفزارى نحو أربعين سطرًا بأشياء إلى أن قال بتفكيره ووافقه على ذلك الشهاب بن جهبل، وكتب تحت خطه كذلك المالكى، ثم عرضت الفتيا لقاضى قضاة الشافعية بمصر البدر بن جماعة فكتب على ظاهر الفتوى: الحمد لله، هذا المنقول باطنها جواب عن السؤال عن قوله إن زيارة الأنبياء والصالحين بدعة وما ذكره من نحو ذلك وأنه لا يرخص بالسفر لزيارة الأنبياء باطل مردود عليه، وقد نقل جماعة من العلماء أن زيارة النبى ﷺ فضيلة وسنة مجمع عليها، وهذا المفتى المذكور -يعنى ابن تيمية- ينبغى أن يزجر عن مثل هذه الفتاوى الغريبة، ويحبس إذا لم يمتنع من ذلك ويشهد أمره ليحتفظ الناس من الاقتداء به.

وكتبه محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الشافعى.

وكذلك يقول محمد بن الجريرى الأنصارى الحنفى لكن يحبس الآن جزمًا مطلقا.

وكذلك يقول محمد بن أبي بكر المالكى ويبالغ في زجره حسبما تندفع تلك المفسدة وغيرها من المفاسد.

وكذلك يقول أحمد بن عمر المقدسى الحنبلى، راجع دفع الشبه (٤٥-٤٧) وهؤلاء الأربعة هم قضاة المذاهب الأربعة بمصر أيام تلك الفتنة فى سنة ٧٢٦ والنهى عن شد الرحل إلى غير المساجد الثلاثة فى الحديث باعتبار أنه لا مضاعفة لثواب المصلى فى غيرها ولا علاقة له أصلا بمثل زيارة القبور، وهذا ظاهر جدًا فمعنى الحديث النهى عن شد الرحل إلى مساجد غير المساجد الثلاثة التى يضاعف فيها الثواب حيث لا داعى إلى تجشم المشاق والاستثناء المفرغ يقدر فيه المستثنى منه بقدر أدنى ما يصحح الاستثناء لأن التقدير ضرورة فلا يزيد على القدر الضرورى فى تصحيح الكلام - وما زاد على ذلك ليس مما يعتبره أهل العلم كما لا يخفى على أن شد الرحل لأجل العلم أو الجهاد أو التجارة أو الاعتبار=

....

= أو استعادة الصحة ونحو هذا لا يتصور أن يتناوله النهى فى الحديث فلا يصح تقدير المستثنى منه من أعم ما يتناول المستثنى ومن تصور خلاف ذلك فقد غلط غلطًا فاحشًا واستعجم عليه الحديث.

والأحاديث فى زيارته ﷺ فى غاية من الكثرة وقد جمع طرقها الحافظ صلاح الدين العلائى فى جزء كما سبق وعلى العمل بموجبها استمرت الأمة إلى أن شذ ابن تيمية عن جماعة المسلمين فى ذلك، قال على القارئ فى شرح الشفا: «وقد فرط ابن تيمية من الحنابلة حيث حرم السفر لزيارة النبى ﷺ كما أفرط غيره حيث قال كون الزيارة قربة معلوم من الدين بالضرورة وجاحده محكوم عليه بالكفر ولعل الثانى أقرب إلى الصواب لأن تحريم ما أجمع العلماء فيه بالاستحباب يكون كفراً لأنه فوق تحريم المباح المتفق عليه... ا.هـ».

فسعيه فى منع الناس من زيارته ﷺ يدل على ضغينة كامنة فيه نحو الرسول ﷺ وكيف يتصور الإشراك بسبب الزيارة والتوسل فى المسلمين الذين يعتقدون فى حقه ﷺ «أنه عبده ورسوله» وينطقون بذلك فى صلواتهم نحو عشرين مرة فى كل يوم على أقل تقدير إدامة لذكرى ذلك. ولم يزل أهل العلم ينهون العوام عن البدع فى كل شئونهم ويرشدونهم إلى السنة فى الزيارة وغيرها إذا صدرت منهم بدعة فى شيء ولم يعدوهم فى يوم من الأيام مشركين بسبب الزيارة أو التوسل، كيف وقد أنقذهم الله من الشرك وأدخل فى قلوبهم الإيمان وأول من رماهم بالإشراك بتلك الوسيلة هو ابن تيميةوجرى خلفه من أراد استباحة أموال المسلمين ودماءهم لحاجة فى النفس ولم يخف ابن تيمية من الله فى رواية عد السفر لزيارة النبى ﷺ سفر معصية لا تقصر فيه الصلاة عن الإمام أبى الوفاء بن عقيل الحنبلى،وحاشاه عن ذلك -راجع كتاب التذكرة له تجد فيه مبلغ عنايته بزيارة المصطفى ﷺ والتوسل به كما هو مذهب الحنابلة- وإنما قوله بذلك فى السفر إلى المشاهد المعروفة فى العراق لما قارن ذلك من البدع فى عهده وفى نظره.

نص ابن عقيل الحنبلى فى تذكرته

وإليك نص عبارته فى التذكرة المحفوظة بظاهرية دمشق تحت رقم ٨٧ فى الفقه الحنبلى.

«فصل. ويستحب له قدوم مدينة الرسول ﷺ فيأتى مسجده فيقول عند دخوله باسم الله اللهم صل على محمد وآل محمد وافتح لى أبواب رحمتك وكف عنى أبواب عذابك، الحمد لله الذى بلغ بنا هذا المشهد وجعلنا لذلك أهلا، الحمد لله رب العالمين. ثم تأتى حائط القبر فلا تمسه ولاتلصق به صدرك، لأن ذلك عادة اليهود واجعل القبر تلقاء وجهك وقم مما يلى المنبر وقل السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته اللهم صل على محمد وعلى آل محمد.... إلى آخر ما تقوله فى التشهد الأخير، ثم تقول اللهم أعط محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والمقام المحمود الذى وعدته، اللهم صل على روحه فى الأرواح وجسده فى الأجساد كما بلغ رسالاتك وتلا آياتك وصدع بأمرك حتى أتاه اليقين، اللهم إنك قلت فى كتابك لنبيك ﷺ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:٦٤] وإنى قد أتيت نبيك تائبًا مستغفراً فأسألك أن توجب لى المغفرة كما أوجبتها لمن أتاه فى حياته، اللهم إنى أتوجه إليك بنبيك ﷺ نبى الرحمة، يا رسول الله إنى أتوجه بك إلى ربى ليغفر لى ذنوبى، اللهم إنى أسألك بحقه أن تغفر لى ذنوبى اللهم اجعل محمداً أول الشافعين وأنجح السائلين وأكرم الأولين والآخرين اللهم كما آمنا به ولم نره وصدقناه ولم نلقه فأدخلنا مدخله واحشرنا فى زمرته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه مشربًا صافيًا رويًا سائغًا هنيًا لا نظمأ بعده أبدًا غير خزايا=

وذكر أربعين بيتا فى إنكار ذلك وقد صنف البيهقى[1] جزءًا فى حياة الأنبياء ولكن هذا المدبر بعيد عن التوفيق.

فصل

قال: «فإن احتججتم بالشهيد»

وذكر غيره أشياء من حججنا

فصل

قال فى الجواب: «إن الشهيد حياته منصوصة مع النهى عن أن ندعوه ميتا، ونساؤه حل لنا من بعده وماله مقسوم وهو مع ذلك حى فارح قلتم فالرسل أولى».

فانظر إلى قلب الدليل عليهم ما قلب شيئًا قلب الله قلبه.

قال: «ورؤيته موسى مصليا فى قبره فى القلب منه حسيكة هل قاله؟ ولذلك أعرض البخارى عنه عمدًا والدارقطنى أعله ورأى أنه موقوف على أنس لكن تقلد مسلمًا، لكن هذا ليس مختصًا به روى ابن حبان صلاة العصر فى قبر الذى مات موتا فتمثل الشمس التى قد كان يرعاها لأجل الصلاة عند الغروب يخاف فوت صلاته فيقول للملكين تدعانى حتى أصلى العصر قالا ستفعل ذلك بعد الآن، هذا مع الموت المحقق لا الذى حكيت لنا بثبوته القولان.

= ولا ناكثين ولا مارقين ولا مغضوبًا علينا ولا ضالين واجعلنا من أهل شفاعته. ثم تقدم عن يمينك فقل السلام عليك يا أبا بكر الصديق، السلام عليك يا عمر الفاروق، اللهم اجزهما عن نبيهما وعن الإسلام خيرًا، اللهم ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ...﴾ [الحشر:١٠] وتصلى بين القبر والمنبر فى الروضة وإن أحببت تمسح بالمنبر وبالحنانة وهو الجذع الذى كان يخطب عليه ﷺ فلما اعتزل عنه حن إليه كحنين الناقة، وتأتى مسجد قباء فتصلى لأن النبى ﷺ كان يقصده فيصلى فيه، وإن أمكنك فأت قبور الشهداء وزرهم وأكثر من الدعاء فى تلك المشاهد حتى كأنك تنظر إلى مواقفهم واصنع عند الخروج ما صنعت عند الدخول».

ويقال عن كتاب الفنون لابن عقيل الحنبلى هذا إنه فى ثمانمائة مجلد ويقول الذهبى عنه إنه لم يصنف فى الدنيا أكبر من هذا الكتاب. ومن هو نظير ابن عقيل هذا بين الحنابلة فى الجمع والتحقيق؟ وأنت رأيت نص عبارته فى المسألة على خلاف ما يعزو إليه ابن تيمية.

(١) وجزء البيهقى فى حياة الأنبياء مطبوع فاستغنينا به عن الكلام فى ذلك.

وثابت البنانى دعا أن لا يزال مصليا فى قبره وحديث ذكر حياتهم بقبورهم لما يصح، وظاهر النكران ونحن نقول إنهم أحياء عند ربهم كالشهيد» يعنى وننكر حياتهم فى قبورهم.

قال: «هذى نهايات لأقدام الورى فى ذا المقام الضنك والحق فيه ليس تحمله عقول بنى الزمان لغلظة الأذهان ولجهلهم بالروح هل فى عقولهم أن الروح فى أعلى الرفيق مقيمة بجنان، وتردد أوقات السلام عليه وأجواف الطير الخضر مسكنها لدى الجنات، من ليس يحمل عقله هذا فاعذره على النكران للروح شأن غير ذى الأكوان، وهو الذى حار الورى فيه فلم يعرفه غير الفرد فى الأزمان، هذا وأمر فوق ذا لو قلته بادرت بالإنكار والعدوان فلذاك أمسكت العنان ولو أرى ذاك الرفيق جريت فى الميدان، وقولى إنها مخلوقة وليست كما قال أهل الإفك لا داخلة فينا ولا خارجة عنا - والله - لا الرحمن أثبتم ولا أرواحكم، عطلتم الأبدان من أرواحها والعرش عطلتم من الرحمن.

استشكال معرفة الروح صحيح لكنه ما أظنه يفهمه وإنما قاله تقليداً وإنكاره حياة الأنبياء ليس له عليه حامل صحيح[1].

حياة الأنبياء

(١) وعن أنس مرفوعًا (الأنبياء أحياء فى قبورهم يصلون) رواه أبو يعلى الموصلى والبزار قال الهيثمى ورجال أبى يعلى ثقات. والحياة البرزخية الثابتة للأنبياء فوق الحياة الثابتة للشهداء ويغنينا عن الكلام فى حياة الأنبياء جزء البيهقى المطبوع، نعم انقطعت حاجتهم إلى الأكل والشرب من مآكل هذه الدار ومشاربها ولذلك صح وصفهم بالموت ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر:٣٠] وحامل الناظم على إنكار حياتهم البرزخية هو التذرع بذلك إلى تحريم التوسل بهم عن هوى وفى دفع الشبه للتقى الحصنى ووفاء الوفاء للنور السمهودى وغيرهما أحاديث وآثار كثيرة فى الندب إليه، وليس هذا موضع سرد لتلك الأحاديث وله موضع آخر وفى المطالب العالية للرازى وفى شرح المقاصد للتفتازانى وفيما علقه الشريف الجرجانى على شرح المطالع ما يسكن إليه صدور المقتدين بأئمة أصول الدين من البيان فى هذه المسألة، وكنت بسطت المسألة قبل سنين متطاولة فى (إرغام المريد) الذى كنت ألفته سنة ١٣٢٠ ولا بأس فى أن أورد هنا بعض ما كنت نقلته فيه، مما قاله الفخر الرازى والسعد التفتازانى، والشريف الجرجانى فى هذا الصدد فإنهم أئمة فى أصول الدين يميزون بين الحق والباطل والتوحيد والإشراك حق التمييز، ولا يرميهم أحد من أهل الحق بنزعة تخالف مذهب أهل الحق فى هذه المسألة ومن الغريب رمى أهل التجسيم لأهل الحق بالإشراك بوسيلة التوسل وفيما ننقله عن أئمة أصول الدين فى هذا الصدد قمع من يرمى أهل الحق=

فصل

قال: «ما معناه منجنيق المعطلة ما يدعونه من التركيب، وللتركيب ستة معان

= بدائه وهم من أبعد الناس عن الإشراك بخلاف من يقول بالجهة والتحيز وسائر لوازم الجسمية تعالى الله عن ذلك.

نصوص من المطالب العالية للفخر الرازى

قال الإمام فخر الدين الرازى بعد بسط مقدمات فى الفصل الثامن عشر من كتابه المطالب العالية وهو من أمتع مؤلفاته فى علم أصول الدين: «وإذا عرفت هذه المقدمات فنقول إن الإنسان إذا ذهب إلى قبر إنسان قوى النفس كامل الجوهر شديد التأثير ووقف هناك ساعة وتأثرت نفسه من تلك التربة حصل لنفس الزائر تعلق بتلك التربة وقد عرفت أن لنفس الميت تعلقًا بتلك التربة أيضًا فحينئذ يحصل لنفس هذا الزائر الحى ولنفس ذلك الإنسان الميت ملاقاة بسبب اجتماعهما على تلك التربة فصارت هاتان النفسان شبيهتين بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع من واحدة منهما إلى الأخرى فكل ما حصل فى نفس هذا الزائر الحى من المعارف البرهانية والعلوم الكسبية والأخلاق الفاضلة من الخضوع لله تعالى والرضا بقضاء الله، ينعكس منه نور إلى روح ذلك الإنسان الميت وكل ما حصل فى نفس ذلك الإنسان الميت من العلوم المشرقة والآثار العلوية الكاملة فإنه ينعكس منه نور إلى روح هذا الزائر الحى، وبهذا الطريق تصير تلك الزيارة سببًا لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور، فهذا هو السبب الأصلى فى مشروعية الزيارة، ولا يبعد أن يحصل فيها أسرار أخرى أدق وأحق مما ذكرناه، وتمام العلم بالحقائق ليس إلا عند الله ا.هـ».

وأما بقاء النفس مدركة لبعض الجزئيات فقد بينها الرازى فى الفصل الخامس عشر من الكتاب المذكور. وقال الرازى أيضا فى تفسيره: «إن الأرواح البشرية الخالية عن العلائق الجسمانية، المشتاقة إلى الاتصال بالعالم العلوى، بعد خروجها من ظلمة الأجساد تذهب إلى عالم الملائكة ومنازل القدس، ويظهر منها آثار فى أحوال هذا العالم فهى المدبرات أمرًا، أليس الإنسان قد يرى أستاذه فى المنام ويسأله عن مشكلة فيرشده إليها ا.هـ».

وقال العلامة سعد الدين التفتازانى فى شرح المقاصد عند إثبات إدراك بعض الجزئيات للميت ردًا على الفلاسفة: «لما كان إدراك الجزئيات مشروطًا عند الفلاسفة بحصول الصورة فى الآلات فعند مفارقة النفس وبطلان الآلات لا تبقى مدركة للجزئيات ضرورةانتفاء المشروط بانتفاء الشرط وعندنا لما لم تكن الآلات شرطًا فى إدراك الجزئيات إما لأنه ليس بحصول الصورة لا فى النفس ولا فى الحس وإما لأنه لا يمتنع ارتسام صورة الجزئى فى النفس بل الظاهر من قواعد الإسلام أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات متجددة جزئية واطلاع على بعض جزئيات أحوال الأحياء، ولا سيما الذين بينهم وبين الميت تعارف فى الدنيا، ولهذا ينتفع بزيارة القبور والاستغاثة بنفوس الأخيار من الأموات فى استنزال الخيرات واستدفاع الملمات، فإن للنفس بعد المفارقة تعلقًا بالبدن وبالتربة التى دفنت فيها، فإذا زار الحى تلك التربة وتوجهت تلقاء نفس الميت حصل بين النفسين ملاقاة وإفاضات ا.هـ».

وقال العلامة الشريف الجرجانى فى أوائل حاشية شرح المطالع معلقًا على ما ذكره شارح المطالع فى صدد بيان الحكمة فى التوسل والصلاة على النبى وآله ﷺ: «فإن قيل هذا التوسل إنما يتصور إذاكانوا=

أحدها: التركيب من متباين كتركيب الحيوان من هذه الأعضاء وتركيب الأعضاء من الأركان الأربعة، الثاني: تركيب الجوار من اثنين يفترقان، الثالث: التركيب من متماثل يدعى الجوهر الفرد، الرابع: الجسم المركب من هيولى وصورة عند الفيلسوف والجوهر الفرد ليس ممكنا، الخامس: التركيب من ذات وأوصاف سموه تركيبا وليس بتركيب، السادس: التركيب من ماهية ووجودها. واختلفوا هل الذات الوجود أو غيره فيكون تركيبًا محالا أو يفرق بين الواجب والممكن حتى أتى من أرض آمد ثور كبير(١)، بل حقير الشأن قال الصواب الوقف فقصاراه أن شك فى الله».

جوابه أنه لم يشك فى الله فى الوجود هل هو زائد أو لا ولا يجوز أن يقال له ثور ولا أنه حقير الشأن، وقد اعترف فى التركيبين الأخيرين بالامتناع فيسأل من أهل اللغة هل القدم واليد والجنب أعضاء(٢) أو صفات.

= متعلقين بالأبدان وأما إذا تجردوا عنها فلا إذ لا جهة مقتضية للمناسبة، قلنا يكفيه أنهم كانوا متعلقين بها متوجهين إلى تكميل النفوس الناقصة بهمة عالية فإن أثر ذلك باق فيهم ولذلك كانت زيارة مراقدهم معدة لفيضان أنوار كثيرة منهم على الزائرين كما يشاهده أصحابُ البصائر اهـ». ورأيت بخط الحافظ الضياء المقدسى الحنبلى فى كتابه -الحكايات المنثورة- المحفوظ تحت رقم ٩٨ من المجاميع بظاهرية دمشق أنه سمع الحافظ عبد الغنى المقدسى الحنبلى يقول إنه خرج فى عضده شىء يشبه الدمل فأعيته مداواته،ثم مسح به قبر أحمد بن حنبل فبرئ ولم يعد إليه، وفى تاريخ الخطيب (١-١٢٣) بسنده إلى الشافعى رضى الله عنه أنه قال: «إنى لأتبرك بأبى حنيفة وأجىء إلى قبره كل يوم -يعنى زائرًا- فإذا عرضت له حاجة صليت ركعتين وجئت إلى قبره وسألت الله تعالى الحاجة عنده فما تبعد عنى حتى تقضى اهـ».

فمن الذى يستطيع أن يعد هؤلاء قبوريين يتعبدون الضرائح؟!

(١) سيف الدين الآمدى المعروف بين الفرق ببالغ الذكاء ذنبه عند الحشوية أنه نشأ حشويًا ثم هداه الله إلى مذهب الأشاعرة ولأجل ذلك يرى متقشفو الحشوية من تمام ورعهم اختلاق حكايات فى حقه ويسعى ابن تيمية جهده فى مناقشته فى معقوله، ويقوم الذهبى بحظه فى الاختلاق عليه فى ميزانه. وتآليفه الخالدة فى أصول الدين وأصول الفقه والجدل هى آية كونه ثورًا كبيرًا فى نظر الناظم فليعتبر.

(٢) فإن اعترف بعد السؤال من أهل اللغة بأنها أعضاء يكون المركب منها من القسم الأول فيكون عابد جسم ذى أعضاء وإن لم يعترف بأنها أعضاء بل قال إنها مجازات عن صفات ثابتة له تعالى فقد ترك مذهبه وكان جهاده فى غير عدو ولكن أنى يعترف بأنها مجازات مع الغلو المشهود فى نحلته؟ ومن ألطف النكت الجارية مجرى الإلزامات الظاهرة على المجسمة ما ذكره الفخر الرازى فى تفسيره (٧-١٤٨) حيث قال: إن من قال إنه مركب من الأعضاء والأجزاء فإما أن يثبت الأعضاء التى ورد ذكرها فى القرآن ولا يزيد عليها وإما أن يزيد عليها، فإن كان الأول لزمه إثبات صورة لا يمكن أن يزاد عليها فى القبح لأنه يلزمه إثبات وجه بحيث لا يوجد منه إلا مجرد رقعة الوجه لقوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ =

فصل

قال: «ودلالة الأسماء مطابقة وتضمن والتزام فالمطابقة يفهم منها ذات الإله والوصف والتضمن دلالته على أحدهما واللازم دلالته على الصفة التى اشتق الاسم منها كالرحمن، فالذات والرحمة مدلولاه تضمنا ودلالته على الحياة بالالتزام».

مقصوده بهذا المبالغة فى القول بالتركيب فى المعنى[1] وإن أنكره باللفظ فيما تقدم، ومدلول الرحمن فى اللغة ذو الرحمة وهو شيء واحد لا مركب وإن كان يتقضى أن له رحمة وكذا ضارب، مدلوله شيء له الضرب ولا نقول بأن الضرب بعض مدلوله وإن كان قاله بعض الأصوليين من جهة تركيب العقل ما دل عليه اللفظ لا من جهة أن الواضع وضعه لهما كما أشعر به كلام هذا الفدم، واستعماله فى الأسماء المقدسة جرأة جرأتها عقيدة سوء ميالة إلى معنى التركيب.

فصل

قال: «الملحدون ثلاثة: المشركون وإخوانهم الاتحادية، والثانى: المعطلة يقولون

= [القصص: ٨٨] ويلزمه أن يثبت فى تلك الرقعة عيونا كثيرة لقوله تعالى: ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر:١٤] وأنى يثبت له جنبا واحداً لقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦] وأن يثبت على ذلك الجنب أيدى كثيرة لقوله تعالى: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾ [يس:٧١] وبتقدير أن يكون له يدان فإنه يجب أن يكون كلاهما على جانب واحد لقوله ﷺ: «وكلتا يديه يمين» وأن يثبت له ساقًا واحدة لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] فيكون الحاصل من هذه الصورة مجرد رقعة الوجه ويكون عليها عيون كثيرة وجنب واحد ويكون عليه أيد كثيرة وساق واحد ومعلوم أن هذه الصورة أقبح الصور ولو كان هذا عبداً لم يرغب أحد فى شرائه فكيف يقول العاقل إن رب العالمين موصوف بهذه الصورة؟! وإن كان الثانى وهو أن لا يقتصر على الأعضاء المذكورة فى القرآن بل يزيد وينقص على وفق التأويلات فحينئذ يبطل مذهبه فى الحمل على مجرد الظواهر ولابد له من قبول دلائل العقل اهـ.

(١) لأن كلام أهل العربية فى الدلالات الثلاث (دلالة اللفظ على تمام ما وضع له مطابقة وعلى جزئه تضمن وعلى الخارج اللازم التزام) والاجتراء على إجراء ذلك فى الأسماء المقدسة مبالغة فى القول بالتركيب فى المعنى بإثبات الجزء فى دلالتها كما قال المصنف على أن ابن حزم قطع على الحشوية سيل التقول بالمرة بأن قال إن الأسماء الحسنى أسماء أعلام للذات العلية لا تدل على الصفات باعتبار أن الله سماها أسماء فضاقوا ذرعًا من كلامه هذا جداً وليس هذا موضع توسع لبيان ما له وما عليه، وكفى للبصير مجرد الإشارة إليه.

ما ثم غير الاسم عطل حرف ثم أول وافقها واقذف بتجسيم وبالكفران للمثبتين، فإن احتجوا عليك فقل مجاز فإن غلبت عن المجاز فقل الألفاظ لا تفيد اليقين فإن غلبت عن تقريره فقل العقل مقدم على النقل، والثالث: منكر الخالق الصانع لا يوحشنك غربة بين الورى قل لى متى سلم الرسول وصحبه وتظن أنك وارث لهم ولا جاهدت فى الله حق جهاده».

هذا الرجل قال قبل ذلك إنه لم ينكر أحد الخالق وقد ناقض هنا وجعل القسم الثانى من الملحدة خصماءه ووصفهم بما قال، وهم هداة الأمة.

«فصل»

فى النوع الثانى من توحيد المرسلين المخالف لتوحيد المعطلين والمشركين».

قال: «وهو أن لا تعبد غير الله، فالمشركون اتخذوا أندادًا يحبونهم كحب الله، ولقد رأينا من فريق يدعى الإسلام شركا جعلوا له شركاء سووهم به فى الحب بل زادوا لهم حبا - والله - ما غضبوا إذا انتهكت محارم ربهم حتى إذا ما قيل فى الوثن الذى يدعونه ما فيه من نقصان فأجارك الرحمن من غضب ومن حرب ومن شتم ومن عدوان وضرب وتعزير وسب وتسجان، قالوا تنقصت الأكابر والأمر -والله العظيم - يزيد فوق الوصف، وإذا ذكرت الله توحيدًا رأيت وجوههم مكسوفة الألوان، وإذا ذكرت بمدحة شركاءهم يستبشرون - والله - ما شموا روائح دينه» انتهى ثناؤه على المسلمين قبحه الله.

«فصل»

فى صفة العسكرين وتقابل الصفين واستدارة رحى الحرب العوان وتصاول الأقران».

أبصر كيف يوقع الملعون العداوة بين المسلمين.

فذكر جماعة ثم قال: «وخيار عسكرهم فذاك الأشعرى الفدم» أو القرم «ذاك مقدم الفرسان».

سواء أقام الفدم أو القرم قد جعله من عسكر الملحدين.

قال: «لـكنكم ما أنتم على إثبـاته صفـوا الجيـوش وعبـئوها وأبرزوا للـحرب واقتربوا مـن الفرسان فهم إلى لقـياكم بالشوق كى يوفوا بنذرهم من القـربان، تبّا لكم لو تستـحون لكنتم خلف الخـدور كأضعف النسـوان، من أين أنتم والحديث وأهله ما عندكم إلا الدعاوى والشكاوى وشهادات على البهتان هذا الذى والله نلنا منكم قبح الإله مناصبا وماكلا قامت على البهتان والعدوان».

أيكون أقبح من هذا الإغراء.

فصل

فى الهدنة بين المعطلة والاتحادية حزب جنكسخان

قال: «يا قوم صالحتم نفاة الذات ولأجل ذا كنتم مخانيثًا لهم» ينبغى أن يعرض عن كلام هذا المتخلف.

فصل

فى مصارع المعطلة بأسنة الموحدين

قال: «وإذا أردت ترى مصارع من خلا من أمة التعطيل وترى وترى وترى فاقرأ تصانيف الإمام حقيقـة شيخ الوجود العالم الربانى أعنى أبا العباس[1] واقرأ كتاب

كلمة صاحب الدرة المضيئة فى ابن تيمية

(١) وعن هذا الشيخ الذى يطربه الناظم يقول صاحب الدرة المضيئة: «قد أحـدث ابن تيمـية مـا أحدث فى أصول العـقائد ونقض من دعائم الإسلام الأركـان والمعاقد، بعد أن كـان متستـراً بتبعيـة الكتاب والسنة، مظهراً أنه داع إلى الحق هاد إلى الجنة، فخرج عن الاتباع إلى الابتداع، وشذ عن جماعة المسلمين بمخالفة الإجمـاع، وقال بما يقتضى الجـسمية والتـراكيب فى الذات المقدسـة وبان الافتقار إلى الجـزء ليس بمحال وقال بحلول الحوادث بذات الله تعالى وأن القرآن محدث تكلم الله به بعد أن لم يكن وأنه يتكلم ويسكت ويحدث فى ذاتـه الإرادات بحسب المخلوقات، وتـعدى فى ذلك إلى استـلزام قدم العالم بالـقول بأنه لا أول للمخلوقات، فـقال بحوادث لا أول لها فأثبت الصـفة القديمة حادثة والمخلوق الحـادث قديمًا، ولم يجـمع أحد هذين القـولين فى ملة من الملل ولا نحلة من النحـل فلم يدخل فى فرقـة من الفرق الثـلاث والسبعين التى افـترقت عليها الأمة وكل ذلك وإن كان كـفراً شنيعًا مما تقل جملته بالنسـبة إلى ما أحدث فى الفروع فإن مـتلقى الأصول عنه وفاهم ذلك منه هم الأقلون والداعى إليـه من أصحابه هم الأرذلون، وإذا حوقـقوا فى ذلك أنكروه. وأمـا ما أحدثه فى الفـروع فأمر قـد عمت به البلوى.. وقـد بث دعاته فى أقطار الأرض لنشـر دعوته الخبيثـة وأضل بذلك جمـاعة من العـوام ومن العرب والفلاحـين.. ولبس=

العقل والنقل، والمنهاج[١] والتأسيس وغيرها وقرأت أكثرها عليه فزادنى - والله - فى علم وفى إيمان، هذا ولو حدثت أنه قبلى يموت لكان غير الشأن وله المقامات الشهيرة أبدى فضائحهم[٢] وبين جهلهم وأصارهم تحت حال أهل الحق، كانت نواصينا بأيديهم فصارت نواصيهم بأيدينا وغدت ملوكهم مماليكًا والفدم يوحشنا وليس هناكم فحضوره ومغيبه سيان».

وهذا الفصل تسعون بيتا ماذا تضمن من الكذب الذى يدل على أن قائله خرق جلباب الحياء.

«فصل»

يزيد على مائة وعشرين بيتا مما يهيج ويوقع العداوة وليس فيه قط إفادة.

«فصل»

فى كسر الطاغوت الذى نفوا به الصفات

ثمانية وثمانون بيتا كلها تهييج وإشلاء وسفاهة.

من جملتها:

= عليهم.. اهـ».

والدرة المضيئة هذه مطبوعة ضمن المجموعة السبكية ونسخة مخطوطة منها موجودة فى مكتبة أيا صوفيا فى اسطنبول. ومثل هذا الضال المضل اتخذه الناظم قدوة فى فتنه عاملهما الله تعالى بعدله. ولم يكن بعض علماء أهل الحق لهما إلا بغضًا فى الله شأنهم مع كل زائغ، ومن حمل ذلك على الحسد لم يعرف سيرة الرادين عليه ولا مبلغ زيغ الناظم وشيخه فمثل هذا القول ينبئ عن جهل قائله أو زيغه.

(١) مطبوع فى هامش منهاجه، وأما التأسيس فى رد أساس التقديس فقد فضح ابن تيمية به نفسه وهو فى ضمن الكواكب الدرارى لابن زكنون الحنبلى فى المجلدات (رقم ٢٤، ٢٥، ٢٦) بظاهرية دمشق وقد سبق أن وصفت الكواكب فيما علقته على المصعد الأحمد لابن الجزرى فلو قام بطبع التأسيس أحدهم لما بقى من أهل البسيطة أحد لم يعلم دخائل ابن تيمية. وقد نقلت منه نصوصًا كثيرة فيما علقت على هذا الكتاب كما سبق فى مواضع على أن مبلغ زيفه ظاهر من الكتابين المذكورين لمن ألقى السمع وهو شهيد، ويتبجح بهما هذا الزائغ كتبجحه بالتأسيس، هكذا شأن مقلدة الزائغين يثنون على الزيغ ويزدادون غواية. وقد أشرت إلى بعض ما فى منهاجه ومعقوله فى «الإشفاق على أحكام الطلاق» فليراجع هناك.

(٢) كلا بل فضح نفسه وأذنابه وقادته وأصارهم تحت نعال أهل الحق بجهله وخرقه ولم يزل ينقل من محبس إلى محبس ومن هوان إلى هوان حتى أفضى إلى ما عمل وخلف شواذه وصمة الأبد، لكن قاتل الله الوقاحة تحاول قلب الحقائق.

فتعين الإلزام حينئذ على قول الرسول ومحكم القرآن
وجعلتهم أتباعه مانسترا خوفًا من التصريح بالكفران

«والله - ما قلنا[1] سوى ما قاله فجعلتمونا جنة والقصد مفهوم فنحن وقاية القرآن».

ما يحسن أن يتخيل أحد فى مسلم أنه يقصد الرد على القرآن والرسول ثم قال: «والله لو نشرت لكم أشياخكم عجزوا

إن كنتم فحولا فابرزوا ودعوا الشكاوى حيلة النسوان
وإذا اشتكيتم فاجعلوا الشكوى إلى الوحيين[2] لا القاضى ولا السلطان

«فصل»

فى مبدأ العداوة بين الموحدين والمعطلين

قال «يا قوم تدرون العداوة بيننا من أجل ماذا؟ إنا تحيزنا إلى القرآن والنقل الصحيح والعقل الصريح فاشتد ذاك الحرب بين فريقنا وفريقكم وتأصلت تلك العداوة من يوم أمر إبليس بالسجود فأتى التلاميذ الوقاح فانظر إلى ميراثهم ذا الشيخ هذا الذى ألقى العداوة بيننا».

---

(١) اتق الله لا تحلف به كذبًا هذا الكذب المكشوف أين قال الله أو قال رسوله ﷺ إن الله متمكن على العرش تمكن استقرار أو إن الحوادث تقوم به؟ أو إن الحوادث لا أول لها وإن من لم يقل ذلك معطل ملحد وإنه فى جهة العلو من رءوس العباد أو إنه تكلم بحرف وصوت إلى آخر تلك المخازى أو أين قال الله أوقال رسوله ﷺ إن المنزهين لله من المادة والماديات والجسم والجسمانيات من حزب جنكيزخان.

(٢) إن كان يريد بهما الكتاب والسنة فقد ظهر ظهوراً لا مزيد عليه بما بسطناه فى هذا الكتاب من تحاكمنا إليهما أنا على الحق وخصومنا على الزيغ والضلال المبين، وإن كان يريد بهما وحى شياطين الجن ووحى شياطين الإنس على ما هو الظاهر من تلبيساته فلسنا نتحاكم معه إلى الطواغيت ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء:٢٢٧] ولا بأس أن أهمس فى أذنه وآذان أشياعه أنه لم يبق فى غالب البلاد سلطان لأحكام الشرع يخاف الفاتنون جانبه بسبب تلك الفتن الدامية التى كانت الحشوية يثيرونها على طول القرون فى أخطر أيام الإسلام حتى تركوا الشرع لا سلطان له إلا على قلوب المسلمين حقًا وأصبح الإسلام بالحالة التى نراها والله سبحانه وتعالى ينتقم من هؤلاء الفاتنين الدائبين على السعى فى تفريق كلمة المسلمين وتوهين سلطان الدين وأعاد إلى الدين سلطانه، إنه قريب مجيب.

فصل

فى أن التعطيل أساس الزندقة

قال «من قال إن الله ليس بفاعل فعلا يقوم[١] به وليس أمره قائما به وليس فوق عباده، فثلاثة لا تبقى من الإيمان حبة خردل وقد استراح من القرآن والرسول وشريعة الإسلام وتمام ذاك جحوده للصفات وتمامه الإرجاء وتمامه قوله فى المعاد»[٢].

«فصل»

فى بهت أهل الشرك والتعطيل

قال: «قالوا تنقصتم رسول الله. واجبا ونظيره قول النصارى إنا تنقصنا المسيح».

هذه الفصول كلها كما ترى.

فصل

قال: «ولنا الحقيقة من كلام إلهنا ونصيبكم منه المجاز الثانى وخيامنا مضروبة بمشاعر الوحيين وخيامكم»[٣]. مضروبة فى التية فالمكان كل ملدد حيران هذه

(١) كم يكرر الناظم قيام الفعل به تعالى وهو الذى دعاه وشيخه إلى القول بحوادث لا أول لها وهذا من الخطورة بمكان، قال الإمام أبو منصور عبد القاهر فى أصول الدين: وأما جسمية خراسان من الكرامية فتكفيرهم واجب لقولهم بأن الله له حد ونهاية من جهة السفل، ومنها يماس عرشه ولقولهم بأن الله محل للحوادث وإنما يرى الشىء برؤية تحدث فيه ويدرك ما يسمعه بإدراك يحدث فيه ولولا حدوث الإدراك فيه لم يكن مدركًا لصوت ولا مدركًا لمرئى وقد أفسدوا بإجازة حلول الحوادث فى ذات الله تعالى لأنفسهم دلالة الموحدين على حدوث الأجسام بحلول الحوادث ا.هـ. وأنت عرفت مذهب الناظم فى تلك المسائل.

(٢) ثم قال: (وتمام هذا قولكم بفناء دا ر الخلد فالداران فانيتان) مع أن الناظم يقول فى كثير من كتبه بنفى الخلود للكفار فى النار وبهذا حكم على نفسه بالكفر، انظر كلامه فيمن لا يرى قيام الحوادث بالله والفوقية المكانية له تعالى. وجعل العمل جزءًا من الإيمان حقيقة مؤد إلى تكفير مرتكبى الكبائر كما هو مذهب الخوارج. ونفى قيام الأفعال الحادثة به تعالى بعده نفى الصفات والله ينتقم منه.

(٣) بل أهل السنة هم الذين جمعوا بين الكتاب والسنة وآثار السلف والبراهين العقلية التى هى من حجج الله سبحانه، من غير إهمال شىء منها، مراعين مراتب الأدلة ووجوه الدلالة وإنما مذهب السلف عدم الخوض فى الصفات مع التنزيه العام وهم من أبعد الناس عن حمل ما فى كتاب الله وما صح فى السنة=

شهادتهم على محصولهم عند الممات والله يشهد أنهم أيضا كذا ولنا المسانيد والصحاح ولكم تصانيف الكلام ونقول: قال الله قال رسوله فى كل تصنيف وكل مكان لكن تقولون: قال أرسطو وقال ابن الخطيب[1] وقال ذو العرفان شيخ لكم يدعى ابن سينا، وخيار ماتأتون قال: الأشعرى وتشهدون[2] عليه بالبهتان والكفر عندكم خلاف شيوخكم ووفاقهم فحقيقة الإيمان».

انتهى، يكفيه أن ينسب القائلين عند موتهم بالعجز عن حقيقة الإدراك إلى الكفر وهى كلمة الصديق الأكبر (إن العجز عن حقيقة الإدراك إدراك).

«فصل»

أنكر فيه على خصومه تكفيرهم إياه وقال «اسمع إذن يا منصفا حكميهما وانظر إذن هل يستوى الحكمان، هم عندنا قسمان أهل جهالة ومعاند فالمعاند كافر والجاهل نوعان أحدهما متمكن من العلم فهو فاسق وفى كفره قولان، والوقف

= على ما يوهم التشبيه فإذا تكلموا إنما يتكلمون بما يوافق التنزيه وهم الذين يقولون فيما صح لفظه: «أمروه كما جاء بدون تفسيره بل تفسيره قراءته بلا كيف ولا معنى» كما تواتر ذلك عن السلف ولا سيما عن أحمد وقد ذكرنا بعض نصوص لهم فى ذلك، وأما أصحاب الناظم فهم الذين جمعوا بين الإسرائيليات والجاهليات وأنواع الخرافات والأخبار الموضوعات كما يظهر من كتبهم فى العلو والسنة والتوحيد والنحل أين فى الصحاح والسنن (ينزل بذاته) و(يستوى على العرش استواء استقرار وجلوس) و(يتحرك) و(يتكلم بصوت)؟ فلو وقفوا حيث وقف الكتاب والسنة والبرهان العقلى وأبوا الخوض فى الصفات بعقولهم الضئيلة لكانوا على الهدى لكنهم حادوا وزادوا. قاتلهم الله ما أوقحهم وأشنع إفكهم على أهل الحق.

عظم شأن الفخر الرازى فى الرد على الحشوية

(١) هو الإمام فخر الدين الرازى، سيف الله المسلول على المجسمة وهو من أبغض أهل العلم إليهم لأنه تمكن ببيانه الواضح وبرهانه الدامغ من إزالة شرور المجسمة من بلاد الشرق كما أجهز على المجسمة الذين أووا إلى الشام بكتابه (أساس التقديس) وهو كتاب يحق أن يكتب بماء الذهب وأن يجعل من كتب الدراسة فى بلاد تشيع فيها مخازى المشبهة وهو كاف فى قمعهم، والله سبحانه يكافئه على ذلك، وتفسيره الكبير من أهل الكتب فى الرد على الحشوية وفى ذلك ما يكون كفارة لما بدر منه من بعض أغلاط، سامحه الله وأعلى منزلته فى الجنة.

(٢) ومذهبه هو ما فى كتب أصحابه وأصحاب أصحابه كأبى منصور عبد القاهر البغدادى والقشيرى وابن الجوينى ونحوهم وقد أفنى الحشوية مؤلفات الإمام فى فتن بغداد وتصرفوا فيما بالأيدى من كتبه ودسوا ما شاءوا، قاتلهم الله.

عندى فيهم لست الذى بالكفر أنعتهم ولا الإيمان، والله أعلم بالبطانة منهم لكنهم مستوجبون عقابه قطعا لأجل البغى والعدوان، النوع الثانى عاجز عن بلوغ الحق مع قصد وإيمان وهم ضربان أحدهما قوم دهاهم حسن ظنهم بشيوخهم فمعذورون إن لم يظلموا أو يكفروا والآخرون طالبون للحق لكن صدهم عن علمه شيئان أحدهما طلب الحقائق من سوى أبوابها فأولاء بين الذنب والأجرين فانظر إلى أحكامنا فيهم وأحكامهم فينا».

انتهى كلامه وهو كلام من يعتقد أن خصومه خارجون بتكفيره وخصومه يقولون لا نكفر أحدًا من أهل القبلة.

فصل

في أذان أهل السنة بصريحها جهرا على رءوس منابر الإسلام

قال «شبهتم الرحمن بالأوثان[١] فى عدم الكلام هم أهل تعطيل وتشبيه معًا بالجامدات تسعون وجها يبطل المعنى الذى قلتم هو النفس[٢] للقرآن».

ناحت العجل

(١) بل من قال إن كلام معبوده حرف وصوت قائمان به فهو الذى نحت عجلاً: «لا يحل لمسلم أن يعتقد أن كلام الله صوت وحرف لا من طريق العقل ولا من طريق الشرع، فأما طريق العقل فلأنه الصوت والحرف مخلوقان محصوران، وكلام الله يجل عن ذلك كله وأما من طريق الشرع فلأنه لم يرد فى كلام الله صوت وحرف من طريق صحيحة ولهذا لم نجد طريقًا صحيحة لحديث ابن أنيس وابن مسعود ا.هـ».

وأنت تعلم مبلغ استبحار ابن العربى فى الحديث وجزء الصوت للحافظ أبى الحسن المقدسى لا يدع أى متمسك فى الروايات في هذا الصدد لهؤلاء الزائغين ومن رأى نصوص فتاوى العز بن عبد السلام وابن الحاجب والجمال الحصيرى والعلم السخاوى ومن قبلهم ومن بعدهم من أهل الحق كما هو مدون فى نجم المهتدى ودفع الشبه وغيرهما يعلم مبلغ الخطورة فى دعوى أن كلام الله حرف وصوت قائمان به تعالى وقد سبق نقل بعض النصوص منها ولا تصح نسبة الصوت إلى الله إلا نسبة ملك وخلق لكن هؤلاء السخفاء رغم تضافر البراهين ضدهم ودثور الآثار التى يريدون البناء عليها يعاندون الحق ويظنون أن كلام الله من قبيل كلام البشر الذى هو كيفية اهتزازية تحصل للهواء من ضغطه باللهاة واللسان، تعالى الله عن ذلك، ويدور أمرهم بين التشبيه بالصنم أوالتشبيه بابن آدم ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف:١٧٩].

الكلام النفسى

(٢) وقد صح عن أحمد فيما جاوب به المتوكل وغيره كما هو مذكور فى كتاب السنة وعيون التواريخ وغيرهما أنه كان يقول القرآن من علم الله وعلم الله غير مخلوق فالقرآن غير مخلوق وهذا دليل على أنه=

ولا وجه واحد (وتسعون إلى آخره ساقطة من المطبوع)

قال: «وإليه قد عرج الرسول حقيقة».

جسدا له خوار يحمل أشياعه على تعبده قال أبو بكر ابن العربى فى العارضة.

أين فى القرآن إليه؟

«قال والله أكبر من أشار رسوله حقا إليه بأصبع وبنان)

= كان يريد بالقرآن ما هو قائم بالله، وتابعه ابن حزم فى الفصَل. فقوله تعالى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [يوسف:٧٧] فقال إما بدل من أسر أواستئناف بيانى وعلى التقديرين تدل الآية على أن للنفس كلامًا لقوله فى نفسه (كما حكى القرآن) ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾ [الزخرف: ٨٠] وفى الحديث السر ما أسره ابن آدم فى نفسه وقوله تعالى: ﴿... يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا﴾ [آل عمران:١٥٤] أى يقولون فى أنفسهم بدليل السياق وقوله تعالى ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ﴾ [الأعراف:٢٠٥].

كل ذلك من أدلة الكلام النفسى وحديث أم سلمة فى الطبرانى فى رجل سأل النبى ﷺ قائلا: (إنى لأحدث نفسى بالشىء لو تكلمت به لأحبطت أجرى) فقال ﷺ: لا يلقى ذلك الكلام إلا مؤمن. وما فى الحديث القدسى (فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى) من أدلة الكلام النفسى أيضًا وقد أقر الذهبى بحجية الأخير فى ذلك فى كتاب العلو له، ومن الدليل على ذلك أيضًا قوله تعالى ﴿وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ﴾ [المجادلة:٨] فقوله ﴿بِأَلْسِنَتِهِم﴾ و ﴿بِأَفْوَاهِهِم﴾ فى قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح:١١] و ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٧] لم يجعل القول باللسان مجازًا حتى يظن المجازية فى القول فى النفس تمسكا بلفظ ﴿فِي أَنفُسِهِمْ﴾ كما توهم بعض أهل الأهواء وقول عمر الفاروق (زورت فى نفسى كلاما) أشهر من نار على علم، فمن رد أن يكن كلام فى النفس رد على تلك الأدلة الصريحة والحامل لأهل الحق على القول بالكلام النفسى هو إجماع التابعين على القول بأن القرآن كلام الله غير مخلوق فخرجوا إجماعهم هذا على هذا الوجه المعقول وإلا لما صح قولهم. وتسفيه أحلام التابعين جميعًا لا يصدر إلاعن مجازف فالفرق بين ما هو قائم بالخلق والمعنى القائم بالله سبحانه هو المخلص الوحيد فى هذه المسألة فاللفظى حديث والنفسى قديم كما أشار إلى هذا وإلى ذاك إمام الأئمة أبو حنيفة وتابعه أهل الحق. ويتضح بهذا البيان الواضح أن قول بعض زهاد الحشوية فى هذا البحث: «نحن نستدل فى الحرف والصوت بقوله تعالى: ﴿كهيعص﴾ [مريم:١] ونحوه وقول النبى ﷺ: (يجمع الله الخلائق يوم القيامة....) وخصومنا يستدلون بقول الأخطل النصرانى (إن البيان لفى الفؤاد) بتحريف البيان إلى الكلام» هواء بعيد عن الحقيقة بعد الأرض عن السماء وهراء لايصدر إلامن السفهاء ومثل هذا السفه حمل بعض الشافعية أن يشترط فى مدرسة بناها بدمشق أن لا يطأ أرضها يهودى ولا نصرانى ولا حشوى حنبلى كما فى الدارس فى تاريخ المدارس وقانا الله شر الغلو.

أين فى الحديث إليه؟

«قال والله فوق العرش والكرسى»

أين فى القرآن إن الله فوق العرش؟

فصل

فى تلازم التعطيل والشرك

«قال: واعلم بأن الشرك والتعطيل مذ كانا هما لا شك مصطحبان أبدا فكل معطل هو مشرك».

سواء أراد بالتعطيل الإنكار للذات أو إنكار الصفات أو بعضها هو مباين للشرك.

قال: «والناس فى ذا ثلاث طوائف: إحدى الطوائف مشرك بإلهه فإذا دعاه دعا إلها ثانى، وثانيها: جاحد يدعو سوى الرحمن، هو جاحد للرب يدعو غيره شركا وتعطيلا له قدمان».

هذا ما يستقيم يا هذا.

قال: «وثالث هذه الأقسام خير الخلق فمعطل الأوصاف ذو شرك كذا ذو الشرك فهو معطل الرحمن».

فصل

قال:

لكن أخو التعطيل شر من أخى الإشراك بالمعقول والبرهان

والله لا معقول ولا برهان وأخذ يبينه بما لا يصح وإن كان فيه شىء كثير من الصحيح لا يحصل به مقصوده بل يلبس له.

ثم قال:

لكن أخو التعطيل ليس لديه إلا النفى أين النفى من إيمان

فصل

فى مثل المشرك والمعطل

قال:

أين الذى قد قال فى ملك عظيـ ـم لست فينا قط ذا سلطان

فذكر ثمانية أبيات من هذا الخطاب الذى قد خرق حجاب الهيبة ثم قال: «هذا وثان قال أنت مليكنا إذ حزت أوصاف الكمال ولقد جلست على سرير الملك متصفا بتدبير عظيم الشان».

هذا تصريح بالجلوس،[1] (وفى المطبوع وقد استويت).

(١) يعجب المصنف كيف يصرح الناظم بالجلوس. ولأحد تلامذته الأخصاء جزء فى إثبات المماسة ردًا على من ينزه الله سبحانه عن ذلك وما ينطوى عليه هؤلاء أفظع بكثير من فلتات لسانهم فلو كانوا بين قوم على معتقدهم لكنت تراهم يصرحون بكل ما تكن صدورهم قال ذلك التلميذ أعنى محمدًا المنبجى صاحب الفرج بعد الشدة فى الجزء المذكور: قال الخلال فى كتاب السنة حدثنا أحمد بن الحسين الرقى حدثنا إبراهيم بن المنذر حدثنا محمد بن فليح حدثنى أبى عن سعيد بن الحارث عن عبيد بن حنين قال بينما أنا جالس فى المسجد إذ جاءنى قتادة بن النعمان يحدث وثاب إليه الناس، فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله لما فرغ من خلقه استوى على عرشه واستلقى ووضع إحدى رجليه على الأخرى وقال إنها لا تصلح لبشر». قال الحافظ الذهبى وغيره إسناده على شرط البخارى ومسلم ا.هـ

ولعلك علمت بذلك قيمة كتاب السنة للخلال، وفى ذلك الجزء من المخازى ما يضاهى ما نقلناه آنفًا، ولابن بدران الدشتى جزء فى إثبات الحد والجلوس لله سبحانه ويسوق فيه الحديث المذكور بطرق كما ذكرت ذلك فيما علقت على ذيول طبقات الحفاظ، قاتلهم الله، ما أجرأهم على الله، ولعلك علمت بذلك أيضًا قيمة تهويلهم بأنهم يتابعون السنة كما علمت قيمة تصحيحهم للروايات المطابقة لزيغهم.

تنبيه:

الذهبى يبعد عن رشده ويفقد صوابه إذا جاء دور الكلام على أحاديث فى الصفات أو فى فضائل النبى صلى الله عليه وآله وسلم أو أهل بيته عليهم السلام وكذلك حينما يترجم لشافعى من الأشاعرة أو حنفى مطلقًا رغم تظاهره بالإنصاف والبعد عن التعصب فى كثير من المواضع على سعة علمه فى الحديث ورجاله. فهل يتصور من عالم يعقل ما يقول أن يصحح مثل هذا الحديث الذى بطلانه أظهر من الشمس فى ضحوة النهار؟ فطالب الحق لا يعير سمعًا لأقواله فيما ذكرناه. وهو شافعى الفروع إلا أنه مجسم اعتقادًا رغم تبريه منه فى كثير من المواضع وعنده نزعة خارجية وإن كان أهون شرًا بكثير من الناظم وشيخه فى ذلك كله، ومن لا يكون متساهلا فى أمر دينه، لا يثق بكلام مثله فيما ذكرناه بعد أن عرف دخائله والتاج ابن السبكى أطرأه غاية الإطراء حيثما ترجم له فى طبقات الشافعية الكبرى أداء لحق التلمذة عليه لكن لم يمنعه ذلك من الإشارة إلى ما ينطوى عليه من البدع والأهواء فى مواضع من=

....

= كتابه حيث قال فى الكتاب المذكور (١-١٩٧): وأما تاريخ شيخنا الذهبى فإنه على حسنه وجمعه مشحون بالتعصب المفرط، لا آخذه الله فلقد أكثر الوقيعة فى أهل الدين.. أعنى الفقراء الذين هم صفوة الخلق، واستطال بلسانه على كثير من أئمة الشافعيين والحنفيين ومال فأفرط على الأشاعرة ومدح فزاد فى المجسمة ا.هـ حتى عده لا يعول على تراجمه لهؤلاء، وقال أيضًا فى حقه (٢-٢٤٩) من الكتاب المذكور: وتأتى أنت تتسكع فى ظلم التجسيم الذى تدعى أنك برىء منه وأنت من أعظم الدعاة إليه وتزعم أنك تعرف هذا الفن (يعنى علم أصول الدين) وأنت لا تفهم منه نقيراً ولا قطميراً ا.هـ.

حال الذهبى.. ما له وما عليه

وقال أيضًا فى ترجمة ابن جرير ناقلا عن الحافظ صلاح الدين العلائى أنه قال عن الذهبى ما نصه: «لا أشك فى دينه وورعه وتحريه فيما يقوله عن الناس ولكنه غلب عليه مذهب الإثبات ومنافرة التأويل والغفلة عن التنزيه حتى أثر ذلك فى طبعه انحرافًا شديداً عن أهل التنزيه وميلا قويًا إلى أهل الإثبات فإذا ترجم واحداً منهم يطنب فى وصفه بجميع ما قيل فيه من المحاسن ويبالغ فى وصفه ويتغافل عن غلطاته ويتأول له ما أمكن، وإذا ذكر أحداً من الطرف الآخر كإمام الحرمين والغزالى ونحوهما لا يبالغ فى وصفه ويكثر من قول من طعن فيه ويعيد ذلك ويبديه ويعتقده دينًا وهو لا يشعر ويعرض عن محاسنهم الطافحة فلا يستوعبها وإذا ظفر لأحد منهم بغلطة ذكرها وكذلك يفعل فى أهل عصرنا إذا لم يقدر على أحد منهم بتصريح يقول فى ترجمته والله يصلحه.. ونحو ذلك وسببه المخالفة فى العقائد، انتهى».

قال التاج ابن السبكى عقب ما تقدم ما نصه: «والحال فى شيخنا الذهبى أزيد مماوصف وهو شيخنا ومعلمنا غير أن الحق أحق أن يتبع وقد وصل من التعصب المفرط إلى حد يسخر منه وأنا أخشى عليه يوم القيامة عند من لعل أدناه عنده أوجه فالله المسئول أن يخفف عنه وأن يلهمهم العفو عنه وأن يشفعهم فيه، والذى أدركنا عليه المشايخ النهى عن النظر فى كلامه وعدم اعتبار قوله ولم يكن يستجرى أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أنه لاينقل عنه ما يعاب عليه، وأما قول العلائى عن [دينه وورعه وتحريه فيما يقوله] فقد كنت أعتقد ذلك وأقول عند هذه الأشياء ربما اعتقدها دينا، ومنها أمور أقطع بأنه يعرف بأنها كذب وأقطع بأنه لا يختلقها وأقطع بأنه يحب وضعها فى كتبه لتنتشر وأقطع بأنه يحب أن يعتقد سامعها صحتها بغضًا للمتحدث فيه وتنفيراً للناس عنه مع قلة معرفته بمدلولات الألفاظ ومع اعتقاده (أن ذلك) مما يوجب نصر العقيدة التى يعتقدها هو حقًا، ومع عدم ممارسته لعلوم الشريعة غير أنى لما أكثرت بعد موته النظر فى كلامه عند الاحتياج إلى النظر فيه توقفت فى تحريه فيما يقوله ولا أزيد على هذا غير الإحالة على كلامه».. إلى آخر ما قاله فليراجع باقى كلامه من أراد المزيد على ما نقلنا.

وقال التاج أيضًا فى طبقاته وهو يترجم لإمام الحرمين مانصه: «وقد كان الذهبى لا يدرى شرح البرهان، ولا هذه الصناعة، ولكنه يسمع خرافات من طلبة الحنابلة فيعتقدها حقًا ويودعها تصانيفه» هذا قدر عقلية الذهبى وقدر تحريه عند صاحب الطبقات، ولعل القارئ يرى هذه العقلية من أسخف العقليات كيف لا وهى عقلية ترى الخرافات حقًا تودع فى المصنفات ويبنى عليها ما يتخذه عباد الله دينا، ورجل هذا حاله أى قدر يكون قدره عند أولى النهى، الذين عرفوا دخائله.

ولسنا نطيل النقل للقارئ فى شأن سقوط كلام هذا الرجل فى علماء الحنفية والمالكية والشافعية=

....

= وهم قادة الأمة وأدلاؤها إذا ادلهم ليل المشكلات وكفى القارئ فى هذا الرجل قول ابن السبكى السابق (والذى أدركنا عليه المشايخ النهى عن النظر فى كلامه وعدم اعتبار قوله) فإن هذا معناه القضاء على الرجل وإسقاطه من عداد العلماء الذين يحترم قولهم، ليتأمل القارئ طويلاً فى قول التاج ابن السبكى السابق أيضًا (ولم يكن يستجرى أن يظهر كتبه التاريخية إلا لمن يغلب على ظنه أن لا ينقل عنه ما يعاب عليه) فإن هذا معناه أن الرجل كان يعلم حق العلم أنه قال فى تلك الكتب ما يوقن أنه ليس بحق، ولذلك كان يحرص على أن لا يطلع الناس عليه لئلا يفتضح بأكاذيبه البعيدة عما عليه العلماء الذين يكتب عنهم، وأرجو وألح فى الرجاء أن لا يغفل القارئ عن قول صاحب الطبقات السابق فى هذا الرجل من أنه (كان قليل المعرفة بمدلولات الألفاظ) ومَنْ مِنْ العقلاء يرضى أن يسقط نفسه فيعد من زمرة العلماء رجلاً يصل به الجهل إلى درجة قلة المعرفة بمدلولات الألفاظ؟ كما أرجو القارئ أيضًا وأشدد فى هذا الرجاء أن يلتفت لقول صاحب جمع الجوامع (إن الذهبى لم يمارس علوم الشريعة ومن فقد رشده وضاع صوابه حتى يستطيع أن يعد من العلماء رجلا لم يمارس الشريعة فليعلم حق العلم ليراعى حق الرعاية. ولا ينسى القارئ أن ما تقدم شهادة تلميذ هو إمام فهو أعرف بشيخه ولعل هذا يكفى فى دفع ما ربما يقوله بعض المغرورين بالذهبى أو ينقله عن بعض المغرورين.

وقد أشرت إلى حاله فى مواضع مما علقت به على ذيول طبقات الحفاظ وزغل العلم.

ومما يزيدك بصيرة فى هذا الباب اجتراء الذهبى على حذف لفظ (إن صحت الحكاية عنه) من كلام البيهقى فى الأسماء والصفات (ص٣٠٣) عندما نقل كلامه فى كتاب العلو (ص١٢٦) فى صدد نسبة القول بأن الله فى السماء، إلى أبى حنيفة ليخيل إلى السامع أن سند هذه الرواية لا مغمز فيه مع أن نوحًا الجامع ربيب مقاتل بن سليمان المجسم، فى السند هالك مثل زوج أمه، وكذلك نعيم بن حماد ربيب نوح، وقد ذكره كثير من أئمة أصول الدين فى عداد المجسمة فأين التعويل على رواية مجسم فيما يحتج به لمذهبه؟ وليس بقليل ما ذكره الذهبى فى حقهما فى ميزان الاعتدال على أنه لو سبق التفاف نحو عشرة آلاف شخص حول بدعة امرأة أتت من ترمذ إلى الكوفة للدعوة إلى مذهب جهم لكان لهذا النبأ شأن عظيم فى كتب الأنباء والرواية ولما انفرد بمثل ذلك الخبر يحيى بن يعلى المجهول عن نعيم بن حماد الهالك عن نوح الجامع لكل شىء غير الصدق ولا كان انفرد أحمد بن جعفر بن نصر عن يحيى المذكور ولا أبو الشيخ بن حيان صاحب كتاب العظمة الذى يحوى كل هائف وقد ضعفه بلديه الحافظ العسال، وقد أشار البيهقى بقوله (إن صحت الحكاية) إلى ما فى الرواية من وجوه الخلل وعندما حذف الذهبى هذا اللفظ يظن من لا خبرة عنده بالرجال أن الإله فى السماء قول فقيه الملة إمام شطر هذه الأمة بل ثلثيها فى جميع القرون مع بطلان رواية ذلك عنه بالمرة ولأبى حنيفة كلمة فى الفقه الأبسط رواية أبى مطيع عنه وهى (من قال لا أعرف ربى فى السماء أو فى الأرض كفر) وعلل الأصحاب ذلك بأن هذا القائل جوز المكان فى حقه تعالى وهو كفر؟ وما طبع فى الهند باسم شرح الفقه الأكبر للماتريدى إنما هو شرح =

....

= أبى الليث على الفقه الأبسط مع سقم النسخة الهندية، وبدار الكتب المصرية نسخة خطية جيدة من شرح أبى الليث. وقد زاد أبو إسماعيل الهروى فى الفروق على تلك الكلمة ما شاء من كيسه بما يوافق مذهبه فى التجسيم كذبًا وزوراً بسند مركب، ونقل الذهبى فى كتاب العلو جملة ذلك بدون أن يذكر سند الهروى فى روايته تعمية وترويجًا للباطل، وكذا فعل الناظم فى عزوه -راجع شرح أبى الليث وشرح البزدوى وإشارات المرام فى عبارات الإمام للبياضى، ودفع الشبه للتقى الحصنى وشرح الفقه الأكبر لعلى القارئ فيما نقله عن ابن عبد السلام ولم يراقب الله من زاد على الكلمة السابقة ما أشرنا إليه كما وقع فى بعض نسخ الكتاب المذكور من عهد ذلك الهروى. وقد روى الذهبى فى كتاب العلو أيضًا عن الدارقطنى الأبيات المعروفة عند المجسمة بسند يقول فيه أنبأنا أحمد بن سلامة عن يحيى بن بوش أنبأنا ابن كادش أنشدنا أبو طالب العشارى أنشدنا الدارقطنى: حديث الشفاعة فى أحمد. إلى أحمد المصطفى بسنده الأبيات (وآخرها كما فى بدائع الفوائد لابن القيم ٤- ٣٩).

فلا تنكروا أنه قاعد ولا تجحدوا أنه يقعد

فأحمد بن سلامة الحنبلى شيخ الذهبى مات سنة ٦٧٨ والذهبى ابن خمس، ويحيى بن أسعد بن بوش الحنبلى الخباز المتوفى سنة ٥٩٣ وأحمد بن سلامة ابن أربع كان أميًا لا يكتب، وأبو العز بن كادش أحمد بن عبيد الله المتوفى سنة ٥٢٦ من أصحاب العشارى اعترف بالوضع ويقال ثم تاب، راجع الميزان. وحكم مثله عند أهل النقد معروف، وأبو طالب محمد بن على العشارى الحنبلى المتوفى سنة ٤٥٢ مغفل يتقن ما يلقن، وقد راجت عليه العقيدة المنسوبة إلى الشافعى كذبًا، وكل ذلك باعتراف الذهبى نفسه فى الميزان وغيره، فهل يصح عزو تلك الأبيات إلى الدارقطنى بمثل هذا السند؟ وقال الذهبى أيضا فى العبر فى ترجمة أبى يعلى الحنبلى: (صاحب التصانيف وفقيه العصر كان إماما لا يدرك قراره ولا يشق غباره وجيمع الطائفة معترفون بفضله ومغترفون من بحره).وأنت علمت حال أبى يعلى مما ذكره ابن الجوزى فى دفع الشبه، ومما نقلناه عن كتبه فى هذا الكتاب ومما ذكره ابن الأثير فى الكامل فى حوادث سنة ٤٢٩، وترى الذهبى كثيراً ما يقول فى رد ما أخرجه الحاكم فى المستدرك فى فضائله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام: أظنه باطلاً. بدون ذكر أى حجة، وقد ذكر ابن الوردى فى تاريخه أنه آذى كثيراً من الأحياء بتدوين ما كان يسمعه من أحداث يجتمعون به.

وفيما ذكرنا كفاية فى معرفة حال الذهبى نسأل الله السلامة، وله رسالة إلى ابن تيمية ينصحه فيها ويمنعه من المغالاة، وسبق نشرها مع زغل العلم له. وترى الذهبى مع ثنائه البالغ فى حق ابن تيمية فى كثير من كتبه يقول عنه: «وقد أوذيت من الفريقين من أصحابه وأضداده وأنا مخالف له فى مسائل أصلية وفرعية اهـ كما فى الدرر الكامنة، ويقول عنه أيضًا: إنه أطلق عبارات أحجم عنها الأولون والآخرون وهابوا وجسر هو عليها اهـ» نقله ابن رجب عنه فى طبقاته. ويقول عنه أيضا فى زغل العلم (ص١٧).. وقد تعبت فى وزنه وتفتشيه حتى مللت فى سنين متطاولة، فما وجدت الذى أخره بين أهل مصر والشام ومقتته نفوسهم وازدروا به وكذبوه وكفروه إلا الكبر والعجب وفرط الغرام فى رياسة المشيخة والازدراء بالكبار، فانظر كيف وبال الدعاوى ومحبة=

قال:

إن المعطل بالعداوة معلن والمشركون أخف فى الكفران

ما لمن يعتقد فى المسلمين هذا إلا السيف(١)

فصل

فى أسبق الناس دخولا إلى الجنة

قال: «وروى ابن ماجه أن أولهم يصافحه(٢) إله العرش ذو الإحسان فاروق دين الله».

= الظهور.. وما دفع الله عنه وعن أتباعه أكثر، وما جرى عليهم إلا بعض ما يستحقون فلا تكن فى ريب من ذلك اهـ».

ويقول عنه أيضًا فى (ص٢٣) من زغل العلم: «..وقد رأيت ما آل أمره إليه من الحط عليه والهجر والتضليل والتكفير والتكذيب بحق وبباطل فقد كان قبل أن يدخل فى هذه الصناعة منوراً مضيئًا على محياه سيما السلف ثم صار مظلمًا مكسوفًا عليه قتمة عند خلائق من الناس، ودجالا أفاكًا كافراً عند أعدائه، ومبتدعًا مضلا محققا بارعًا عند طوائف من عقلاء الفضلاء، وحامل راية الإسلام، وحامى حوزة الدين ومحيى السنة عند عموم عوام أصحابه ا هـ». وهذه الكلمات نقلها السخاوى عنه أيضًا فى (الإعلان بالتوبيخ) ومن الخطأ الفاحش عزوها إلى (قمع المعارض) للسيوطى اغتراراً بوضع رقم التعليق فى (القول الجلى) غلطًا عند كلمة (قمع المعارض) مع تصحيف (زغل العلم) إلى (رجل العلم) بعد أسطر فى الطبعتين مع أن أصل التعليق كان على (زغل العلم) المصحف إلى (رجل العلم) كما نبهت على ذلك فيما علقته على الزغل المطبوع وإن لم ينفع تنبهى عند أناس لا يوقظهم من سباتهم العميق غير نفخة الصور ونسبة (زغل العلم) إلى الذهبى ليست بموضع ريبة أصلا، وهو من المخطوطات المحفوظة فى التيمورية بدار الكتب المصرية وسنأتى إن شاء الله تعالى فى آخر الكتاب بصورة رسالة الذهبى التى بعث بها إلى ابن تيمية ينصحه فى شواذه ويكفى ما ذكرناه هنا فى تبيين نظر الذهبى لابن تيمية مع أنه من أهل مذهبه المنخدعين به فنسجل للذهبى هذه الحسنات كتسجيلنا لسيئاته المذكورة مراعاة للعدل فيما له وفيما عليه وإيقاظا للمغترين به، والله ولى الهداية.

(١) لأن ذلك زندقة مكشوفة ومروق ظاهر وإصرار على اعتقاد الإيمان كفراً قبحه الله كيف يعتقد فى المشركين أنهم أخف فى الكفر من المؤمنين المنزهين والشيخ الإمام المصنف رضى الله عنه رجل معروف بالورع البالغ واللسان العفيف والقول النزيه لا تكاد تسمع منه فى مصنفاته كلمة تشم منها رائحة الشدة، ولينظر القارئ حاله هذا مع قوله فى ابن القيم (ما له إلا السيف) إنه إن فكر فى هذا قليلا علم العلم القاطع أن هذا الناظم بلغ فى كفره مبلغًا لا يجوز السكوت عليه ولا يحسن لمؤمن أن يغضى عنه ولا أن يتساهل فيه.

(٢) قاتله الله، حديث موضوع يستدل به وشأن هذا الخبر فى السقوط فوق أن يقال بين رجاله ضعيف بل بينهم ضعيف ومنكر الحديث وآخر قدرى خلا استحالة المتن وابن كثير أهون شراً من الناظم حيث أنكره جداً=

فصل

فى عدد الجنات

قال: سبحان من رست يداه[١] جنة الفردوس ويداه أيضًا أتقنت لبنائها، هى فى الجنان كآدم لكنما الجهمى ليس لديه من ذا الفضل شىء فهو ذو نكران. إنما ينكر العضو والجارحة فإن كانت أنت تثبتها فاعرف.

قال: «ولد عقوق والده ولم يثبت بذا فضلاً عن الشيطان».

ما يستحيى يكذب على الناس.

قال: «ولقد روى حقًا أبو الدرداء ذاك عويمر أثرًا عظيم الشان يهتز قلب العبد عند سماعه طربًا بقدر حلاوة الإيمان ما مثله أبدًا يقال برأيه فيه النزول[٢] ثلاث ساعات: فإحداهن ينظر فى الكتاب، الثانى: يمحو ويثبت ما يشاء بحكمة، والساعة الأخرى إلى عدن أهله هم صفوة الرحمن والساعة الأخرى إلى هذه السماء يقول هل من تائب ندمان».

الظاهر أنه ما ساق أبوابًا فى صفة الجنة إلا ليذكر هذا الحديث وأيضًا ليسكت الناس بسماع صفات الجنة فيقبلون على هذه القصيدة ويعكفون عليها فيفتنهم، أسأل الله العافية ويحق له اسم الحشوى لأن الباطل محشو فى هذه القصيدة اللحناء.

= فى جامع المسانيد (قال المنبجى الحنبلى فى إثبات المماسة) : قال ابن تيمية والمعروف عند أئمة أهل السنة وعلماء أهل الحديث أنهم لا يمتنعون عن وصف الله أنه يمس ما شاء من خلقه بل يروون فى ذلك الآثار ويردون على من نفاه. انتهى ذكره فى الأجوبة المصرية) . قاتله الله ، ما أجرأه على الله.

(١) خلق الله أدم بعناية خاصة وبدون سببية والد وأم هذا المعنى المجازى يعقله كل من عنده ذوق العربية وأما الخبر الذى يشير إليه الناظم ففى سنده ابن على زيد بن جدعان لا يحتج به.

(٢) هذا الخبر الموقوف ليس بثابت عن أبى الدرداء فضلاً عن ثبوت رفعه إليه ﷺ. وفى سنده زيادة بن محمد الأنصارى، قال البخارى هو منكر الحديث وقال ابن حبان يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك، نقله ابن الجوزى ولعلك علمت بذلك مبلغ قيمة ما يحتج به هذا البجباج النفاج.

قال: «روى ابن ماجه مسندًا عن جابر بينا هم فى عيشهم إذا بنور ساطع رفعوا رؤسهم فرأوه نور الواحد وإذا بربهم تعالى فوقهم[١] قد جاء للتسليم وقال السلام عليكم جهرًا، ومصداقه ﴿سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨] من رد ذا فعلى رسول الله رد» الذى يحمله على محمل صحيح لا يرده والذى يحمله على صفات الأجسام هو الذى يرد ما يجب.

فصل

فى يوم المزيد[٢]

قال«فيرون ربهم تعالى جهرة ويحاضر الرحمن واحدهم محاضرة الحبيب يقول يا بن فلان، هل تذكر اليوم الذى قد كنت فيه مبارزًا بالذنب قالوا يحق لنا وقد كنا إذًا جلساء رب العرش».

فصل

كله فيما للعبد عند ربه فى الآخرة ولو كان مفردًا بالتصنيف كان حسنًا، ولكن إدخاله فى قصيدة انتصب فيها للحكم بين الحشوى وخصومه وإسعار الحرب بينهم لأى معنى؟

فصل

رجع فيه إلى ما كان عليه مما فى نفسه وذكر خصومه وفصول معه ذكر فيها فرق المعادين له.

فصل

ختم به الكتاب فيه شىء يسير ولكن هذا آخر كلامنا فى ذلك والله المستعان.

---

(١) قال الذهبى إسناده ضعيف وقال ابن الجوزى موضوع وقال العقيلى: أبو عاصم العبادانى - فى سنده - منكر الحديث لا يتابع عليه. وأما الفضل الرقاشى فى السند فممن لا يكتب حديثه وبمثل هذا الخبر يحتج الناظم فى تكييف الرؤية.

(٢) جمع طرقه أبو بكر بن أبى داود ذلك الكذاب الزائغ وسبق بيان أن ابن عساكر ألف جزءًا فى توهين طرقه فتذكر. ولفظ الجلساء لم يقع إلا فى بعض الطرق الواهية لحديث يوم المزيد، راجع جزء ابن عساكر.

قال المؤلف شرعت فيه يوم السبت الرابع والعشرين من صفر سنة ٧٤٩
وفرغت منه يوم السبت مستهل ربيع الأول من السنة[1]
والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه
وسلم حسبنا الله ونعم الوكيل
«تم السيف الصقيل»

خاتمة السيف الصقيل

(١) فيكون تأليف السبكى لهذا الكتاب قبل وفاة ابن القيم بنحو سنتين. هذا وكنا وعدنا عند الكلام على الذهبى أن نأتى فى آخر الكتاب بصورة رسالة بعث بها الذهبى إلى ابن تيمية يحذره فيها عواقب إصراره على الشذوذ عن جمهور العلماء فى مسائل أصلية وفرعية وقد ظفرنا بها بخط التقى ابن قاضى شهبة منقولاً عن خط البرهان ابن جماعة المنقول من خط الحافظ أبى سعيد الصلاح العلائى المنسوخ من خط الشمس الذهبى نفسه، وخط التقى ابن قاضى شهبة معروف وتوجد كتب بخطه فى دار الكتب المصرية والخزانة الظاهرية بدمشق منها قطعة من طبقات الشافعية بدار الكتب المصرية، ومنها ما انتقاه من التاريخ الكبير للذهبى مما يتعلق بتراجم الشافعية بالخزانة الظاهرية ففى إمكان الباحث الذى لا يعرف خط ابن قاضى شهبة أن يتأكد من خطه المقارنة، المأخوذ عن الرسالة المذكورة المحفوظة بدار الكتب المصرية وبين خطه المحفوظ فى الدار والخزانة المذكورتين وإلى تلك الرسالة أشار السخاوى حيث قال فى الإعلان بالتوبيخ: «ورأيت له رسالة كتبها لابن تيمية هى فى دفع نسبته لمزيد تعصبه مفيدة». وذلك فى صدد الدفاع عن الذهبى رداً على من ينسبه لفرط التعصب كما ذكرت فى صدر الرسالة عند نشرها مع الزغل قبل سنين.

مقدمة رسالة الذهبى إلى ابن تيمية

وقبل الرسالة لابد من ذكر مقدمة هنا ليكون القارئ على بينة من أمر ابن تيمية وهى أن ابن تيمية هذا ولد بحران ببيت علم من الحنابلة وقد أتى به والده الشيخ عبد الحليم مع ذويه من هناك إلى الشام خوفًا من المغول، وكان أبوه رجلاً هادئًا أكرمه علماء الشام ورجال الحكومة حتى ولوه عدة وظائف علمية مساعدة له، وبعد أن مات والده ولوا ابن تيمية هذا وظائف والده بل حضروا درسه تشجيعًا له على المضى فى وظائف والده وأثنوا عليه خيراً كما هو شأنهم مع كل ناشئ حقيق بالرعاية وعطفهم هذا كان ناشئًا من مهاجرة ذويه من وجه المغول يصحبهم أحد بنى العباس - وهو الذى تولى الخلافة بمصر فيما بعد - ومن وفاة والده بدون مال ولا تراث بحيث لو عين الآخرون فى وظائفه للقى عياله البؤس والشقاء، وكان فى جملة المثنين عليه التاج الفزارى المعروف بالفركاح وابنه البرهان والجلال القزوينى والكمال الزملكانى ومحمد بن الحريرى الأنصارى والعلاء القونوى وغيرهم، لكن ثناء هؤلاء غر ابن تيمية - ولم يتنبه إلى الباعث على ثنائهم - فبدأ يذيع بدعًا بين حين وآخر وأهل العلم يتسامحون معه فى الأوائل باعتبار أن تلك الكلمات ربما تكون فلتات لا ينطوى هو عليها، لكن خاب ظنهم وعلموا أنه فاتن بالمعنى الصحيح فتخلوا عنه واحداً إثر واحد على توالى فتنه، كما سبق والذهبى كان من أشياعه ومتابعيه إلا فى مسائل، لكنه لما وجد أن فتنه تأخذ كل مأخذ ولم يبق معه سوى مقلدة الحشوية والمنخدعين به وهم شباب بدأ يسعى فى تهدئة الفتنة، مرة يكتب إلى أضداده لأجل أن يخففوا لهجتهم معه كما فعل مع السبكى على رواية ابن رجب ولم نطلع على غير صدر الجواب على تقدير صحة ذلك الصدر - ومرة يكتب هذه الرسالة إلى ابن تيمية نفسه.


نص الرسالة

نص الرسالة

إليك الرسالة بالحروف المعتادة مع عنوانها:

رسالة كتب[١] بها الشيخ شمس الدين أبو عبد الله الذهبى إلى الشيخ تقى الدين ابن تيمية كتبتها[٢] من خط قاضى القضاة برهان الدين بن جماعة رحمه الله وكتبها هو من خط الشيخ الحافظ أبى سعيد بن العلائى وهو كتبها من خط مرسلها الشيخ شمس الدين.

الحمد لله على ذلتى، يارب ارحمنى وأقلنى عثرتى. واحفظ علىَّ إيمانى. واحزناه على قلة حزنى، وا أسفاه على السنة وذهاب أهلها. واشوقاه إلى إخوان مؤمنين يعاونوننى على البكاء. وا حزناه على فقد أناس كانوا مصابيح العلم وأهل التقوى وكنوز الخيرات. آه على وجود درهم حلال وأخ مونس، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وتبًا لمن شغله عيوب الناس عن عيبه. إلى كم ترى القذاة فى عين أخيك وتنسى الجذع فى عينك!. إلى كم تمدح نفسك وشقاشقك وعباراتك وتذم العلماء وتتبع عورات الناس مع علمك بنهى الرسول ﷺ (لا تذكروا موتاكم إلا بخير، فإنهم قد أفضوا إلى ما قدموا) بلى أعرف أنك تقول لى لتنصر نفسك: إنما الوقيعة فى هؤلاء الذين ماشموا رائحة الإسلام ولا عرفوا ما جاء به محمد ﷺ. وهو جهاد. بلى والله عرفوا خيرًا كثيرًا مما إذا عمل به العبد فقد فاز وجهلوا شيئًا كثيرا مما لا يعنيهم، ومن حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه. يا رجل بالله عليك كف عنا فإنك محجاج عليم اللسان لا تقر ولا تنام. إياكم والغلوطات فى الدين كره نبيك ﷺ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال: (إن أخوف ما أخاف على أمتى كل منافق عليم اللسان) وكثرة الكلام بغير زلل تقسى القلوب إذا كان فى الحلال والحرام، فكيف إذا كان فى عبارات اليونسية

(١) بتضمين (بعث).

(٢) والكاتب هو التقى ابن قاضى شهبة وقد ذكر فى طبقات الشافعية أنه اطلع على مجاميع وفوائد بخط البرهان ابن جماعة.

والفلاسفة وتلك الكفريات التى تعمى القلوب. والله قد صرنا ضحكة فى الوجود فإلى كم تنبش دقائق الكفريات الفلسفيـة لنرد بعقولنا، يا رجل قد بلعت (سموم) الفلاسفـة وتصنيفاتهم مرات. وكثرة اسـتعمال السمـوم يدمن عليه الجسم وتكمن والله فى البدن. واشوقاه إلى مجلس فيه تلاوة بتدبر وخشية بتذكر وصمت بتفكر. وآها لمجلس يذكـر فيه الأبرار فـعند ذكر الصـالحين تنزل الرحمة. بـلى عند ذكر الصالحين يذكرون بالازدراء واللعنة. كـان سيف الحجاج ولسان ابن حزم شـقيقين فواخيتهما بالله خلونا من ذكر بدعة الخميس وأكل الحبوب وجدّوا فى ذكر بدع كنا نعدها من أسـاس الضلال قد صارت فى مـحض السنة وأساس التوحـيد ومن لم يعرفها فـهو كافر أو حمار، ومن لم يكـفر فهو أكفر من فرعـون. وتعد النصارى مثلنا، والله فى القلوب شكرك إن سلـــم لك إيمـانك بالشـهادتين فأنت سـعيد. يا خيبـة من اتبعك فإنه معـرض للزندقة والانحلال ولا سيمـا إذا كان قليل العلم والدين باطوليًا شهوانيًا. لكنه ينفعـك ويجاهد عندك بيده ولسانه وفى الباطن عدو لك بحاله وقلبه فهل معظم أتباعك إلا قعـيد مربوط خفيف العقل أو عامى كذاب بليـد الذهن أو غريب واجـم قوى المكر أو ناشف صـالح عـديم الفهم، فـإن لم تصدقنى ففتـشهم وزنهم بالعدل، يا مسلم أقدم حمـار شهوتك لمدح نفسك. إلى كم تصادقهـا وتعادى الأخيار. إلى كم تصادقهـا وتزدرى الأبرار. إلى كم تعظمها وتصغر العباد. إلى متى تخاللـها وتمقت الزهاد. إلى متى تمدح كلامـك بكيفيـة لا تمدح - والله - بها أحاديث الصحيحين. ياليت أحاديث الصحيحين تسلم منك بل فى كل وقت تغير عليها بالتـضعيف والإهدار أو بالتأويل والإنكار، أما آن لك أن ترعوى؟ أمـا حان لك أن تتوب وتنيب؟ أما أنت فى عـشر السبعين وقـد قرب الرحيل. بلى - والله - مـا أذكر أنك تذكر الموت بل تزدرى بمن يذكر المـوت فما أظنك تقبل عـلى قولى ولا تصغى إلى وعظى بل لك هـمة كبـيرة فى نقض هذه الورقـة بمجلدات وتقطع لى أذناب الكلام ولا تـزال تنتصـر حـتى أقـول: وألبتـة سكت. فـإذا كان هذا حـالك عندى أنا الشـفوق المحب الواد فكيف حـالك عند أعدائك. وأعداؤك - والله - فيـهم صلحاء وعقلاء وفضلاء كمـا أن أولياءك فيهم

فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر. قد رضيت منك بأن تسبنى علانية وتنتفع بمقالتى سرّا (فرحم الله امرءًا أهدى إلى عيوبى) فإنى كثير العيوب غزير الذنوب. الويل لى إن أنا لا أتوب. ووافضيحتى من علام الغيوب ودوائى عفو الله ومسامحته وتوفيقه وهدايته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وهنا انتهت رسالة الذهبى إلى ابن تيمية و فيها عبر بالغة. وليكن هذا آخر تكملة الرد على نونية ابن القيم وبها يكون إن شاء الله تعالى (تبديد الظلام المخيم من نونية ابن القيم).

لماذا يقال للناظم ابن القيم

وقد عرف الناظم بابن القيم حيث كان أبوه قيم المدرسة الجوزية الحنبلية التي أنشأها محيى الدين ابن الحافظ أبى الفرج ابن الجوزى الحنبلى بسوق القمح المعروفة اليوم بالبزورية بدمشق، والغالب أن يقال له ابن قيم الجوزية لئلا يلتبس بابن القيم الكبير المصرى الراوى عن الفخر الفارسى فإنه معمر مقدم، وبذلك يعلم أن من يقول عنه: (ابن القيم الجوزى) واهم وهما قبيحًا وإنما هو (ابن قيم الجوزية) كما قلنا - ويجد القارئ الكريم فى كتابنا هذا الرد على ابن تيمية كما يجد فيه الرد على ابن القيم باعتبار أن الثانى إنما يردد صدى الأول فى أبحاثه كلها دون أن تكون له شخصية خاصة بل هو ظل الأول فى كل آرائه وجميع أهوائه فانتظمهما الرد ولعل فيما رددنا به عليهما كفاية للمنصف وقطعًا لعذر كل متعسف. وأما من تعود أن يقول: (عنزة وإن طارت) فليس خطابى معه ﴿وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤] .

خاتمة تكملة الرد

وكان فراغى من إعادة النظر فى الكتاب بمنزلى فى آخر العباسية بمصر القاهرة - حرسها الله تعالى - صحوة يوم الخميس المصادف لليوم الثالث من رجب سنة ١٣٥٦ وأسأل الله سبحانه أن ينفع به المسلمين وأن يجعله ذخرًا لى يوم الدين يوم

لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم إنه المجيب البر التواب الرحيم، وأنا الفقير إلى عفو الله ومسامحته «محمد زاهد بن الحسن بن على الكوثرى» خادم العلم بدار السلطنة العثمانية سابقًا عفا الله عن سيئاته ورفع منزلته ومنازل ذويه فى الآخرة وأغدق عليه وعلى قرابته ومشايخه سحب رحمته ورضوانه وغفر لهم ولسائر المسلمين أجمعين..

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين

فهرس الكتاب

تمت الفهرسة «بعون الله»

بيـــان الصواب والخطــأ في كتاب السيف الصقيـل

رقم الصفحه	رقم السطر	الخطأ	الصواب	رقم الصفحه	رقم السطر	الخطأ	الصواب
٥	٧	بابنه	بابن	٥٦	٢٦	تكل	تلك
٥	١٣	ومجانية	ومجانبة	٧٠	١٥	يتناقض	يناقض
٥	٢٧	الأحوال	الأحول	٧٢	٢٣	ثـم	تلغي
٥	٢٨	وممن	ممن	٧٣	٥	شيخالا	شيخـا
٦	٥	وكهس	وكهمس	٨٢	١٠	برضاء	برضاه
٦	٥	الهجمي	الهجيمي	٨٢	٢٣	فريقال	فريق . أهـ
٦	٧	وكهس	وكهمس	٨٧	١١	النزولاهـ	النزول . أهـ
٦	١٢	الحوارية	الجواربية	٨٩	٣٣	التقليب	التلقيب
٦	١٣	الحواري	الجواربي	٩٠	٨	الزائع	الزائغ
٦	٢٤	إلا	لا	٩١	٦	المكانية	وابوعبيده معمر بن المثني
٩	٥	ابن	تلغي				الشعولي ماذا تكـون قيمه
١٠	١٩	والذهاء	والدهماء				كلامه في مثل هذه الابيات ؟
١٠	٢٢	ورعياته	ورعايته				والاشعري إن كنتم تعتقدون
١٣	٢٦	غار	غاو				فيه إنه قائل بالفوقيه المكانيه
١٨	١٢	سعي	عسي	٩١	١٧	كادس	كادنش
٢١	٨	يبرق	يفرق	٩١	٢٤	نزليفه	تأليفـه
٢٣	١٧	علي	عـن	٩٢	٢٦	طائة	طائفـة
٣٣	٩	قـال	قـاد	٩٥	١٥	يسير	يســر
٣٣	٢٣	ـــ العاقل	العاقل مذهب	٩٥	٢٩	أحادث	أحاديث
٤٤	٧	الحضيري	الحصري	٩٥	٢٩	أبوبر	أبوبكر
٤٦	١٨	وجـوبا	جوات	٩٦	١٦	ماشئت	ماشئتم
٤٧	٢٤	البربهاوي	البربهاري	٩٦	١٦	النزمه	التزمه
٤٧	٣٠	كلام	كـون	٩٦	١٧	نع الي	تعالــي
٤٧	٣١	التفكير	هـذا	١٠١	١٥	تقدم	تقدس
٤٨	١٩	ذك	ذلك	١٠١	٢٥	مجحهول	مجهول
٤٨	٢٢	ورواه	رواية	١٠٧	١٢	المتعرفة	المتعارف
٤٨	٢٥	وأن	وأين	١٠٨	١٣	ذلك	ذلك من
٤٩	١٢	فيوضع	في وضع	١٢٥	٢٥	الجريري	الحريري
٥٠	١	طرأ	طرا	١٣٤	١٧	بعض	بغض
٥٠	٥	الجبر	الحبر	١٣٨	١٤	عجلا	يقول ابن عربي في العارضة
٥٠	٦	إي	إلي	١٣٨	١٥	فلانـه	فــلان
٥١	١٩	وهـو	وهـم	١٣٩	٢٠	العلاني	العلائي
٥٣	٤	وأنه	وأنهم	١٤٤	٤	عـزوه	غـزوه
٥٤	٣٢	لا في هذا ولا عشر	في	١٤٤	٢٩	ونفتشيه	وتفتيشه
٥٥	٣	بل	بل ولا عشر	١٤٥	١١	وبياطل	وبباطل
٥٥	١٩	وبـه	ربـه				

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/١٨٥٣٦

الترقيم الدولى :I.S.B.N

977-315-071-2


من تراث الكوثري


من تراث الكوثري
من تراث الكوثري
من تراث الكوثري
من تراث الكوثري